نجيب محفوظ

الحائز على جائزة الدولة التقديرية

وجائزة نوبل العالمية للآداب لعام ١٩٨٨



الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه

كتبت هذه القصص

فى الفترة بين أكتوبر وديسمبر ١٩٦٧


تحت المظلة



انعقد السحاب وتكاثف كليل هابط ثم تساقط الرذاذ . اجتاح الطريق هواء بارد مفعما بشذا الرطوبة . حث المارة خطاهم غير نفر تجمعوا تحت مظلة المحطة . وأوشكت الرتابة أن تجمد المنظر لولا أن اندفع رجل . اندفع راكضا كالمجنون من شارع جانبي واختفى فى شارع آخر على الجانب الآخر . تبعه على الأثر جماعة من الرجال والغلمان وهم يتصايحون « لص .. أمسكوا اللص » .
وما لبثت الضجة أن خفت رويدا حتى ماتت وتتابع الرذاذ . وخلا الطريق أو كاد أما المتجمعون تحت المظلة فبعضهم ينتظر الباص والبعض لاذ بها خوف البلل .
وبعثت ضجة المطاردة مرة أخرى وتدانت فى اشتداد وتضخم ثم ظهر المطاردون وهم يقبضون على اللص ومن حولهم الغلمان تهلل بأصوات رفيعة حادة . وعند عرض الطريق فى المنتصف حاول اللص الإفلات فأمسكوا به وانهالوا عليه صفعا ولكما فمن شدة الضرب قاوم وضرب كيفما اتفق . وشدت أعين الواقفين تحت المظلة إلى المعركة .

ـ يا لها من ضربات قاسية عنيفة !.

ـ ستقع جريمة أشد من السرقة !

ـ انظروا .. الشرطى واقف فى مدخل عمارة يتفرج ..

ـ بل أدار وجهه إلى الناحية الأخرى ..

واشتد الرذاذ فتواصل أسلاكا فضية برهة ثم انهمر المطر . خلا الطريق إلا من المتعاركين والواقفين تحت المظلة . نال الإعياء من الرجال فكفوا عن تبادل الضربات ولكنهم أحاطوا باللص . وتبادلوا كلمات غير مسموعة معه وهم يلهثون . ثم انغمسوا فى مناقشة هامة لم يميزها أحد دون مبالاة بالمطر . التصقت الملابس بأجسادهم ولكنهم واصلوا النقاش بإصرار وبلا أدنى اكتراث بالمطر .

ووشت حركات اللص بحرارة دفاعه ولكن لم يصدقه أحد . ولوح بذراعيه فكأنما يخطب ولكن ضاع صوته فى البعد وانهلال المطر . إنه بلا شك يخطب . وها هم يصغون إليه . تطلعوا إليه خرسا تحت المطر . وظلت أعين الواقفين تحت المظلة مشدودة إليهم .

ـــ كيف أن الشرطى لا يتحرك !

ـــ لذلك خطرت فكرة .. أن يكون الحدث منظر تصوير سينمائى !

ـــ لكن الضرب كان حقيقيا ..

ـــ والمناقشة والخطابة تحت المطر ؟!

شيء طارئ جذب النظر . فمن ناحية الميدان انطلقت سيارتان فى سرعة جنونية . مطاردة حامية فيما بدا . المقدمة تطير طيرا والأخرى توشك أن تدركها . وإذا بالمتقدمة تفرمل بغتة حتى زحفت فوق أديم الأرض فصدمتها الأخرى صدمة عنيفة مدوية . انقلبتا معا محدثتين انفجارا وسرعان ما اشتعلت فيهما النيران . وارتفع صراخ وأنين تحت المطر المنهمر . ولكن لم يهرع أحد من المحدقين به إلى بقايا السيارتين اللتين أدركهما الخراب على بعد أمتار منهم . لم يبالوا بهما كما لا يبالون بالمطر . ولمح الواقفون تحت المظلة آدميا من ضحايا الحادث يزحف ببطء شديد من تحت سيارة ملطخا بالدم . حاول النهوض على أربع ولكنه سقط على وجهه سقطة نهائية .

ـــ كارثة حقيقية بلا أدنى شك .

ـــ الشرطى لا يريد أن يتحرك !

ـــ لا بد من وجود تليفون قريب .

ولكن أحدا لم يبرح مكانه خشية المطر . وقد انهل انهلالا مخيفا وقعقع الرعد . وانتهى اللص من خطابه فوقف ينظر إلى مستمعيه بثقة واطمئنان . وفجأة راح يخلع ملابسه حتى تجرد عاريا . رمى بملابسه فوق حطام السيارتين

اللتين أطفأ نيرانهما المطر . دار حول نفسه كأنما يستعرض جسمه العارى . تقدم خطوتين وتأخر خطوتين وبدأ يرقص فى رشاقة احترافية . وإذا بمطارديه يصفقون له تصفيقات إيقاعية على حين تشابكت أذرع الغلمان وراحوا يدورون من حولهم فى دائرة متماسكة . وذهل الواقفون تحت المظلة ولكنهم رغم ذلك استردوا أنفاسهم .

— إن لم يكن منظرا تصويريا فهو الجنون !

— منظر سينمائى بلا ريب وما الشرطى إلا أحدهم ينتظر دوره .

— وحادث السيارتين ؟

— براعة فنية وسوف نكتشف المخرج فى النهاية وراء إحدى النوافذ .

فتحت نافذة فى عمارة مواجهة للمحطة محدثة صوتا لافتا للنظر . لفتت الأنظار رغم التصفيق وانهمار المطر . ظهر بها رجل كامل الزى فصفر صفيرا متقطعا . وفى الحال فتحت نافذة أخرى فى نفس العمارة فظهرت بها امرأة متأهبة الزينة والملابس فاستجابت لصفيره بإشارة من رأسها . اختفيا معا عن أنظار الواقفين تحت المظلة . وبعد قليل غادرا العمارة معا . سارا متشابكى الذراعين بلا مبالاة تحت المطر . وقفا عند السيارتين المهشمتين . تبادلا كلمة . أخذا يخلعان ملابسهما حتى تعريا تماما تحت المطر . استلقت المرأة على الأرض طارحة رأسها فوق جثة القتيل المنكفىء على وجهه . ركع الرجل إلى جانبها . بدأ غزل رقيق بالأيدى والشفاه . ثم غطاها الرجل بجسده ومضى يمارس الحب . وتواصل الرقص والتصفيق ودوران الغلمان وانهمار المطر .

— فضيحة !

— إن لم يكن تصويرا فهو فضيحة وإن يكن حقيقة فهو جنون .

— الشرطى يشعل سيجارة ..

واستقبل الطريق شبه الخالى حياة جديدة . جاءت من الجنوب قافلة من

الجمال . يتقدمها حادى ويقودها رجال ونساء من البدو . عسكرت على مبعدة قصيرة من حلقة اللص الراقص . شدت الجمال إلى أسوار البيوت ونصبت الخيام . وتفرقوا فمنهم من تناول طعامه أو راح يحتسى الشاى أو يدخن وبعضهم غرق فى السمر . ومن الشمال جاءت مجموعة من سيارات السياحة محملة بالخواجات . توقفت فيما وراء حلقة اللص ثم غادرها راكبوها من الرجال والنساء فتفرقوا جماعات تستطلع المكان فى نهم دون مبالاة بالرقص أو الحب أو الموت أو المطر .

ثم أقبل عمال بناء كثيرون تتبعهم لوريات مثقلة بالأحجار والأسمنت وأدوات البناء . وبسرعة مذهلة شيدوا قبرا رائعا ، وعلى مقربة منه أقاموا من الأحجار سريرا كبيرا ، فغطوه بالملاءات وزينوا قوائمه بالورد ، كل ذلك تحت المطر . ومضوا إلى حطام السيارتين فاستخرجوا منه الجثث ، مهشمة الرءوس محترقة الأطراف ، وضموا إليها جثة المنكفىء على وجهه من تحت العاشقين اللذين لم يكفا عن ممارسة الحب ، ثم رصوا الجثث فوق السرير جنبا إلى جنب ، وتحولوا إلى العاشقين فحملوهما معا وهما لا ينفصلان فأودعوهما القبر ثم سدوا فوهته وأهالوا عليهما التراب حتى سووها بالأرض . استقلوا بعد ذلك اللوريات فانطلقت بهم فى سرعة عاصفة وهم يهتفون بكلام لم يميزه أحد .

— كأننا فى حلم !

— حلم مخيف ، ويحسن بنا أن نذهب ..

— بل علينا أن ننتظر .

— ماذا ننتظر ؟

— النهاية السعيدة ؟!

— السعيدة ؟!

— وإلا فيشر المنتج بكارثة !



فى أثناء الحديث تربع فوق القبر رجل يرتدى روب القضاء . لم ير أحد من أين أتى . من عند الخواجات أو من عند البدو أو من حلقة الرقص لم يعرف أحد . بسط صحيفة بين يديه وراح يتلو نصا كأنما ينطق بحكم . لم يميز كلامه أحد إذ غطى عليه التصفيق وضوضاء الأصوات بشتى اللغات والمطر . ولكن كلماته غير المسموعة لم تضع فانتشرت فى الطريق حركات كالأمواج الصاخبة فى عنف وتضارب . نشبت معارك فى محيط البدو وأخرى فى مواقع الخواجات . واشتعلت معارك بين بدو وخواجات . وجعل آخرون يرقصون ويغنون . وأقبل كثيرون حول القبر وراحوا يمارسون الحب عرايا . وأخذت النشوة اللص فتفنن فى رقصه وأبدع . واشتد كل شيء وبلغ غايته . القتل والرقص والحب والموت والرعد والمطر .

واندس بين الواقفين رجل ضخم . عارى الرأس يرتدى بنطلونا وبلوفر أسود وبيده منظار مكبر . شق مكانه بينهم بعنف واستهتار . وجعل يراقب الطريق بمنظاره متجولا به بين الأركان . وتمتم :

ـــ لا بأس .. لا بأس ..

تعلقت به أعين المتجمعين تحت المظلة باهتمام :

ـــ هو ؟

ـــ نعم .. هو المخرج .

وعاد الرجل يخاطب الطريق مغمغما :

ـــ استمروا بلا خطأ وإلا اضطررنا لإعادة كل شيء من البدء ..

عند ذاك سأله أحدهم :

ـــ هل سيادتك ..

ولكنه قاطعه بإشارة عدائية وحاسمة فازدرد الرجل بقية سؤاله وسكت ولكن آخر استمد من توتر أعصابه شجاعة فسأله :

ـــ حضرتك المخرج ؟

لم يلتفت إليه وواصل مراقبته . وإذا برأس آدمى يتدحرج نحو المحطة فيستقر على بعد أذرع منها والدماء تتفجر من مقطع العنق بغزارة.صرخ الرجال فزعا أما الرجل فحدق بالرأس مليا ثم غمغم :

ـــ برافو .. برافو ..

وصاح به رجل :

ـــ ولكنه رأس حقيقى ودم حقيقى ..

فوجه الرجل منظاره نحو رجل وامرأة يمارسان الحب ثم هتف نافد الصبر :

ـــ غير الوضع .. حذار من الملل ..

ولكن الآخر صاح به :

ـــ ولكنه رأس حقيقى ، فمن فضلك فهمنا .

وآخر قال :

ـــ كلمة واحدة منك تكفى لنعرف من أنت ومن هؤلاء ...

وثالث قال بتوسل :

ـــ لا شىء يمنعك من الكلام !

ورابع تضرع قائلا :

ـــ يا أستاذ لا تضن علينا براحة البال .

ولكن الأستاذ تراجع فى قفزة مباغتة . كأنما كان يدارى نفسه خلفهم . ذاب الصلف فى نظرة مترقبة . وتوارت نفخته . كأنما طعن به السن أو تردى فى مرض . رأى المتجمعون تحت المحطة نفرا من الرجال ذوى هيئة رسمية يتجولون غير بعيد من المحطة كأنهم كلاب تشمم . واندفع الرجل راكضا مجنونا تحت المطر . انتبه إليه رجل من المتجولين فاندفع أيضا صوبه يتبعه الآخرون كعاصفة . وسرعان ما اختفوا جميعا عن الأنظار . مخلفين الطريق للقتل والحب والرقص

والمطر .

— يا ألطاف الله ! لم يكن المخرج كما توهمنا ..

— من يكون ؟

— لعله لص ..

— أو مجنون هارب !

— أو لعله ومطارديه ضمن المنظر السينمائى .

— هذه أحداث حقيقية لا علاقة لها بالتمثيل .

— ولكن التمثيل هو الفرض الوحيد الذى يجعلها معقولة على نحو ما .

— لا داعى لاختلاق الفروض ..

— فما تفسيرك لها ؟

— هى حقيقة بصرف النظر ..

— كيف أمكن أن تقع ؟

— هى واقعة .

— يجب أن نذهب بأى ثمن .

— سندعى للشهادة عند التحقيق .

— ثمة أمل باق ..

قال ذلك واتجه ناحية الشرطى وصاح :

— يا شاويش ..

كرر النداء أربعا حتى انتبه إليه الرجل . فقطب متنحنحا فأشار إليه يستدعيه قائلا :

— من فضلك يا شاويش ..

نظر الشرطى إلى المطر متسخطا ثم حبك المعطف حول جسمه ومضى نحوهم مسرعا حتى وقف تحت المظلة . تفحصهم بقسوة متسائلا :

ـــ ما شأنكم ؟

ـــ ألم تر ما يحدث فى الطريق ؟

لم يحول عينيه عنهم وقال :

ـــ كل من كان فى المحطة استقل سيارته إلا أنتم فما شأنكم ؟

ـــ انظر إلى هذا الرأس الآدمى !

ـــ أين بطاقاتكم ؟

ومضى يتحقق من شخصياتهم وهو يتبسم ابتسامة ساخرة قاسية ثم سألهم :

ـــ ماذا وراء اجتماعكم هنا ؟

تبادلوا نظرات إنكار وقال أحدهم :

ـــ لا يعرف أحدنا الآخر !

ـــ كذبة لم تعد تجدى ..

تراجع خطوتين .. سدد نحوهم البندقية . أطلق النار بسرعة وإحكام . تساقطوا واحدا فى إثر الآخر جثة هامدة . انطرحت أجسادهم تحت المظلة أما الرءوس فتوسدت الطوار تحت المطر .

النوم



هذه النخلة الوحيدة فى الفناء الترب تذكر بحوش قرافة ، يجرى ذلك فى خاطره كلما مر عبر الفناء إلى باب البيت الخارجى واعترضه صاحب البيت وهو يرش الأرض بالخرطوم ، ناداه قائلا :

ـــ أستاذ .

اللعنة . أبغض يوم عنده يوم يصبح على وجهه . عجوز ناعم ، يفتر فوه أحيانا عن ابتسامة كشق فى لحاء شجرة .

ـــ أنت شاب وحيد ولكنك مهذب طيب السمعة ، لا شكوى من ناحيتك . فبالله ما معنى الجلسات التى تعقد فى شقتك لتحضير الأرواح ؟!

ـــ هل أستجوب عما يدور داخل شقتى ؟.

ـــ نعم ، إذا امتد أثره إلى من حولك ، ثم إن لى حقا فى مخاطبتك باسم صداقتى القديمة للمرحوم والدك ..

انطبع الامتعاض فى صفحة وجهه فقال صاحب البيت :

ـــ لم أرك مرة واحدة فى صلاة الجمعة !

ـــ وما دخل ذلك فى موضوعنا ؟

ـــ المؤمن لا يهتم بهذه الألاعيب ، هذا ما أعنيه !

ضحك الشاب ضحكة قصيرة وقال :

ـــ ولكن الاهتمام بذلك يعنى الإيمان بالأرواح .

ـــ كلا . يعنى الشك أولا وأخيرا .

فغير الحديث قائلا :

ـــ أذكرك بجدار دورة المياه .

ـــ لا تتهرب ، الحق أن هذه الجلسات تحدث بين السكان اضطرابا غير

مستحب ..

ـــ أنا لا أرتكب فعلا مخالفا للقانون ، وأرجو أن الجدار ..

ـــ من الافضل أن نبقى على وفاق .

ثم قال وهو يدفع بماء الخرطوم إلى بعيد :

ـــ أما عن أى إصلاح فعليك أن تقوم به بنفسك .

ما أبغض أن يصبح على وجهه يوم العطلة . والطريق شبه خال كشأنه فى بواكير العطلات . وثمة سقيفة من السحاب الثابت تمتد فوق الضاحية . واشتد عليه ثقل رأسه عقب ليلة لم ينم فيها أكثر من ساعتين . فبعد انفضاض حلبة التحضير قال لزميله مدرس التاريخ :

ـــ يطيب الآن الحديث فى المصير ..

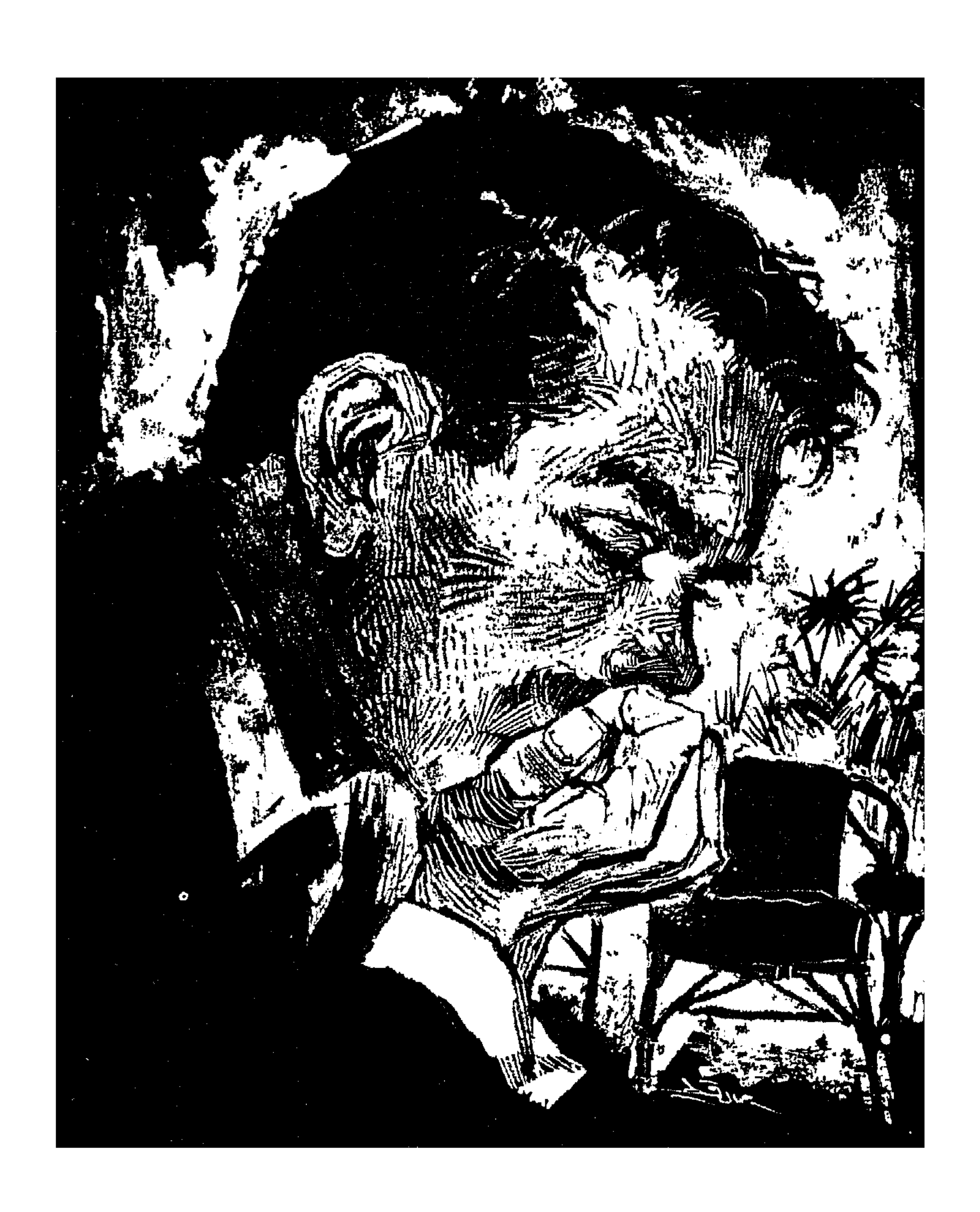
وتقضى الليل دون أن يجنوا من النقاش ثمرة . وقال له صديق ضاحكا وهو يغادر الشقة قبيل الفجر :

ـــ خير حل أن تتزوج !

وآوى إلى فراشه قلقا ووجه محبوب يتراءى لعينيه . لا ينبغى أن تبقى النخلة وحيدة إلى الأبد . ولم كانت أمه تؤكد له دائما قبيل وفاتها بأيام بأن كل شىء يدعو للحمد ؟. وجد الكازينو خاليا فى تلك الساعة المبكرة . واتخذ مجلسه عند مدخل الحديقة الفاصلة بين الكازينو ومحطة الديزل . حياه الجرسون وجاءه بالجرائد. أعد له مع القهوة سندويتش فول فبعد أن شبع ثقل رأسه أكثر وأكثر حتى عجب أين كان النوم وهو يستجديه فى فراشه . وتذكر درس المفعول المطلق الذى سيلقيه غدا صباحا على تلاميذه فتذكر بالتالى زميله مدرس التاريخ ، قرينه فى المناقشات الجنونية .

ـــ ولكن ما معنى ذلك ؟

ـــ أنت مدرس عربى ، حسن هل عرفت فعلا بلا فاعل ..؟



ـــ اللغة بحر بلا حدود .

ـــ مات محمد ، محمد فاعل ، ولكن أى فاعل هذا ؟!، ولذلك فإنى أبحث عما أريد خارج نطاق اللغة ..

وجاء الجرسون لينظف الرخامة فسأله :

ـــ كيف تبرر مطالبتك الزبائن بأثمان الطلبات ؟

ابتسم الرجل ابتسامة المعتاد لهذه الأسئلة الغريبة ، ثم تناول قروشه ومضى . وقال هو لنفسه « إنه يبتسم ابتسامة العقلاء ، ومع ذلك فما لم نعرف كل شيء فستظل معرفتنا الأشياء الصغيرة القريبة ناقضة وغير مبررة » . ورنا إلى السحب حتى ابيض كل شيء فى عينيه . ولكن البياض لم يثبت على حال ، لعبت به يد ساحرة ، تميع وتموج ، واستحال لونا معتما بلا شخصية ولا شكل . واختفى قطار الديزل الواقف فى المحطة أو ذاب فى السحاب . وبدافع من رغبته فى الهدوء المطلق مثل بين يدى بوذا فى الحديقة اليابانية . وسمع صديقه مدرس التاريخ يقول وهو يشير إلى بوذا « الهدوء والحقيقة والانتصار » ثم أكد قوله مكررا « الهدوء والحقيقة والهزيمة » . وجمع عزيمته على المناقشة ولكن أوراق الشجر اهتزت بصرخة حادة . صرخة طفل أو لعلها صرخة امرأة . وخفق قلبه وانتعش بروح الغزل . وأراد أن يستشهد ببيت من عمر الخيام ولكن هيهات . وناداه صوت . التفت نحو مصدره فرأى صديقه الآخر وقد بادره قائلا « خير حل أن تتزوج » . وأطبق عليه وقع أقدام راكضة . وركض ليلحق بالديزل فزلت قدمه وتهاوى من فوق الطوار . رباه كيف اكتظ المكان بهؤلاء !. عشرات وعشرات وعشرات يقفون خارج سور الحديقة الصغيرة . وقوة من الشرطة تعسكر فوق طوار المحطة . حدث تحت السحاب الراكد ؟. وها هو الجرسون راجعا من الزحام إلى الكازينو . وقد مال الرجل نحوه قائلا :

ـــ حضرتك رأيت كل شيء طبعا ؟

فقطب متسائلا ومنكرا فى آن فواصل الرجل :

ـــ سوف تدعى فورا إلى المحقق !

ـــ أى محقق يا هذا ؟

ـــ ارتكبت الجريمة فى المحطة على بعد أمتار من مجلسك .

تساءل ذاهلا :

ـــ جريمة ؟!.

ـــ أين كنت يا سيدى ؟، جريمة القتل فظيعة ، ألا تعرف الآنسة « المولدة » ؟

ـــ المولدة !

ـــ قتلها شاب مجنون الله ينتقم منه ..

تقلص وجهه فى ألم وذهول ، وغمغم :

ـــ قتلت .. لا أصدق .. وأين هى ؟

ـــ حملوها إلى المستشفى لإسعافها ولكنها ماتت فى الطريق .

ـــ ماتت !

ـــ ألم ترها وهى تقتل على بعد أمتار منك ؟

وبعد صمت عاد يقول :

ـــ كيف لم ترها ، أما أنا فكنت مشغولا فى الداخل ثم خرجنا على صوت الصراخ ، كان الملعون يطاردها وهى تجرى أمامه حتى طعنها فى المكان الذى يقف فيه المحقق ..

ـــ والقاتل ؟

ـــ استطاع الهرب ، حتى الآن على الأقل ، شاب صغير ، رآه ناظر المحطة وهو يثب فوق السور ويستقل دراجة بخارية ، ولكن سيقبض عليه عاجلا أو آجلا .

اشتد تقلص وجهه بالألم حتى تقوض فى مجلسه . ومضى الجرسون عنه وهو يقول :

ـــ كيف لم تر الحادثة التى وقعت بين يديك ؟!

وأقبل شرطى فدعاه إلى لقاء المحقق . قرر أن يركز فكره المشتت مهما كلفه ذلك من عناء . نظر فى ساعته فأدرك أنه نام ساعة على الأقل . ومضى مع الشرطى وهو يجر رجليه . بدأ السؤال كالعادة بالاسم والسن والعمل .

ـــ متى جلست فى الكازنيو ؟

ـــ فى السابعة صباحا على وجه التقريب .

ـــ ألم تغادر مجلسك طيلة الوقت ؟

ـــ كلا .

ـــ ماذا رأيت ، حدثنا بالتفصيل من فضلك ؟

ـــ لم أر شيئا !

ـــ كيف ؟! لقد ارتكبت الجريمة فى هذا الموضع ، فكيف لم تر شيئا ؟

ـــ كنت نائما !

ـــ نائما !

أجاب باستحياء :

ـــ نعم .

ـــ لم توقظك المطاردة ؟.

ـــ كلا .

ـــ ولا الصراخ ؟

هز رأسه نفيا وهو يعض على شفتيه .

ـــ ولا استغاثتها وهى تناديك باسمك ؟

تأوه هاتفا :

ـــ اسمی !

ـــ أجل لقد نادتك مرارا ورجح الشهود أنها كانت تجری نحوك مستغيثة بك !

حملق فی وجهه بذهول وتمتم فی توسل :

ـــ كلا !

ـــ هو الواقع .

أغمض عينيه و لم يعد يلقى بالا إلى المحقق أو أسئلته حتى قال له هذا فی ضجر :

ـــ أجب .. عليك أن تجيب ..

ـــ إنی فی غاية من التعاسة ..

ـــ أكانت ثمة علاقة بينك وبينها ؟

ـــ كلا ..

ـــ ولكنها نادتك باسمك !

ـــ نحن من ضاحية واحدة ونقيم فی شارعين متجاورين ..

ـــ شهد شهود بأنهم كثيرا ما رأوكما تقفان متقاربين فی انتظار الديزل ؟

ـــ توافق فی المواعيد بحكم العمل ليس إلا ..

ـــ أليس لاستغاثتها بك دلالة ما ؟

ـــ لعلها كانت تشعر بإعجابی بها !

ـــ إذن كانت هناك علاقة من نوع ما .

ـــ ربما ..

ثم بانفعال قاهر ..

ـــ كنت أحبها .. كنت أفكر كثيرا فی طلب يدها .

ـــ أو لم تفعل شيئا فی سبيل ذلك ؟

ـــ كلا .. لم أكن اتخذت قرارا بعد

ـــ ووقعت الواقعة وأنت نائم ؟

أطرق فى خزى أليم :

ـــ والآخر .. أعنى القاتل .. أليس لديك فكرة عنه ؟

ـــ كلا .

ـــ ألم تسمع عن علاقة لها بآخر ؟

ـــ كلا .

ـــ ألم تر أحدا يحوم حولها ؟

ـــ كلا .

ـــ هل لديك أقوال أخرى ؟

ـــ كلا .

ما زالت السماء محجوبة وراء سقيفة السحاب الجامد . وتساقط رذاذ دقيقة واحدة ثم انقطع . هام على وجهه طويلا .

انقضى النهار وهو يهيم على وجهه . كأنما يداوى أزمته الطاحنة بالحركة المرهقة . وصادفه مدرس التاريخ أمام الحديقة اليابانية . هز يده مصافحا وهو يقول :

ـــ تعال نجلس سويا ، بى رغبة فى الحديث .

فقال بفتور :

ـــ من غير مؤاخذة لا رغبة لى فى الأحاديث الميتافيزيقية .

مط الرجل بوزه آسفا وتساءل :

ـــ أحق ما يقولون من أن المولدة قتلت أمامك وأنت نائم ؟

فسأله غاضبا :

ـــ من أدراك بذلك ؟

أجاب بنبرة المعتذر :

ـــ سمعت به عند الحلاق !

ـــ أمن العجب أن ينعس إنسان متعب ؟.. وما ذنبه إذا قامت القيامة فى أثناء ذلك ؟

ضحك الزميل وقال ملاطفا :

ـــ لا تغضب ولكننى لم أكن أعلم بالعلاقة بينك وبين المولدة .

ـــ أى علاقة !.. أنت مجنون ..

ـــ أعتذر .. أعتذر .. هذا ما سمعتهم يقولونه فى دكان الحلاق ..

مضى فى سبيله الذى لا هدف له . اللعنة ، ستنتفخ الشائعات كالمناطيد . ولن ترد قوة الجميلة اليانعة إلى الحياة ، حسرة لا دواء لها . واستغاثتها اليائسة ارتطمت بجدار النوم ولكنها نفذت بطرق سحرية إلى آذان الضاحية . أيتها التعيسة إنى أتعس منك . وقال له بائع السجاير وهو يعطيه العلبة :

ـــ لا بأس عليك يا أستاذ ، البقية فى حياتك ..

اللعنة . لا يبدو أن أحدا يجهل الواقعة . وها هم يقدمون له العزاء مسلمين بداهة بعلاقته بها ، ها هى الخطبة تعلن بعد الوفاة . وربما تمادت الظنون وراء ذلك .

ورماه البدال بنظرة ذات معنى . ما البدال !.. يخيل إليه أن الأعين كلها تتعقبه . إنه فى الواقع مطارد ، متهم ، مجرم . إنه مسئول عن الاستغاثة الضائعة لا مفر . وغدا فى المدرسة تنهال عليه الأسئلة . الجحيم الحقيقى ستندلع نيرانه فى حوش المدرسة . تخبط طويلا . تلقى أقوالا كثيرة كلها مثيرة مؤلمة . إنه حديث الضاحية . لا حديث للضاحية إلا الجريمة والنوم . « قبض على القاتل وهو تلميذ بالثانوى » إذن قتلها العبث وجنون العيال . « كان القاتل يحبها ولكنها لم تشجعه » لذلك بدت له دائما رزينة وجادة . « من المؤكد أنها كانت تحب مدرس اللغة العربية » يا للحسرة .. شغل عن إسعادها بجلسات تحضير الأرواح

ومنعه من إنقاذها النوم . « قال فى التحقيق إنه كان نائما ، أليس عجيبا ألا يوقظه الصراخ والمطاردة والاستغاثة » إنه لعجيب حقا ولكنهم لا يعلمون أنه قضى الليل فى تحضير الأرواح وأحاديث المصير . اعتصر الألم قلبه فتجرعه سما بطيئا . واضطر أخيرا إلى الرجوع إلى البيت وهو كاره . كان المساء يغشى حجاب السحاب بغلالة معتمة . وجد صاحب البيت يقتعد أريكة تحت النخلة الوحيدة . استقبله بلطف وقال :

ـــ تبدو متعبا ، أرجو ألا يكون حديثى معك فى الصباح قد ضايقك ؟

هز رأسه نافيا فخفض الرجل صوته وهو يسأله :

ـــ أحق ما يقال ..؟

فقاطعه بحدة :

ـــ أجل .. قتلت المولدة على بعد أمتار من مجلسى فى الكازينو وأنا نائم ، هذه هى المعجزة الثامنة !

ـــ لم أقصد يا بنى أن ..

فقاطعه مرة أخرى :

ـــ ولم أسمع استغاثتها ، وفى قول آخر أنى سمعته ولكنى تناومت ..

أقبل عليه الرجل معتذرا متأسفا ، وأخذه من ذراعه فأجلسه إلى جانبه قائلا :

ـــ كان المرحوم والدك صديقى ، لا تؤاخذنى يا بنى ..

ومضت فترة غير قصيرة فى صمت وحذر ثم استأذن فى الانصراف فأوصله الرجل حتى الباب الداخلى . وهناك همس فى أذنه :

ـــ أكرر الرجاء فيما قلته لك فى جلسات تحضير الأرواح .

استلقى على الفراش وهو من العناء فى غاية ، ثم غمغم مغمض العينين :

ـــ ما أحوجنى إلى نوم طويل ، طويل بلا نهاية ..

الظواهر



كثيف الظلام كأنه جدار غليظ لا يمكن أن تخترقه عين . لا شيء يرى ألبتة . إنهم يجتمعون فى عدم ، ولا صوت إلا قرقرة الجوزة . والجوزة تدور حتى تتم دورتها فى الظلام فترجع إلى المعلم بطريقة ميكانيكية . وكثيرا ما كان المعلم يقول :

— إنى أرى فى الظلام ، اعتدت ذلك لطول معاشرة السجون والخلاء ..

إذن فهو يراهم على حين أنهم لا يرونه ولا يرون شيئا . وبسبب الظلام يعيش كل منهم فى عالم خاص به مغلق الأبواب عليه . يجيئون من أماكن مختلفة ، متباعدة ومتقاربة ، لا يدرى أحد عن الآخر شيئا ، يشدهم إلى هذه الحجرة داء واحد . والمعلم يدعوهم واعدا إياهم بالأمان والستر ، وكلما دعا أحدهم قال له :

— فى عزبة النخل دارى . وفى حوشها الخلفى فيما يلى الحقول شيدت حجرة مرتفعة ، معزولة عن الأرض بلا موصل يفضى إليها ، ستصعد إليها على سلم خشبى سرعان ما يطرح تحت أكوام التبن ، فهى حصن لا يكبس ، ولها من الظلام حولها حصن آخر .

أجل ، ها هم معلقون فى الهواء ، غائصون فى الظلام ، كأنما يعيشون فى الزمن الذى لم تكن الأعين قد خلقت فيه بعد . وكل يد تلامس اليد المجاورة عند تناول الجوزة ولكن يد من هى ؟، أى شخص وأى هوية ؟.

ويضحك المعلم ويقول :

— نحن مدينون للظلمة بالسلام الذى ننعم به ، صدقونى فإننى رجل مجرب !

لم يتوقع يوما أن يناقشه أحد خشية أن يفضحه صوته لدى آخر ممن يكفنهم الظلام . وكان يقول لهم :

— لو تعارفتم على ضوء شمعة لتبادلتم أحاديث لا نهاية لها ، ولاحتد الخلاف بينكم ، ولانقلب المجلس جحيما لا يطاق ، وطالب اللذة لا يحب ذلك أما أنا فأمقته مقتا .

وندت من الظلام همس ضحكات مكتومة فقال :

— أعرف بينكم أناسا مختلفى الأديان والآراء وها أنتم تمضون وقتا طيبا فى سلام بفضل الظلام والصمت !

ند الهمس من جديد . لعلهم يسخرون كعادتهم ولو فى سرهم . يا لها من طريقة طريفة لمعالجة التفرقة الدينية والفكرية !. يسخرون وهم لا يعرفون للحجرة التى يترددون عليها شكلا إلا مس الشلت والحصيرة المفروشة بينها !. وهو يسعل كثيرا ثم يقول بصوت كالقرقرة :

— إن أحدكم قد يلقى جليسه فى مكان فلا يعرفه ، قد يكون زميلا فى مصلحة أو عضوا فى أسرة ، قد يريد له الخير أو يضمر الرغبة فى قتله ، كل ذلك طريف للغاية !

إنهم جميعا غارقون فى الإثم . وحامل الإثم جبان ولذلك فهم يكتمون الضحكات فتضغط وتمط فى صوت فحيح زاحف فى الظلمة . ويضحك عاليا ويقول :

— إنى أعرفكم جميعا ، الاسم والعمل والمكانة ، أما أنا فلا يهمنى شىء ، لا يكبل الإنسان مثل حرصه المضحك على حسن السمعة ، وما سر الحرية التى أتمتع بها إلا السجن والخلاء وسوء السمعة !

يا له من صوت كالقرقرة . ونبرة لا تخلو أبدا من السخرية والثقة بالنفس . وسوء سمعته جدير بتخويف الناس من مجلسه لولا دبلوماسيته فى معاملة السلطات . وعنده يجد المصاب ما لا يجد عند غيره من الصنف والطمأنينة . ويقبع فى الظلام محتكرا الكلام والرؤية . ومرة قال ضاحكا :

ـــ إنكم جميعا من السادة ، لكم منزلة تخافون عليها . أما الفقراء فلا يخافون على شيء ولذلك فلا مكان لهم عندى ، ولذلك فهم لا يؤمنون بالظلام والصمت ..

هذا الرجل رغم حقارته ذو مكانة يؤمن بها المصابون بالأدواء . يتلقون أياديه بامتنان . ولا ينتشلهم من العدم إلا عيناه المحطمتان لجدار الظلمة . وهو أحدب مغضون الوجه قصير القامة ، نيف على السبعين ولكنه ذو حيوية شيطانية . ويسألهم ضاحكا :

ـــ لِمَ لا تجعلون من حياتكم كلها امتدادا جميلا لهذه الجلسة ؟

ثم قال وكأنه يجيب على سؤاله :

ـــ ستقولون العمل .. الأسرة .. الواجب :

وضحك ساخرا ثم واصل قائلا :

ـــ لكنه لا شيء إلا الظلام والصمت !

وتنقضى فترة طويلة فى صمت ثم يعود قائلا :

ـــ إنى أسخر منكم بالكلام الفارغ وأنتم تسخرون منى فى قلوبكم بالصمت ، وهذا يعنى أنكم لا تتعلمون ، أما أنا فقد حققت لنفسى المعجزة ، رغم أنف الدنيا ، فلا أسرة لى ولا عمل إذ أن الموزع فى الحقيقة لا عمل حقيقى له ، وفى غمرة الذهول وجريان الأيام على وتيرة واحدة تبدو لى الحياة طويلة كثيفة مثقلة بالملل فلا أخاف الموت ، من منكم لا يخاف الموت !

وبرغم حقارته ، برغم ما يثيره فى النفوس من سخرية خرساء ، فقد مس وترا حساسا . ولكن من يصدق أنه لا يخاف الموت ؟. و لم إذن بنى هذه الحجرة المعزولة فى الهواء والخلاء ؟

وفى ذات ليلة قال لهم بثقة :

ـــ فى هذه الحجرة خلاصة مركزة لحكمة الحياة .

وكف عن الكلام طويلا . وإذا بالجوزة تتوقف عن الدوران . ظنوه ينشد شيئا من الراحة بخلاف عادته . وانتظروا فطال بهم الانتظار فى الصمت والظلام . انتظروا وانتظروا ولكن لم يجد جديد . استهلكوا قدرتهم على الانتظار . تنحنح بعضهم استحثاثا له على العمل ولكن دون جدوى . هل نام الرجل ؟. هل أغمى عليه ؟. هل مات ؟.

وأقربهم إلى موضعه مد يده متحسسا مكانه ثم همس بقلق :

ـــ ليس الرجل فى مكانه !

وألصقهم بالباب قام ليفتحه ولكنه همس فى اضطراب :

ـــ الباب مغلق بإحكام .

واضطر أحدهم إلى رفع صوته قائلا :

ـــ لا بد من وجود نافذة فليفتش عنها كل فيما يليه من الجدار .

ومضت فترة فى التفتيش ثم تتابعت الأصوات :

ـــ لا توجد نافذة .. لا توجد نافذة ..

واستهانوا بالستر فقرروا إشعال أعواد الثقاب ليتبينوا موقفهم . ولكن أحدا لم يجد علبة ثقابه . علبة السجار بمكانها أما الثقاب فلا أثر له !. لا يمكن أن يقع ذلك مصادفة . سرق الثقاب !. ولكن من السارق و لم سرقه ؟. وماذا يراد بهم ؟!. ونادوا المعلم . نادوه بأصوات غاضبة . نادوه بأصوات رعدية ولكن لا مجيب ، لا مجيب على الإطلاق ، ولا صوت .

ـــ أين ومتى ذهب ؟

ـــ من أى منفذ تسلل ؟

ـــ ما معنى اختفائه ؟

ـــ كيف و لم سرق الثقاب ؟

ـــ لعله ذهب لقضاء أمر فدهمه حادث .



— ولم أغلق الباب ؟

— ولم سرق الثقاب ؟

— أهزر وراء ذلك أم شر ؟

— نحن مهددون فى الظلام ..

وعادوا ينادون الرجل فترتطم أصواتهم بالجدران الصماء . بحت حناجرهم ، وكلت قبضاتهم من دق الحيطان . وأطبق عليهم اليأس فى الظلام . ما عسى أن نفعل ؟ هل ننتظر إلى ما لا نهاية ؟. نستسلم حتى يتقرر مصيرنا ؟. وما مصيرنا ؟. هل جن الرجل ؟. استكانوا إلى مقاعدهم فوق الشلت وهم فى نهاية من الأعياء . كأنهم جروا شوطا قطع منهم الأنفاس أو خاضوا معركة مزقت الأوصال . حتى الخوف باخ تحت وطأة التلبد الذى أخلفه الوهن . وتثاءب شخص بصوت مسموع فجرى التثاؤب من فم إلى فم . وتساءل صوت :

— ترى هل سرقت علب الثقاب وحدها ؟

وفتشت الأيدى الجيوب حتى صاح أحدهم :

— بطاقة الشخصية !.. لا أثر للبطاقة ..

وتتابعت الأصوات :

— وبطاقتى أيضا ..

— النقود موجودة أما البطاقة فلا أثر لها .

— ما معنى هذا اللغز ؟!

وأكثر من شخص أراد معاودة النداء فخذله صوته . وعاد التثاؤب يتردد فى نغمة ممطوطة مسترخية . ثم ساد فى الظلام صمت ثقيل كأنه النوم أو الموت .

وإذا بصوت يشق الظلام متسائلا فى هدوء :

— كيف حالكم ؟

تردد الصوت فى الظلام وحده ولكن دون رد فعل فعاد يتساءل مرتفعا

درجات :

ـــ هوه .. كيف حالكم ؟

وندت حركة ضعيفة فى الظلام أعقبها صوت يقول بنبرة فازعة للأمل :

ـــ المعلم !.. من ؟.. المعلم ؟

واستبقت الأصوات مرددة : المعلم .. المعلم .. فعاد الصوت يتساءل متهكما :

ـــ كيف حالكم ؟

ـــ تسأل عن حالنا !.. أنت !.. أى دعابة سمجة ؟!

ـــ كيف حالكم ، هذا ما أسأل عنه .

ـــ أين كنت يا رجل ؟

ـــ أنا لم أبرح مكانى ..

ـــ ألا زلت مصرا على العبث بنا ؟

ـــ صدقونى فأنا لم أبرح مكانى طيلة الوقت .

ـــ كذاب .. تحسسنا موضعك فلم نجد لك أثرا .

ـــ لم يحرك أحد منكم ساكنا ..

ـــ أيها المكابر .. لقد ناديناك حتى بحت أصواتنا ودققنا الجدران حتى كلت أيدينا .

ـــ لم يحرك أحد منكم ساكنا ، صدقونى ، وكنت طيلة الوقت بينكم !

ـــ ما زلت متوهما أنك قادر على العبث بنا !

ـــ صدقونى .. لم أفعل شيئا سوى أن أخذت بطاقاتكم وعلب الثقاب .

ـــ ها أنت تعترف .. كف عن العبث .. لم نكن نعرف أنك نشال ماكر .

ـــ بل أخذتها وأنتم نيام ..

ـــ نيام !

ـــ أجل وأنتم نيام ..

ـــ لم يغمض لأحد منا جفن .

ـــ بل نمتم ساعة كاملة على الأقل أنجزت فيها مهمتى .

ـــ أنت مطالب بأن تفسر لنا سلوكك الشاذ .

ـــ طيب .. خطر لى أن أقوم بتجربة فذة .. خدرتكم بخلطة عجيبة من ابتكارى ..

ـــ إنك تهذى ..

ـــ ستفقدون ذاكرتكم قبل طلوع الفجر .

ـــ رد إلينا مسروقاتنا وافتح الباب .

ـــ واستغرقتم فى النوم ساعة كاملة تبعا للخطة ، ثم استيقظتم ، وتثاءبتم ، وندت عنكم همسات لا معنى لها ، ثم تكلمت أنا !

ـــ لن يجدى خداعك ..

ـــ نمتم ساعة بدليل أننى أخذت ما أردت أخذه منكم وأنتم لا تشعرون .

ـــ ولكننى تحسست مكانك بيدى فلم أجدك .

ـــ لم يكن باستطاعتك أن تحرك يدك .

ـــ ودققنا الجدار ونادينا بأصوات كالرعد ..

ـــ عجزتم عن ذلك كما تعجزون عنه الآن ، ولكنكم توهمتم أفعالا لم تخرج فى حقيقتها عن نطاق رءوسكم ، كانت أفعالكم كالظلام الذى يلفكم لا وجود حقيقى لها ..

ـــ ألا ترى أننا غير مستعدين للهزل ؟

ـــ ستفقدون الذاكرة قبل الفجر ، لن يعرف أحدكم نفسه فضلا عن الآخرين !

ـــ ألا ترى ..

— لذلك استوليت على بطاقاتكم ، لن يعرف أحدكم نفسه وهيهات أن يعرفه أحد .

— اغسل رأسك بماء بارد .. أسرع ..

— غدا صباحا لن يوجد منكم أحد ، ستختفون كما أختفت بطاقاتكم ..

— هل جننت يا رجل ؟

— ليكن ، ماذا جنيتم من عقلى ؟، فلتجربوا جنونى ، وسوف أخدر نفسى بابتكارى العجيب ، ومن حسن الحظ أننى لا أملك بطاقة من الأصل ، فلنشكر للظلام والصمت واللبن أياديها ..

— يا مجنون يا مخرف ..

— ستفقدون القدرة على الكلام كما فقدتم القدرة على الحركة ، سوف ألحق بكم أعدكم بذلك ، انطرحوا جثثا فوق الشلت فغدا سيستقبلكم الخلاء أجسادا فتية مبللة بندى الحقول .

وساد الصمت . لم ينبس أحدهم بكلمة ، وترددت أنفاس نوم عميق . وجعل ينقل بصره من واحد لآخر ثم تنهد بارتياح متمتما :

— مبللة بندى الحقول .

الوجه الآخر



زارنى عثمان بعد غياب طال بسبب خدمة طويلة فى الأقاليم . تعانقنا بحرارة . تذاكرنا عهدا ماضيا امتد من الطفولة مارا بالشباب حتى الكهولة . وقد عاد ليشغل وظيفة هامة رئيسية فى جهاز الأمن عقب انتصارات خطيرة أحرزها فى مطاردة المجرمين . وبعد أن شرق بنا الحديث وغرب سألنى :

ــ هل ترى رمضان ؟

توقعت هذا السؤال طيلة الحديث . حدثنى قلبى بأنه آت لا ريب فيه وأجبت بأمانة :

ــ أجل ، بين حين وآخر ..

ــ ما زلتما صديقين ؟

ــ أجل !

ــ أليس غريبا أن تظلا صديقين وأنت المربى الفاضل ؟!

ــ الأمر لا يخلو من غرابة ولكنها عشرة عمر ، ثم إنه يلقانى إذا جاء كشخص أليف مستأنس كأنما لا يمت بصلة إلى الشخص الآخر المثير للفزع ..

ــ لا أتصور ذلك !

ــ ولكنها حقيقة ، وعلاقته بى هى العلاقة الإنسانية الوحيدة فى حياته فلا عجب أن يحرص عليها ..

ــ قد يدهمك بغدره على غير انتظار .

ــ لا سبب يدعو إلى ذلك ألبتة ..

تنهد بحزن عميق . وشاركته مشاعره . إنه شقيقه . وهو يمثل نقطة سوداء دامية فى حياته وحياة أسرته . نشآ فى بيت واحد . نشأنا فى حارة واحدة تحت ظل جيرة حميمة .. ولكن رمضان كان دائما ريحا هوجاء تعصف الوجوه بالطين

والتراب . وسألنى :

ــ هل تستطيع أن تهيىء لى لقاء معه فى بيته ؟

تفكرت مليا فى قلق فعاد يقول بإلحاح :

ــ لا بد من ذلك ، إنى مسئول عن الأمن ، وأنت أدرى بما فى موقفى من حرج ..

ــ ولكنه .. أعنى ..

ــ ولكنه يمقتنى ويسىء بى الظن ، غير أنه سيثق فى كلمتك ..

ــ أعدك بالسعى إلى تحقيق رغبتك ولكن عدنى بالتزام الحلم إلى أقصى حد مهما لقيت من استفزاز .

ــ ليس فى نيتى طبعا أن أعرض بيتك المنعزل فى الضاحية الهادئة للفضيحة .. إنى أعطيك كلمة شرف وأنت أدرى بقدرتى على ضبط النفس .

ــ وقد وعدتك ..

ــ تبدو غير متحمس ؟

ــ فعلا ..

ــ وتراه لقاء عقيما ؟

ــ أى نعم .

ــ ولكن لا بد منه ..

ــ أى نعم .

وتبادلنا نظرة طويلة حزينة . وتلبدت سماؤنا بغيوم الذكريات المتجهمة . الصداقة الحميمة وقوى الهوس الصبيانى التى انقلبت مع الزمن شرا كاسرا . وقال بنبرة كئيبة :

ــ لم أكن أتخيل أنه سيتردى إلى هذه الدرجة من الحضيض !

ــ ولا أنا ، ولو أن العمر والتجربة ومزاولة التربية لم تدع لى مجالا واسعا

للدهشة .

— وكم أرقتنى أنباء تدهوره وأنا بعيد عن العاصمة .

— لم يكن فى الوسع صنع شىء .

— لا أشك فى أنك حاولت الإصلاح ما وسعك ذلك !

— طبعا ، ولكن النصيحة تؤجج ناره ، فتجنب الحديث الشائك .

— واحتفظت بصداقته رغم ذلك ؟

— كان الذى بيننا أعمق من أخوة حميمة ، ثم إن الإنسان الذى يجىء لمقابلتى إنسان آخر ، طيب المعشر عامر بأجمل الذكريات ، يفيض بالود قلبه ..

— وكيف تفسر ذلك ؟

— إن الحية الغادرة لا تخلو من عواطف أمومة !

— ولكنك تعلم أنه وحش قذر وعار إنسانى !

— لن أدافع عن نفسى فإنى صديقه كما أنك شقيقه ..

— لا زلت أعجب أنك لم تقطعه !

داريت ابتسامة كئيبة وقلت :

— إنه ليس كائنا من جنس آخر غير جنسنا ، الحكاية أنه أسير الأهواء التى وفقنا إلى كبحها ..

— هو الفرق بين المدنية والوحشية ..

— إنى لا أدافع عن انحرافه ..

ولذنا بالصمت مليا ثم عاد يسأل :

— هل زرت مخبأه فى الجبل ؟

تساءلت بدورى ضاحكا :

— هل تبدأ التحقيق معى ؟

فضحك ضحكة فاترة و لم ينبس فقلت :

ـ لا أدرى شيئا عن هذا المخبأ المزعوم .

فقال بامتعاض :

ـ اعتداء ، برمجة ، بلطجة ، مخدرات ، عربدة ، سرقة ونهب ، هتك أعراض ..

ـ أما المبالغات فقد خلقت منه أسطورة ..

ـ إنى أعرفه من المهد ، وأنت كذلك ..

ـ أى نعم !

ـ كنا ثلاثة ، وكنا واحدا ..

ـ أجل ..

ـ انظر كيف انشق وانحرف ..

ـ يا للأسف ..

ـ شرير بطبعه !

ـ الأفضل أن نقول إن ثمة معاملات صادفته داخل البيت وأخرى فى الطريق .

ـ لا هذه ولا تلك يمكن أن تبرر هذا المصير الأسود .

ـ أنا لا أدافع عنه ، ولا جدوى من ذلك ..

نهض وهو يقول إنه آن له أن يذهب ، ذكرنى بوعدى . ثم ودعنى وانصرف .

* * *

وقلت لرمضان ونحن نحتسى الشاى بعد العشاء :

ـ أحدهم يروم مقابلتك .

حدجنى بنظرة ثاقبة . نظرة ينفذ بها إلى باطن محدثه إذا تشمم وراء كلماته أمرا . وقال متهكما :

ـــ إن تكن امرأة فأهلا وسهلا بها ..

وأدركت أنه أدرك ببساطة :

ـــ إنه رجل ، ومن رجال الأمن .

فقال مقطبا :

ـــ توقعت ذلك مذ علمت بعودته إلى العاصمة .

ـــ هذا يقطع بحسن ظنك به ..

فتقلص وجهه غضبا ـــ وما أسرع انفعالاته ـــ وقال :

ـــ اللعنة !.. إنه مثال العقل كما يقولون ، ولعله ازداد مع الأيام ثقل ظل ..

ـــ لا شك أن وراء رغبته بواعث طيبة ..

ـــ منذ المهد وهو يود القضاء على !

ـــ كان يود لك أن تسلك فى الدنيا مسلكه ..

ـــ العقل .. الاتزان .. الاعتدال .. النظام .. الاجتهاد .. الأدب ، إنه رمز الموت فى عينى !

يا للذكرى . شد ما تبادلا المقت . وبازدراء متقزز كان عثمان يقول عنه « عاصفة مجنونة .. نزوة بلا ضابط .. ثور هائج معصوب العينين .. مجموعة من الأكاذيب والخرافات » . شد ما تبادلا المقت ولكن من الغريب أننى أحببتهما معا . عثمان كان الرفيق الذى شجعنى على الدرس والخلق والوطنية وأما رمضان فكنت أهرع إليه ليروى ظمئى المكبوت إلى الانطلاق والأسطورة والغاية . وقلت له :

ـــ إنه أخوك على أى حال .

ـــ ماذا يريد منى ؟

ـــ ليس من الصعب أن نتخيل ..

ـــ لعلها مكيدة !



فقلت محتجا :

ـــ كلا .. ألف مرة كلا ..

ـــ العقل يعنى الحكمة والأنانية والجبن !

ـــ لك أن ترفض إذا شئت ..

ـــ يجب أن يعرف أننى لا أخشاه .

ـــ إذن فلنحدد موعدا ؟

ـــ ولكننى لن أقع كذبابة ..

ـــ والرأى ؟

ـــ لعله يريد أن ينتقم ؟!

ـــ لقد انقضى الماضى واختفى وهو اليوم زوج وأب سعيد .

تذكرت عروس عثمان الأولى التى هربت مع رمضان موقعة بالأسرة زلزالا . وكيف عاملها بعد معاشرة أسبوع بوحشية حتى اضطرت إلى الاختفاء مجللة بالعار واليأس . وعدت أقول :

ـــ لقد مضى ذلك وانقضى !، ولك أن ترفض إذا شئت .

فتفكر مليا ثم قال :

ـــ ادعه .. وسوف أحضر متأخرا بعد أن آخذ حذرى ..

* * *

وجاءنا رمضان ونحن ندخن فى حجرة المكتب . ووقف عثمان لاستقباله فالتقيا وجها لوجه بعد فراق ربع قرن من الزمان . نظرت إليهما باهتمام محموم وقلبى يخفق . تقابلا بوجهين جامدين لم يتحركا باختلاجة عاطفية واحدة . وتصافحا مصافحة رسمية باردة ، وقال عثمان :

ـــ أشكرك على قبول دعوتى ..

وجلس عثمان على مقعده على حين جلس رمضان إلى جانبى على الكنبة .

واقترحت أن أنصرف ولكنهما أصرا — معا — على استبقائى . وقال عثمان مخاطبا أخاه :

— لا أظنك تجهل السبب الذى دعوتك من أجله ..؟

قال رمضان ببرود :

— صارحنى بما لديك .

— طيب نحن نعمل الآن فى مدينة واحدة ، ويحسن بنا أن نتجنب — ما وسعنا ذلك — وقوع المأساة .

— المأساة ؟!

لم يخدع بتجاهله إذ كان على يقين من إدراكه لما يعنيه ولذلك واصل حديثه قائلا :

— عندى اقتراحان ..

فتساءل رمضان وهو يرمقه بتحد :

— أولهما ؟

— أن تسلم نفسك معلنا توبتك ولعل ذلك يخفف من عقوبتك ..

— وثانيهما ؟

— أن تبتعد عن طريقى بالوسيلة التى تختارها .

ضحك رمضان ضحكة هازئة ولاذ بالصمت . انتظر عثمان مليا ثم تمتم :

— الحق أنى لم أتوقع خيرا !

— إذن فلم دعوتنى ؟

— لكى أبرىء ذمتى .

قطب رمضان غاضبا وقال :

— طالما رغب كلانا فى القضاء على الآخر !

— هذا حق فيما يتعلق بك .

— وفيما يتعلق بك أيضا ولكن كان لك أسلوبك الخاص .

— لا جدوى من الجدل ، والأفضل أن تفكر فيما عرضته عليك .

— لن تظفروا بدليل ضدى ولا شاهد ..

— أنصحك بألا تطمئن إلى ذلك .

— جرب حظك إذا شئت .

— سأجربه بلا أدنى تردد .

بدهتنى حقيقة طريفة . إنهما كانا يقتتلان طيلة العمر ومذ كانا فى المهد . لم يجد جديد سوى أنهما سيتلاقيان وجها لوجه . سيكتشف كلاهما عما قريب أنه كان يقاتل شقيقه أو جزءا من نفسه .

نهض رمضان قائما . لوح بيده محييا . ومضى عابسا عصبى الخطوات .

* * *

بدأت المعركة بين الشقيقين عقب ذلك الاجتماع بأيام . دهمت قوات الأمن جميع الأماكن المشبوهة فى المدينة والجبل والخلاء . قبض على جميع من ظن أن لهم بالرجل علاقة من الرجال والنساء . واستجوبوا بعنف فتتابعت الاعترافات . وتضاعف عدد المقبوض عليهم بعد أن ثبت أن أعوانه منبثون فى أماكن لا حصر لها كالملاهى والأندية والمقاهى والمصالح الحكومية ، حتى أماكن العبادة لم تخل منهم . وتدفقت القوات بكل ثقلها فى مطاردة عنيفة جللت المدينة بطابعها الإرهابى فذكرت الناسين بأيام الطوارىء وليالى الغارات . فتشت العيون السيارات والتاكسيات والناقلات . ومسحت الكشافات زوايا الجسور ومنعطفات الطرق والخرابات . وطوفت القوارب الشراعية فوق سطح النيل واقتحمت الخلوات على العاشقين . ومكالمة تليفونية عابثة كانت خليقة بأن تحرك فرقة كاملة من الشرطة وتزلزل عمارة آمنة . وندبة فى أنف رجل برىء أو بروز غير عادى فى جبهته قد تجر عليه من الويلات ما لم يكن يحلم به . ولم يكن

من النادر أن تند عن ركن من الطريق صيحة ، تعقبها أصوات أقدام راكضة ، ثم تنطلق رصاصات . فيخلو الطريق فى ثوان . وتنقض على أديمه مطاردة عنيفة لا تنتهى إلى شىء . وأظلت المدينة سحابة قاتمة تقطر رعبا .

* * *

تابعت أخبار المعركة باهتمام لم أشعر بمثله من قبل . وكنت على يقين من الخسران الشخصى مهما تكن نتيجة المعركة . فلا مفر من أن أفقد أحد أحب رجلين إلى قلبى . وموقف الحياد بينهما لا يهضمه ضميرى فلا بد من الانحياز إلى عثمان . غير أن عواطفى تمردت على واقتتلت بمرارة ومزقتنى تمزيقا . فكلما أحرز رجال الأمن انتصارات حاسمة داخلتنى كآبة وأشفقت من خلو عالمى من رمضان ومرحه وأساطيره ومغامراته فى دنيا الجنس والتحدى . وكلما فاز الرجل فى مطاردة ونشر الرعب من حوله وهدد أخاه انقبض قلبى واستشعرت خوفا من تسلط قوى الهدم والعربدة وتمكنها من تقويض دعائم الأمن والحضارة . وانبهم أمرى على نفسى و لم أعد أدرى أى رجل أكون ، ولا ماذا أروم ، ولا كيف أبلغ التوازن المنشود . هكذا تابعت أنباء المعركة باهتمام وانفعال وخجل وحيرة ..

* * *

وانتهت المعركة إلى خاتمتها المحتومة . وطلعت علينا الصحف ذات صباح بصورة رمضان وقد خر صريعا مضرجا بدمه . انقضت المطاردة الجهنمية وأيام القلق ولياليه . رنوت إلى الصورة طويلا حتى شعرت بالدمع يدب فى أعماق عينى . وحنقت ، امتلأت بالحنق ، ولكننى لم أدر علام أحنق . وازدحمت مخيلتى بالقوى الكونيـة المدمرة كالـزلازل والبراكين والأعـاصير والشهب والفياضانات والجراثيم . و لم أدر هل أتذكرها على سبيل التشفى أو لأعرف موضعها بين الخير والشر .

وزارنى عثمان بعد ذلك بأيام . كان كل شىء فى الدنيا قد انقلب رأسا على

عقب . فى دنياى على الأقل . وبخلاف العهد وجدت نحوه نفورا مرضيا بذلت قصاراى لأروضه وأذهبه . وشعرت فى ذاتى بعديد من الشخوص تتصارع وتتجاذب بعنف جنونى . جلسنا على مقعدين متقاربين وهو يطالعنى بنظرة ثقيلة تنم عن روح ميت . وفصل بيننا صمت غامض لا يريد أن ينقشع . وأخيرا تململ فى مجلسه قائلا :

— إرادة الله ولا راد لإرادته ..

فقلت أو قال لسانى بلا وعى :

— إنى أرمل وحيد وقد امتلأ البيت بالأشباح ..

تفحصنى بقلق ثم قال :

— إنك لا تبدو كما عهدتك . أأنت مريض ؟

— لا أشكو إلا من الأشباح ..

— أنت لا تعنى ما تقول ؟

فقلت وأنا أضحك ضحكة رجل نسى تماما كيف يسيطر على نفسه :

— عشت عمرى متوهما أن سلوكك كان المثل الذى قادنى إلى طريق النجاح حتى تبوأت مكانى المرموق فى عالم التربية !

— لعلك تبالغ ..

— فعلا .. إنى نجحت بفضله هو ، هذه هى الحقيقة !

— هو ؟

— الرجل الذى عبأت قوى الأمن لقتله ..

— حديثك يقلقنى ..

— شبح من الأشباح أكد لى ذلك !

— عزيزى !

— صه .. وقال لى أيضا إن رمضان انطلق من قاعدة لا يمكن الدفاع عنها

ولكنه اتبع أسلوبا رائعا ، أما نحن — أنا وأنت — فلنا قاعدة لا يمكن الهجوم عليها ولكننا نتبع أسلوبا سمجا ميتا ..

— لا أفقه لقولك معنى ..

— من العسير فهم لغة الأشباح ..

— صديقى .. إنك فى حاجة إلى نوم عميق ..

— إنى فى حاجة إلى يقظة مجنونة .. هكذا قالت الأشباح .

— جئتك بعد أن أضنانى الغم ..

— وسقونى جرعات ضخمة من شراب الأعاصير .. وقالوا لى إن من يهدم مدينة خير ممن يحافظ على جدار قديم ..

ونهضت فجأت ورحت أتمشى فى الحجرة متوكئا على عصا ، فهتف بى :

— إنك تعرج ..

فأشرت إلى ركبتى وقلت :

— التهاب أصابنى صباح اليوم المشئوم ..

— زرت طبيبك ؟

— كلا سأجد دوائى عند الأشباح ..

اربد وجهه باليأس فهتفت متشفيا :

— سأنبذ التربية والقواعد والطقوس ، ابتعت لوحة وعلبة ألوان وأقلاما وفرشاة ، سأعمل مصورا ، مصورا أعرج ، وقد جئت بامرأة عارية كنموذج ..

وأزحت الستار عن باب الحجرة المجاورة فتبدت عارية وهى تنظر إلينا بهدوء وتحد !. ردد عينيه عثمان بينها وبينى فى ذهول فصحت ضاحكا :

— لعلك تسألنى عما أدرانى بقواعد الرسم وأصوله ؟.. حسن ، لن يعرقلنى شىء ، سأقبض على الأدوات وأدمر كل شىء ..

ورميت عينيه المحملقتين بنظرة متحدية وقلت بهوس :

ـــ لقد أضعت أيامى فى صحبة العقلاء ، سألهو بالأشياء العميقة ، سأنصب شراعى فى مهب العاصفة . سأسحق مقتنياتى وأقذف بها للرياح ، سأعرض عن العقلاء الشرفاء ، وليجرفنى الدوار ، فليكونوا سعداء نافعين ولأكن مجنونا مخربا وليتقبلنى الشيطان ، وتسألنى عن القواعد والتقاليد فأقول لك إنه لن يعرقلنى شىء ، سأقبض على الأدوات وأدمر كل شىء !

ومضيت بعزم نحو الفتاة العارية وأسدلت الستار ورائى .

الحاوي خطف الطبق



قالت لى أمى :

ــ آن لك أن تكون نافعا .

ودست يدها فى جيبها وهى تقول :

ــ خذ هذا القرش واذهب لتشترى الفول ، لا تلعب فى الطريق وابتعد عن العربات .

تناولت الطبق ولبست قبقابى وذهبت وأنا أترنم بأغنية . وجدت زحاما أمام بياع الفول فانتظرت حتى عثرت على منفذ إلى الطاولة الرخامية وهتفت بصوتى الرفيع :

ــ بقرش فول يا عم .

سألنى بعجلة :

ــ فول خالص ، بزيت ، بسمن ؟

لم أجد جوابا فقال لى بخشونة :

ــ وسع لغيرك .

تراجعت مسحوبا بخجلى وعدت إلى البيت خائبا فصاحت بى أمى :

ــ راجع بالطبق فارغا ، دلقت الفول أم ضيعت القرش يا شقى ؟

فتساءلت محتجا :

ــ فول خالص ، بزيت ، بسمن ، لم تخبرينى !

ــ يا خيبة ، ماذا تأكل كل صباح ؟

ــ لا أعرف ..

ــ خيبة .. خيبة ، قل له فول بزيت ..

مضيت إلى البياع وقلت له :

— بقرش فول بزيت يا عم .

سألنى مقطبا نافد الصبر :

— زيت حار ، زيت طيب ، زيت زيتون ؟

بهت فلم أحر جوابا أيضا فصاح بى :

— وسع لغيرك ..

رجعت مغيظا إلى أمى فهتفت داهشة :

— عدت كما ذهبت ، لا فول ولا زيت .

فقلت بغضب :

— زيت حار .. زيت طيب .. وزيت زيتون .. لِمَ لَم تخبرينى ؟

— فول بزيت يعنى فول بزيت حار .

— إيش عرفنى ؟

— أنت خيبة وهو رجل متعب ، قل له بزيت حار .

ذهبت مسرعا وهتفت بالبياع وأنا على مبعدة أمتار من دكانه :

— فول بزيت حار يا عم .

وقفت ورأسى بحذاء الطاولة الرخامية وأنا ألهث . وكررت بانتصار :

— فول بزيت حار يا عم .

دس المغرفة فى القدر قائلا :

— ضع القرش على الرخامة .

وضعت يدى فى جيبى فلم أعثر على القرش . فتشت عنه بقلق . قلبت الجيب ظهرا البطن ولكنى لم أجد له أثرا . استرد الرجل المغرفة فارغة وهو يقول بقرف :

— ضيعت القرش ، أنت ولد لا يعتمد عليك .

نظرت فيما تحت قدمى وحوالى وأنا أقول :

— لم أضيعه .. كان فى جيبى طول الوقت .

— وسع لغيرك وقل يا فتاح يا عليم .

عدت إلى أمي فارغا فصرخت فى وجهى :

— يا خبر اسود ، أنت يا ولد عبيط ؟

— القرش .

— ماله ؟

— ليس فى جيبى .

— اشتريت به حلوى ؟

— أبدا والله .

— كيف ضاع ؟

— لا أعرف .

— تقسم على المصحف أنك لم تشتر به شيئا ؟

— أقسم ..

— جيبك مثقوب ؟

— أبدا .

— ربما تكون أعطيته للبياع فى المرة الأولى أو الثانية ؟

— يمكن .

— ألست متأكدا من شيء ؟

— أنا جائع !

ضربت كفا بكف وقالت :

— أمرى لله ، سأعطيك قرشا آخر ولكنى سآخذه من حصالتك ، وإذا عدت بالطبق فارغا سأكسر رقبتك ..

وذهبت جريا وأنا أحلم بفطور لذيذ . وعند المنعطف المفضى إلى حارة البياع رأيت حلقة من الصبيان والأطفال وسمعت تهليل أفراح . ثقلت قدماى وشد

قلبى إليهم . على الأقل ألقى نظرة عابرة . اندسست بينهم ، فإذا بالحاوى يطالعنى . غمرتنى فرحة مذهلة . نسيت نفسى تماما . استمتعت بكل قوة بألعاب البيض والأرانب والحبال والثعابين . ولما اقترب الرجل ليجمع النقود تراجعت هامسا « لا نقود معى » انقض على متوحشا . تخلصت منه بصعوبة . جريت ولكمته تشق ظهرى . ولكنى سعدت للغاية. وذهبت إلى البياع وأنا أقول :

— بقرش فول بزيت يا عم .

جعل ينظر إلى ولا يتحرك فكررت الطلب فسألنى بغيظ :

— هات الطبق ..

— الطبق !. أين الطبق ؟. سقط منى وأنا أجرى ؟. خطفه الحاوى ؟.

— أنت يا ولد عقلك ليس فى رأسك !

عدت أفتش فى الطريق على الطبق المفقود . وجدت موضع الحاوى خاليا ولكن أصوات الأطفال دلتنى عليه فى حارة قريبة . درت حول الحلقة لمحنى الحاوى فصاح بى مهددا :

— ادفع أو فاذهب أحسن لك .

فهتفت بيأس :

— الطبق !

— أى طبق يابن الشياطين ؟

— رد إلى الطبق .

— اذهب وإلا جعلتك طعاما للثعابين .

إنه سارق الطبق . ولكنى ابتعدت عن مرمى عينيه أتقاء لشره . ومن القهر بكيت . وكلما سألنى مار عما يبكينى قلت له « خطف الحاوى الطبق » . وانتبهت من كربى على صوت يقول « اتفرج يا سلام » . نظرت خلفى فرأيت

صندوق الدنيا قائما ، ورأيت عشرات من الأطفال تهرع إليه . وتتابع وقوف المشاهدين أمام عينى الصندوق وراح الرجل يشرح الصور بإغراء « عندك الفارس الهمام ، وست الكل زينة البنات » . جفت دموعى وتطلعت إلى الصندوق بشغف . نسيت الحاوى تماما والطبق . لم أستطع مقاومة الإغراء . دفعت القرش ووقفت أمام العين إلى جانب بنت وقفت أمام العين الأخرى . تسلسلت أمام ناظرى صور الحكايات الخلابة . ولما عدت إلى دنياى كنت فقدت القرش والطبق و لم يعد للحاوى من أثر ، لم أفكر فيما فقدت واستغرقتنى صور الفروسية والحب والصراع . نسيت جوعى . حتى المخاوف التى تتهددنى فى البيت . نسيتها . تراجعت خطوات لأستند إلى جدار أثرى كان يوما ما مبنى لبيت المال ومقرا للقاضى ، واستسلمت بكليتى للأحلام . حلمت طويلا بالفروسية وزينة البنات والغول . وتكلمت فى حلمى بصوت يسمع ولوحت بيدى بأكثر من دلالة . وقلت وأنا أدفع بالحربة الخيالية :

— خذ يا غول فى قلبك .

وجاءنى صوت رقيق قائلا :

— ورفع زينة البنات خلفه فوق الحصان !

نظرت إلى يمينى فرأيت الصبية التى زاملتنى فى الفرجة . تبدت فى فستان متسخ وقبقاب ملون وهى تعبث بضفيرتها الطويلة . وفى يدها الأخرى حبات بيضاء وحمراء من « براغيث الست » تستحلبها على مهل . تبادلنا النظر . مال قلبى إليها فقلت لها :

— نجلس لنستريح .

بدت مستسلمة لاقتراحى فأخذتها من ذراعها ودخلنا من بوابة الجدار الأثرى فجلسنا على درجة من سلمه الذى لا يفضى إلى شىء . سلم يرتفع درجات حتى ينتهى إلى بسطة تلوح وراءها السماء الزرقاء والمآذن . جلسنا صامتين جنبا إلى



جنب . قبضت على يدها وجلسنا صامتين لا ندرى ماذا نقول . وتناوبتنى مشاعر غريبة وجديدة ومبهمة . قربت وجهى من وجهها فشممت رائحة شعرها الطبيعية تخالطها رائحة ترابية وعبير أنفاس ممزوج بشذا الحلوى . قبلت شفتيها . ازدردت ريقى الذى اقتبس مذاقا حلوا من ذوب براغيث الست . أحطتها بذراعى دون أن تنبس بكلمة ، وأقبل خدها وشفتها ، فتسكن شفتاها عند تلقى القبلة ثم تعودان إلى استحلاب الحلوى . وقررت أخيرا أن تقوم . قبضت على ذراعها بجزع وأنا أقول :

— اجلسى .

فقالت ببساطة :

— أنا ذاهبة .

فسألتها بضيق :

— إلى أين ؟

— إلى أم على الداية .

وأشارت إلى بيت يقيم أسفله كواء بلدى

— لماذا ؟

— لأقول لها أن تأتى بسرعة .

— لماذا ؟

— أمى تصرخ فى البيت ، قالت لى اذهبى إلى أم على الداية وقولى لها أن تأتى بسرعة ..

— وستعودين بعد ذلك ؟

فهزت رأسها بإلايجاب وذهبت . تذكرت بذكر أمها أمى . انقبض قلبى غادرت السلم الأثرى عائدا إلى البيت . بكيت بصوت مرتفع وهى طريقة مجربة أدافع بها عن نفسى . توقعت أن تجيئنى ولكنها لم تأت . تنقلت بين المطبخ

وحجرة النوم فلم أعثر لها على أثر . أين ذهبت الأم ؟. ومتى ترجع ؟. وضقت بالبيت الخالى . وخطر لى خاطر طيب . أخذت من المطبخ طبقا ومن حصالتى قرشا وذهبت من فورى إلى بياع الفول . وجدته نائما على أريكة أمام الدكان مغطيا وجهه بذراعه . اختفت قدر الفول وأعيدت قوارير الزيت إلى الرف وغسلت الرخامة ، اقتربت منه هامسا :

— يا عم ..

فلم أسمع إلا شخيره . لمست كتفه فرفع ذراعه فى انزعاج وطالعنى بعينين حمراوين :

— يا عم ..

انتبه إلى وجودى وعرفنى فسألنى بخشونة :

— ماذا تريد ؟

— بقرش فول بزيت حار ..

— هه ؟

— معى قرش ومعى الطبق .

صرخ فى وجهى :

— أنت مجنون يا ولد ، اذهب وإلا كسرت دماغك .

ولما لم أتحرك دفعنى بيده دفعة قوية ألقتنى متقهقرا على ظهرى . نهضت متألما وأنا أقاوم البكاء الذى يلوى شفتى ، ويداى قابضتان إحداهما على الطبق والأخرى على القرش . رميته بنظرة غاضبة . فكرت فى عودة خائبة يائسة ، ولكن أحلام الفروسية عدلت من خطتى . صممت واتخذت قرارا سريعا . وبكل قوى ساعدى رميته بالطبق . طار الطبق فأصاب رأسه . ركضت بسرعة لا ألوى على شىء . وملأنى اليقين بأننى قتلته كما قتل الفارس الغول . ولم أتوقف عن الجرى إلا على مقربة من الجدار الأثرى . نظرت خلفى وأنا ألهث فلم أر أثرا

لمطاردة . وقفت حتى تمالكت أنفاسى ثم ساءلت نفسى ما العمل وقد ضاع الطبق الثانى . وشيء يحذرنى من العودة المباشرة إلى البيت . وما لبثت أن استسلمت إلى موجة من الاستهانة تحملنى إلى حيث تشاء . هى علقة لا أكثر ولا أقل وسأنالها لدى العودة ، فلنؤجل العودة إلى حينها . وها هو القرش فى يدى ، ويمكن أن أحظى بمتعة لا بأس بها قبل العقاب . قررت أن أتناسى جريمتى ولكن أين الحاوى ، وأين صندوق الدنيا . فتشت عنهما هنا وهناك بلا ثمرة . أرهقنى البحث العقيم فمضيت إلى السلم الأثرى وراء الميعاد . جلست أنتظر وأتخيل اللقاء . تاقت نفسى إلى قبلة أخرى معبقة بشذا الحلوى . واعترفت فيما بينى وبين نفسى بأن الصبية وهبتنى مشاعر لم أجرب أطيب منها من قبل . ولفيما أنتظر وأحلم ترامى إلىّ همس من الجهة الخلفية . رقيت فى الدرج بحذر وعند البسطة الأخيرة انبطحت على وجهى لأرى ما وراءها دون أن يلمحنى أحد . رأيت خرابة مطوقة بسور عال ، وهى آخر ما بقى من بيت المال ومقر قاضى القضاة . وتحت السلم مباشرة جلس رجل وامرأة . هما مصدر الهمس ، أما هو فأشبه بالمتشردين ، وأما هى فغجرية ممن يرعين الأغنام . صوت باطنى مريب قال لى بأنهما يجتمعان فى « ميعاد » كالذى جاء بى . بذلك تنطق الشفاه والنظرات والأعين ولكنهما على خبرة مدهشة ويفعلان أمورا لا يحيط بها الخيال . شد بصرى إليهما مشدوها فى استطلاع ودهشة ولذة و لم يخل من انزعاج .

وجلسا أخيرا جنبا إلى جنب ، لم يعد يهتم أحدهما بالآخر . وبعد فترة ليست بالقصيرة قال الرجل :

— النقود !

فقالت بضيق :

— أنت لا تشبع .

بصق على الأرض ثم قال :

ـــ أنت مجنونة .

ـــ أنت لص ..

بظهر يده لطمها لطمة قوية . قبضت حفنة تراب وقذفتها فى وجهه . انقض عليها بوجه مغبر فأنشب أصابعه فى زمارة رقبتها . بدأ صراع جهنمى مرير . ركزت قواها عبثا لتخليص رقبتها من يده ، احتبس صوتها ، جحظت عيناها ، ضربت بقدميها الهواء . حملقت فزعا أخرس حتى رأيت خيطا من الدم يتسلسل من أنفها . فرت من فمى صرخة . زحفت إلى الوراء قبل أن يرفع الرجل رأسه . هبطت السلم وثبا وعدوت كالمجنون إلى حيث تحملنى قدماى . لم أتوقف عن العدو حتى انقطعت منى الأنفاس . جعلت ألهث دون أن أرى شيئا مما حولى . ولما انتبهت إلى نفسى وجدتنى تحت قبو مرتفع يتوسط مفترق طريق . لم تطأه قدماى من قبل ولا فكرة لى عن موقعه بالنسبة لحينا . وكان يقتعد جانبيه شحاذون لا يبصرون . ويعبره فى شتى نواحيه أناس لا يلتفتون إلى أحد . أدركت بخوف أننى ضللت الطريق ، وأن متاعب لا حصر لها تتربص بى حتى أهتدى إلى سبيلى . هل ألجأ إلى أحد المارة لأسترشد به ؟. ولكن ما العمل لو ساقنى الحظ إلى رجل كبياع الفول أو متشرد الخرابة ؟! هل تقع معجزة فأرى أمى مقبلة فأهرع إليها بكل قلبى ؟. هل أجرب السير وحدى فأتخبط حتى أعثر على أثر أستدل به على طريقى ؟.

وقلت إن علىّ أن أحزم أمرى ، بسرعة ودون تردد ، فقد أخذ النهار يولى ، وعما قليل سيهبط الظلام من مجاهله .

ثلاثة أيام في اليمن



١

الأديب

ها هى السيارة تنطلق والقاهرة تبتعد . تطايرت الهموم وخفقت القلوب فى طريق السويس . وقال فى صوت حنون :

ـــ لن نفترق زهاء أسبوعين ، كم تمضى أيام طويلة دون أن يرى أحدنا الآخر ..

أحدقت بنا لا نهائية الصحراء من الجانبين فأهدت إلينا هواء منعشا رغم حرارة يوليو . وصلنا إلى ميناء الأدبية مع المساء . تعلقت أعيننا بالسفينة الراسية عند الشاطىء حينا ثم أخذنا سبيلنا بين صفوف من الجند وأكوام من المؤن والذخيرة . مضى بنا المرشد إلى مركز التشهيلات . تم التعارف بيننا وبين الضابط ثم جلسنا ننتظر . إنه ليس بضابط كلا ، إنه دوامة مكهربة . يحرك الجنود والموظفين بأصابعه العشرة وبحاجبيه وأنفه وشفتيه ويتكلم من خلال عشرة تليفونات . وكلما مر بنا بصره تفحصنا باسما وهز رأسه هزة تدعو للتساؤل والفضول . آلو .. ليتقدم حملة صناديق الذخيرة ، يا عم حسنين ، أنت مسئول عن توصيل البطاطس .. هات الساركى ، اسمعنى يا يسرى السطح الأمامى من الدور الأول للسرية الثالثة ، عليوة راجعت شهادات التطعيم ؟، مرحبا بضيوفنا الأدباء مرحبا .. سمعت عبد الوهاب وهو يغنى قصيدتك يا أستاذ ، انتهيتم من التيفود ؟.. والكوليرا ؟.. آلو .. انتهى التطعيم ؟، أما مقالاتك أنت يا أستاذ فهى السحر الحلال ، آلو .. أرسل شخصا لتطعيم الأدباء ..

ــ تم تطعيمنا ضد الكوليراوالجدرى !

ــ والتيفود ؟

ــ أكدوا فى البلدية إلا ضرورة لذلك .

ــ التيفود مهم جدا .. دعونى أتصرف فأنا منذ الساعة مسئول عن الحركة الأدبية فى مصر ..

ــ ولكنكم تعطون الحقن بطريقة عسكرية .. أعنى ..

ــ يا رب السماوات !.. أيخاف من الحقن أصحاب « البيداء تعرفنى » و علو فى الحياة وفى الممات » ؟!

استسلمنا . اجتزنا فترة عصيبة لم تخل من التأوهات . ولما انتهى التطعيم قال :

ــ انتهينا من الكوليرا والجدرى والتيفود ..

ثم وهو يتصفح وجوهنا بنظرة غامضة :

ــ أما بقية الحميات هناك فلم يكشف الطب سرها بعد ..

تبادلنا نظرات ارتياب وتوجس على حين انصرف عنا فى غير مبالاة . وجرى التهامس بيننا فى إشفاق :

ــ أحق ما يقول ؟

ــ يبدو الأمر جدا .

ــ إذن ما معنى هذه الرحلة ؟

ــ لننفعل بالأحداث .

ــ أليس من الأسلم أن ننفعل فى القاهرة ؟

ــ وهؤلاء الجنود أليسوا بشرا مثلنا ؟

ــ ولكنهم جنود !

ــ لعله يمازحنا ..

وإذا به يلتفت نحونا هاتفا :

ـــ ستنفعلون أولا وقبل كل شيء بالحميات المجهولة !

وضحكنا طويلا . ضحكنا وكأننا نتسول تكذيب الظنون . ضحكات هى الأصوات المسموعة للقلق المتطاحن فى أعماقنا . ولكنه استقبل هدنة راحة فى زحمة العمل فرمقنا بنظرة جادة حقيقية لأول مرة . جادة وودودة . ثم قال بنبرة أخوية :

ـــ أهلا بكم فرصة طيبة وسعيدة ، وهنيئا لكم زيارة بلد شقيق ثائر ، ستجدون له مذاقا خاصا وجمالا ذا سحر غير منكور ، فاذهبوا بسلام آمنين ..

شددنا على يده بامتنان وذهبنا وراء حقائبنا المحمولة إلى السفينة . ودعانا القبطان إلى العشاء . وطيلة الوقت ترامى إلينا غناء الجنود من سطح السفينة الأمامى ، ودار حديث عن ميعاد الإبحار والجو . وأعلننا الرجل الكريم الظريف بأننا سنكون ضيوفه طوال الرحلة .

وفى أثناء ذلك أحتفى من الصحاف الدجاج والشواء والملوخية والبطاطس والسلطة الخضراء والمش والبطيخ . ودعانا إلى قضاء السهرة فى جناحه المطل على البحر ثم مضى إلى عمله . أطفأنا المصباح واهبين الليل أنفسنا . أنعشنا شراب البرتقال ونسمة معبقة بجو الميناء . وما زالت أغنية تتردد متهادية إلينا من معسكر الجنود فوق مقدم السفينة .

ـــ ترى فيم يفكرون حول بنادقهم ؟

ـــ الحرب .. إنها الحرب ..

ـــ أقدم حرفة فى الوجود .

ـــ لكنها تنشب هذه المرة فى سبيل التحرير والحرية.

ـــ إنها الحرب ، وهى ككل حدث خطير تدفعنا إلى مواجهة لغز الوجود ، وجها لوجه ..

وتذوقنا حينا النسمة الملاطفة . استسلمنا بكل قوانا للحظة طيبة خالية من

الكدر ، ثم تفرق الحديث واختلف كأنما يدور بين أجيال . وأوشك أن يستقل كل اثنين بفكرة ما .

ـــ ستكون الحرب القادمة خاتمة الحروب !

ـــ ولكن هل تستمر الحضارة بلا حروب ؟

* * *

ـــ الحق أن العالم مقبل على عضو عليه أن يخلق فيه كل شيء من جديد .

ـــ وربما وجد أن عليه أن يعتاد الحياة بلا معنى ولا آمال كبيرة !

* * *

ـــ أظنه بسكال الذى قال إننا مبحرون فى هذا العالم ، ليس لنا خيار فى أمر السفر فلم يبق لنا سوى اختيار السفينة ..

ـــ ولكن كيف نختار سفينة مناسبة إذا لم يكن لدينا فكرة عن الرحلة ؟

الأفكار مغلقة ولكن الأصوات راضية تند عنها غبطة المستمتع بعشاء لذيذ وشراب منعش . والغناء لا يتوقف ، يحمل إلينا أنغام حماس وحنين . وثمة تساؤلات عما ينتظرنا هناك عند المأكل والمشرب والمنام . ومخاوف أوشكت أن تتضخم لولا أن ارتفع صوت قائلا :

ـــ ما هى إلا أيام ثم تنقضى بسلام .. دعونا نشارك الجنود حياتهم ولو بدون قتال ..

شعرت برغبة فى الحركة . غادرت جناح القبطان إلى السطح ماضيا حتى الشرفة المطلة على مقدم السفينة . رأيت الجنود على ضوء الكلوبات ما بين مستلقين وواقفين وجالسين . جال بصرى بينهم فى جد وانفعال . اجتاحنى طوفان من الذكريات الوطنية حماسية وأليمة على السواء ، لكنه طوفان حمل فى النهاية هذه السفينة ، التى تحمل بدورها هؤلاء الجنود ، ثملة بنشوة النصر والأمل ، ملوحة براية الأخوة والكرامة ، فأيقنت أن تاريخنا الطويل المثقل

بأحلك الذكريات يتكشف عن صفحة جديدة بيضاء . وخيل إلى أن اسمى يتردد فى نداء صاعد من بين أمواج الغناء . حقا !. أجل إن صوتا ينادينى . تحرك رأسى هنا وهناك حتى رأيت جنديا يشق طريقه نحو أسفل الشرفة ملوحا بيده . أمعنت النظر فيه بدهشة . تذكرته . انحنيت من فوق السور فى غاية من الابتهاج . لوح لى بيده تحية فلوحت له بيدى .

الجندى

دعتنى للجلوس فجلست. توقفت عن الكتابة على الآلة الكاتبة وقالت لى مجاملة:

ـــ شكلك ظريف فى البدلة العسكرية .

نفخنى السرور ، رحب بى الزملاء القدماء فى الإدارة . على مكتبى السابق المجاور لمكتب خطيبتى جلس شاب جديد هو الذى حل محلى بعد تجنيدى ، سألتنى :

ـــ هل اعتدت الآن الهبوط بالبارشوت ؟

همست فى أذنها :

ـــ عندما أقذف بنفسى أبسمل وأتذكر وجهك فيتم الهبوط على أحسن حال .

وناقشنا بعض المشكلات التى تلابس زواجنا كالأثاث والمسكن فاتفقنا على الإقامة « مدة » فى بيت والديها وبذلك نؤجل مشكلة المسكن ونكتفى بتأثيث حجرة واحدة . وتركتها واعدا بزيارتها فى القريب فى بيتها . مضيت من فورى إلى الثكنة بمنشية البكرى . ولم أكد أمكث ساعة هناك حتى صدرت أوامر بتجهيز سفريات الميدان . تجمعنا فى الحال . سألت جارى عما هناك فقال لى علمى علمك . اصطفت سريتنا الثالثة . وزعت علينا البنادق . انتقلنا إلى السيارات فانطلقت بنا إلى هايكستب . كان ثمة قطار فى انتظارنا ، وثمة حركة نشيطة لنقل الذخيرة . همست فى أذن صاحبى :

اليمن !

هز رأسه فخيل إلى أنه يوافقنى على رأيى . تحرك القطار . اجتاحنى شعور بالغربة والحيرة . لم أودع خطيبتى و لم أودع أمى . منذ عام كنت موظفا ، مجرد موظف على مكتب . وبفضل شبابى وصحتى أحببت وخطبت ثم جندت . ها هو القطار يحملنا إلى الميدان . سنهبط من الطيارات إلى ميدان حرب حقيقية .. لا تمرين ولا مناورة . يوم دعيت إلى التجنيد قال لى رئيس السكرتارية « ها أنت ذاهب .. وها هو تدريبنا لك يضيع فى الهواء .. ساء حظ الرئيس الذى يوظف شابا قبل تجنيده بعد اليوم » . كنت موضع ثقته وكنت بذلك فخورا . أنا طول عمرى من المتوكلين على الله المعتمدين على دعاء الوالدين . والحب عجيب كالقدر نفسه فذات يوم عهد إلى بتدريب موظفة جديدة . لم تكن أول فتاة أدربها فى السكرتارية ولكنها كانت الأولى فى حياتى .

ساءلت زميلى مرة أخرى :

ـــ اليمن .. أليس كذلك ؟

ـــ أظن ذلك .

ـــ متى نعرف ؟

ـــ كل آت قريب .

إذن هى الحرب . كما نراها أحيانا على شاشة السينما . وحتى فى السينما لم أشاهد معركة بارشوت إذ أننى أفضل عادة أفلامنا الغنائية . كانت الأولى فى حياتى فلم أعرف الحب قبلها بصفة جدية وقلت لها عليك بالانتباه فإن رئيس القلم يمزق أى خطاب لأقل هفوة !. ما أحلى ارتباكها إذا ارتبكت . ما أجمل نظرتها وهى ترنو إلى مدربها . وهى تستهديه المعونة والثقة فيهدى إليها قلبه ومستقبله .

وقال زميلى :

ـــ القطار يهدىء من سرعته . ستعرف كل شىء ..

وقف القطار . أكثر من صوت ردد اسم الأدبية . أجل .. أجل . غادرنا القطار . انتظمنا الصف . سرنا إلى الميناء . جرى تطعيمنا ضد الكوليرا والجدرى والتيفود . وكل حمل لوازمه ومضى نحو سفينة راسية بالميناء . تناولنا العشاء . أناس استغرقهم النوم وآخرون راحوا يغنون . الحق أننى لم أركب سفينة من قبل . لا فى البحر ولا فى النيل . بل إننى لم أر البحر قط . ولم أستطع أن أرى منه شيئا فى الظلام .

— أين الأمواج التى يقال إنها كالجبال ؟

— نحن فى الميناء يا رجل يا طيب ..

لفحنى هواء لطيف فملأت صدرى ثم سألته :

— وماذا تعرف عن دوار البحر ؟

فسألنى بدوره :

— لماذا لا نغنى مع من يغنون ؟

تمشيت مستطلعا . لاحت منى نظرة إلى أعلى . رأيت على ضوء كلوب وجها ينظر إلى أو بدا كذلك . من ؟! ، أستاذى القديم . أستاذى بمدرسة مكارم الأخلاق الإعدادية بشبرا . هو دون غيره . ترى ماذا جاء به إلى سفينتنا .. وجعلت أنادى وألوح بيدى وأنا أشق طريقى بين البنادق والنيام . وأخيرا عرفنى فلوح لى بيده . التقينا عند منتصف السلم تماما فتصافحنا بحرارة .

— أنت جندى ؟!.. ما تصورت ذلك .

— جندى منذ عام فتركت وظيفتى إلى حين .

— متزوج ؟

— كلا ولكنى خاطب .

— مبارك (ثم وهو يتفحص ملابسى) لا أعرف لغة ملابسكم .

— من قوة المظلات يا فندم .

ـــ فرصة طيبة ، أتمنى لك حظا سعيدا .

ـــ وماذا جاء بلك يا أستاذى ؟

ـــ رحلة .. زيارة .. فى ضيافة الجيش .

ـــ أهلا أهلا .. إنى أقرأ مقالاتك .. هل تركت التعليم ؟

ـــ نعم .

وتصافحنا مرة أخرى وهو يقول :

ـــ أرجو أن أراك كثيرا .

انفصلنا . عدت إلى مقدم السفينة وصعد إلى السطح .



الأديب

أخيرا تراءت لنا ميناء الحديدة .

تهادت سفينتنا فى الممر المائى الذى شقه الروس فى الصخر . عقب رحلة طويلة أذابتنا فيها الحرارة وأنهكتنا الأحاديث . فوق سطح بحر كظيم صامت ، تحت سماء باهتة تترامى فى الآفاق بلا تعبير ، بين جماعات متواثبة من الدرافيل . لا تسلية لنا إلا الكلام والسجائر والذكريات ولا عمل لنا إلا الاستجمام وتجفيف العرق .

أخيرا تراءت لنا ميناء الحديدة .

تطلعنا بشغف نحو الأرض التى ظلت دهرا طويلا متقوقعة . حتى ثارت ثورتها فحطمت القشرة الصلبة التى تحبسها فيما وراء التاريخ .

ـــ تذكروا أن وطننا تلقى موجات فى إثر موجات من مهاجرى هذا البلد !

— لا يبعد أن نصادف أجدادا وأصولا ونحن لا ندرى .

قلبت وجهى فى مجموعتنا فرأيت وجوها تشى بأكثر من أصل تتراوح جذورها ما بين البلقان والسودان مارا بالشام ومصر . قلت لنفسى إن أضمن وأعرق أصل للإنسان هو الأرض .

* * *

استقبلنا مندوبا القيادتين العربية واليمنية . انتقلنا إلى مركز قائد الميناء حيث قدمت لنا المرطبات . قائد ضخم كتمثال ، وطراز من الرجال يضيف أصلا جديدا إلى مجموعتنا المتعددة الأصول . دعانا لمشاهدة خريطة لليمن .

— أرض مجهولة لا يعرفها إلا المرشدون ..

انتقل المؤشر من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب .

— جميع هذه المدن ثائرة وموالية أما الجبال فلا تخلو من جيوب !

— اعتقدنا أن الحرب قد انتهت .

— هى كذلك بالمعنى العسكرى ولكن علينا أن نطهر الجبال من المتسللين !

دعانا إلى جولة فى المدينة . زرنا المستشفى . تجولنا فى أحياء ردتنا بقدرة قادر إلى أزقة القاهرة وحاراتها القديمة . شاهدنا دكاكين حافلة بسلع من جميع أنحاء المعمورة . طالعتنا وجوه صامتة مغلقة غامضة ، لا ينظرون نحونا ، وإذا نظروا لم يرونا .

— يا حضرة القائد .. أهم يكرهوننا ؟

— كلا يا أستاذ ولكننا فى عز وقت التخزين !

أجل .. إنه القات !. الدنيا تنساب فى حلم كبير يرفرف فوق المدينة و لم نعد إلا أشباحا لا حقيقة لها . وثمة تاجر مستلق على أريكة أمام دكان سأله القائد عن مكان ما ولكنه لم يبد حراكا و لم ينبس بكلمة .. ما فعل إلا أن رفع يده ببطء شديد مشيرا نحو المكان كأنما هى صورة متحركة مصورة بالتصوير البطىء ، أما

ظاهر الرجل اليمنى فيتلخص فى لحية وخنجر وبندقية . والتجول بين الحوانيت مثير للغاية . وكان مدعاة للتساؤل عن بدل السفر ومتى يصل . وقال القائد :

ـــ ستجدون فى صنعاء سلعا أطرف وأجمل . أما تعز فحدث عنها ..

ولفتت الأنظار الحقائب والأقمشة ، ثم احتكرتها الهرمونات والمقويات . وتسلل من القائد إلى النفوس إعجاب ودود . تضاعف عندما دعانا إلى العشاء فى مقر القيادة اليمنية . اجتمعنا هناك بكهول وشبان من اليمن ، منهم من يرتدى البدلة ومنهم من يرتدى الزى الوطنى . تبادلنا الأحاديث عن الحرب والثورة والتاريخ والأدب . كشفت الروح اليمنية عن كنوزها فاستعدنا شعورنا بالأنس والألفة وتفتحت قلوبنا بلا حدود . وملت نحو زميل هامسا :

ـــ أشعر كأنما رأيت هذا المكان من قبل !

فرد علىّ هازئا :

ـــ هذه نتيجة عقدة نفسية سأحدثك عنها فيما بعد .

وضعت الموائد حول بركة كانت مسبحا للجوارى ذات يوم . وعزفت لنا جوقة موسيقية وغنى لنا مهرج الإمام . وقال لنا القائد ونحن عائدون :

ـــ ستبيتون الليلة فى الباخرة وغدا صباحا تذهبون إلى صنعاء ..

وتساءلنا عن وسيلة المواصلات فقال :

ـــ ثمة طريق جديدة شقها الصينيون فى الجبل ، تقطعها السيارة فى ثمانى ساعات ، وسوف ترافقكم قوة مسلحة ..

ولدى سماع هذه العبارة الأخيرة ساورنا القلق ، وسأله سائل :

ـــ وما الداعى لمرافقة القوة المسلحة لنا ؟

فأجاب مواريا ابتسامة :

ـــ تعرضت الطريق لهجمة عدوانية فاشلة منذ أسابيع !

وأكثر من صوت قال فى نفس واحد :

ــ حدثنا يا قائد عن وسيلة مواصلات أخرى .

فضحك ضحكة عظيمة وقال :

ــ ستأخذون الطيارة وستصل بكم فى ساعة أو أقل .

عدنا إلى الباخرة . سهرنا فى جناح القبطان فى جو حار رطب خرق المألوف لنا . ولما آويت آخر الليل إلى القمرة قلت لزميلى فيها :

ــ أشعر من الحر والرطوبة بأننى سأموت عما قليل .

فأجابنى بصوت ملؤه النعاس .

ــ لكل أجل كتاب !

الجندى

السفينة تقترب من الشاطىء . جمهور ضخم ينتظرنا . ولكن أى جمهور ؟!. نساء !. أجل نساء لا حصر لهن فى أزياء مزخرفة بالحمرة والزرقة . ما الذى أخرجهن من البيوت ؟. وفى لهفة حزم كل جندى متاعه وعدته وحمل بندقيته . ورأينا ضيوفنا من الأدباء وهم يهبطون وراء حقائبهم . وبحثت عيناى عن أستاذى السابق حتى رأيته . وددت أن أودعه ولكن الزحام والنظام حالا دون ذلك . وصدرت لنا الأوامر بالنزول فسرنا نحو السلم فى ترتيب عسكرى . ها أنا أستقبل بلدا غريبا بعد أن ركبت السفينة لأول مرة . وفوق الأرض تكشفت لى حقيقة المتجمهرين . إنهم رجال لا نساء كما توهمت من بعيد . يرتدون لباسا كالجونلة ويطلقون اللحى . تنغص حماسى وفتر فرحت أتمشى فوق رصيف الميناء . وتذكرت أمى التى لم أودعها . وتذكرت خطيبتى التى زرتها و لم أودعها أيضا . وقلت لو أننى ودعت أمى لتلقيت من دعواتها ما ينفعنى . ونودى علينا فهرعنا إلى الصف . ثم اتجهنا إلى سيارات معدة لتوصيلنا إلى صنعاء . وخرجت

السيارات من حارات متربة حتى اجتزنا بوابة كبيرة . وإذا بنا ندخل فى طريق ممهدة ، تأخذ فى الارتفاع كلما تقدمنا . وسألت زميلى :

ــ أين مملكة سبأ ؟

فسألنى بدوره دون اهتمام بسؤالى :

ــ أنحن ذاهبون إلى الميدان ؟

وجذبت الجبال المتشابكة عينى : ألقيت بنظرة إلى أسفل فأدركت مدى الارتفاع الذى نصعد إليه بلا توقف . ومضت الحرارة تخف والجو يلطف والدنيا تتغير . وتساءلنا حتى متى نواصل الصعود فأجاب دليلنا اليمنى :

ــ سنصعد فوق الجبل .

لا فرق بين السيارة والطيارة فى هذا البلد . ودار بنا طريق دائرى فتطالعنا الشمس المائلة حينا وتغيب عنا حينا آخر . ويبهرنا السحاب وهو يزحف نحونا حتى روعنا . ودخلنا فيه فغاب الوجود وبتنا من أهل السماء . حتى أنفسنا غابت عنا . وارتفعت الأصوات وتبادلنا الألقاب الضاحكة . ولما خرجنا من السحاب استوى الجبل إلى يسارنا على هيئة مدرجات تكسوها الخضرة المتألقة فهتفنا فى دهشة . لم أكن رأيت من الجبال إلا المقطم فيما وراء مسجد الحسين رضى الله عنه فتلوت فاتحة الكتاب . أما إلى اليمين فينحدر الجبل صانعا مدرجات واسعة من السهول تنبت فى جنباتها القرى ، وتتناثر الأكواخ ، وتهيم القطعان والأطفال ، من تحتها خضرة ومن فوقها قطع من السحب متفاوتة الشفافية تتلاقى فى احتدام وتنتشر كقبة هائلة ثم تلاطم سفح الجبل تحتنا فتفور كالأبخرة ، وها نحن ننطلق فوق السحاب كأنما تقلنا إليوشن المظلات . قال الزميل :

ــ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

فقلت بوجد :

ــ صدق الله العظيم .

قبيل الغروب اجتزنا بوابة صنعاء . وعلمنا أننا ذاهبون إلى كلية الطيران للمبيت فاستبشرنا خيرا ومنينا أنفسنا بليلة نوم ناعمة . غادرنا السيارات ومضينا نحو الكلية دون أن نتبين المبنى من الخارج لغلبة الظلام على الدنيا . ولكننا وجدنا أنفسنا فى مكان هو أشبه ما يكون بالإصطبل . لا مقعد ولا فراش ولا حتى حصيرة . وقفنا ذاهلين نتبادل النظرات . وأمرنا أن ننام كيفما كان الحال حتى الصباح . نمنا ليلتنا على الأرض بكامل ملابسنا . وفى الصباح صدرت أوامر بأن ننشىء معسكرا حول مطار صنعاء فانهمكنا فى العمل . ولم يكن بين أيدينا من الطعام إلا القليل ومن الماء إلا النادر . وندرة الماء أزعجتنا بصفة خاصة . ونمنا ليلتنا فى المعسكر . وفى الصباح صدرت الأوامر بالتوجه إلى مدينة عمران . خرجنا من بوابة صنعاء الخلفية . وترامى أمامنا طريق صخرى يتنقل بين جبال عاتية . إنى أغوص فى المجاهل . أصبح الماضى بعيدا جدا . ترى هل علمت أمى بأمرى وهل علمت به خطيبتى ؟. إنهما أعز ما يشدنى إلى عالمى القديم . أما العالم الصخرى المكفهر المترامى أمامى فلا أدرى شيئا عما يخبىء لى من أقدار الغيب . ورأيت عن بعد سيارة مدرعة تقود قافلتنا فتطلعت نحوها بثقة ولكنى قلت لنفسى إن الله وحده يحفظنا ويرعانا .

— كل شىء غريب هنا .

— وقافلتنا العسكرية تسير كما كنا نشاهد فى السينما .

— ولكن الفرجة شىء وخوض المعارك شىء آخر .

— لا يوجد إنسى .

— ولا جان !

وأخيرا تراءت لنا عن بعد بوابة حجرته تقوم على مبعدة منها إلى اليسار قلعة ذات أسوار وأبراج للمراقبة . تبودلت كلمات لم نسمعها بين السيارة المدرعة ورجال الأبراج فتح على أثرها باب البوابة فتهادت منه قافلتنا .

ــ مدينة عمران ؟

ــ أجل .. لعلنا نجد مقهى أو ملهى .

وجدنا قرية كقرانا فى الريف . تقع وسط سهل ومراعى تطوقها سلسلة من الجبال الصخرية من ثلاث جهات .

ــ مدينة عمران .

ــ مدينة عمران !

غادرنا السيارات . تناولنا الطعام من العلب وشربنا بحيطة وحذر . أحاط بنا الغلمان والأطفال شبه عرايا . حملقوا فى وجوهنا بأعين داهشة ثم تبادلنا الابتسام . ومرح الأطفال حول السيارات وتحتها . رغم البؤس أطل علينا من الأعين البريئة جمال فطرى ونظرات ذكية . ترى مَن مِن هؤلاء تربطنى به صلة قربى ترجع فى تاريخها إلى ألف عام ؟.

ولم نمكث فى عمران إلا ساعات ثم صدرت الأوامر بالذهاب إلى حجة . تحركت القافلة دون أن تترك وراءها ذكريات . دخلنا فى السحاب مرة أخرى حتى غاب عنا كل شىء . وندت أصوات متفرقة فى المسيرة الطويلة .

ــ أهى أرض عدوة أم صديقة ؟

ــ ربما انهال علينا المطر أو الرصاص .

ــ قريب من هنا هبط سيدنا آدم إلى الأرض .

تلوت الفاتحة والصمدية . ولما انجاب السجاب عنا ترامى أمامنا الطريق الصخرى مرة أخرى . ثم انفسح فيما يشبه الدلتا عن أرض رملية تغطى الحشائش بعض رقعات منها متباعدة . وتوقفت القافلة فجأة فاشرأبت القلوب . دارت السيارة المدرعة فى حركة مناورة . وجرى التهامس من سيارة إلى أخرى كمين .. كمين . تناولنا البنادق فى حركة استعداد . برز علم أبيض من وراء أكياس الرمل المطوقة للكمين . خرج جندى يمنى ملوحا ومرحبا . نزل إليه من السيارة

المدرعة ضابط فتصافحا . زار الكمين ثم عاد إلى السيارة . دخلنا حجة ، القرية الجديدة ، يا للقرى ! إن قلبي يحلم بشيء لا يتحقق . التقينا بجنود مصريين من المشاة . تفرقنا في الخلاء والشمس على وشك المغيب . الجو مائل للبرودة كأيام الخريف يا مصر .

ـــ جنود مظلات ؟

ـــ نعم .

ـــ صرواح !

ـــ صرواح ؟

ـــ هبط الجنود في واد ضيق تكتنفه الجبال .

ـــ في صرواح ؟

ـــ نعم .. ثم انهال عليهم الرصاص من الجبال !

ـــ في أي وقت ؟

ـــ الفجر .

ـــ وقت يسهل فيه الاختفاء ، هل وقع ضحايا كثيرون ؟

ـــ غير قليلين ولكنهم طهروا المنطقة ..

ـــ ليرحم الله الشهداء .

بلد كأنه شبكة من الجبال المتقاطعة . من كان يتصور ذلك ؟!. كحارات خان الخليلي ، كحجرة حجا ، كالتعليمات المالية والإدارية . السحاب يركض وعما قليل تختفي السماء . وقيل إن المطر سينهمر . وارتفع النداء داعيا إلى إقامة المعسكر .

٣

الأديب

استيقظت بعد نوم ساعتين . غادرنا السفينة إلى مطار الحديدة . اتخذنا مجالسنا فى طيارة إليوشن ناقلة للجنود . سنرى اليمن من فوق . صحراء وجبال ومزارع . أما المنظر الجديد حقا فهو منظر الوديان الخضراء فى سفح الجبل . وقال أحدنا للمرافق لنا :

ــ الجبال عالية جدا :

ــ وتنطلق الطيارة بحذاء بعض القمم أحيانا .

ــ لو أن عدوا ربض فوق جبل فلن يتعذر عليه إصابة الطيارة بالبندقية العادية ؟

فضحك قائلا :

ــ ولا يخلو بعض طياراتنا من آثار عديدة للرصاص ..

ولما رأى وجومنا استطرد :

ــ لا تزيد نسبة الإصابة القاتلة عن واحد فى الألف ..

أسلمت ناظرى إلى الجبال تحتنا . القرى الخضراء والفجاج المتلوية . حتى لاحت صنعاء . من الجو بدت مدينة عمران ومجمع أحياء ومقر قباب ومآذن . وعندما حملتنا السيارة من المطار إلى الفندق خاضت بنا زمنا موغلا فى القدم . وتراصت على جوانب الطرقات المتربة بيوت غريبة مزركشة . زركشتها أيدى

أطفال فنسجتها من خيوط الأحلام وألقت بها فى قلب مدينة سحرية . انشق سطح الأرض عن دنيا عامرة تطوف بها القلانس والوزرات والخناجر والبنادق واللحى . لفحتنا غربة ، لاطفتنا نسمة ، تجاذبتنا عواطف مبهمة ، ثم لذنا أخيرا بأطيب المشاعر البشرية التى جئنا بها . وفى الفندق ارتددنا إلى ذكريات الطفولة ، درجات السلم العالية ، رائحة الكلس العطنة ، الأسقف العالية . فندق قديم كقلعة بالية يديره غلام ذكى . جلسنا على الأسرة فى عنبر جمعنا . وتبادلنا أحاديث لا نهاية لها . وإذا بالغلام يجلس على كرسى عند باب العنبر بلا استئذان . جعل يقلب عينيه اللماحتين فينا بهدوء عجيب . ولما تركزت الأبصار عليه قال :

— أنتم مصريون ؟

— نعم يا أخا اليمن ..

— أتريدون فطورا ؟.. عندى بيض من اليمن وفول من مصر ومربة من أوروبا ..

— أأنت صاحب الفندق ؟

— ابن صاحبه ولكنى مديره .

— كم عمرك ؟

— اثنا عشر عاما .

— إذا غالطناك فى الحساب ؟

— إنى أغالط الجن .

— عفارم عليك ، وما رأيك فى الثورة ؟

— كلنا متجمهرون و ثوار واللعنة على الأعداء ..

ودخل رجل غامق السمرة مترنح المشية ، يرتدى بدلة ويطالعنا بنظرة مسطولة من عينين جاحظتين . قدمه الغلام باعتباره عمه ثم ذهب تأدبا . وقال الرجل إنه من عدن ولكنه فى الأصل يمنى ، وإنه شريك فى ملكية الفندق . وجلس على الكرسى الذى أخلاه الغلام .

ـــ حضرتك مقيت ؟

ـــ كلا .

ـــ مسطول ؟

فضحك وأجاب بالنفى . سرعان ما أغرانا مظهره بممازحته فأثبت أنه أوسع صدرا مما تصورنا .

ـــ إن كنت حقا من عدن فهل تعرف لغة أجنبية ؟

ـــ عشت فى عدن ومصر وسوريا وإنجلترا وفرنسا ..

ـــ هل تستعمل القات ؟

ـــ كلا فإنه يضعف القوة الجنسية .

ـــ إذن فأنت حريص على قوتك الجنسية ؟

ـــ إن قرة عينى فى التجارة والفسق !

ضحكنا طويلا . وانطلق يتكلم عن الفسق فى شتى أشكاله وألوانه ومتناقضاته ، وعقد مقارنات عنه فى البلاد التى عاش بها ولكى يقيم الدليل لنا على صحة مراجعه حدثنا عن مصر حديث العارف الدائر ، حتى قال له شيخنا :

ـــ إنك معجم فسق البلدان !

غادرنا الفندق لزيارة القائد العام ورئيس الجمهورية . طفنا بمخازن الإمام وبيت الرهائن ثم شهدنا فى المساء ندوة أدبية بالقصر الجمهورى . وقابلنا بعض

الموظفين المصريين المنتدبين لعمل أول ميزانية للجمهورية اليمنية وإقامة نظام مالى كأساس لحياتها الاقتصادية . وقد دعونى لزيارة جناحهم فى القصر فذهبت معهم وأنا أداعبهم قائلا :

ـــ إذن فأنتم أول من بشر بالروتين فى أرض اليمن .

وجلسنا نتحدث وأصوات الشعراء فى الندوة تترامى إلينا . وقال أحدهم :

ـــ لقد أغلقت اليمن الأبواب على نفسها ألف سنة فلم يختف منها الشعر ولكن المشكلة الحقيقية هى متى يغزوها العلم ؟!

الجنـدى

على السرية الأولى أن تستعد وتتجهز بأدوات الميدان . شملتنا حركة نشاط متدفقة وعصبية .

ـــ لماذا ؟

ـــ للقفز فى مدينة صعدا .

أمرت أن أذهب مندوبا عن ف ٢ للتعيين . ذهبت إلى مركز التعيين . تسلمت مجموعة كافية من الفانلات والكلسونات وطواقى صوف وجرابات وأحذية وعلب سردين وبلوبيف . إلى صعدا . وما صعدا ؟. مدينة أم قرية ؟. غزو أم إمداد ؟. لن يكون القفز هذه المرة فى ميدان تدريب كالمرات السابقة .

ـــ لندع الله أن تكون صعدا خيرا من صرواح .

هتفت مقطبا لأتمالك أعصابى :

ـــ الأعمار بيد الله .

ـــ معى أربعة وعشرون ريالا وهى ثقيلة .

ـــ لفها حول وسطك كما فعلت .

ذهبنا إلى مبنى المطار لتسلم المظلات . أخذت مظلة أساسية بدون احتياطى . ليكن طريقا سهلا آمنا حتى نهبط فوق الأرض . لبست ما يلزمنى فى الحرب من بدلة مموهة وبدلة اسموكسن فوق بدلة كاكى قفز والخوذة والبندقية وحقيبة خزن ومحفظة قنابل وحقيبة الجراية وبها ذخيرة ومطواة . وانهمكت فى إعداد أشرطة المظلة . وإذا بيد تساعدنى . رفعت رأسى فرأيت زميلى بمدرسة مكارم الأخلاق بشبرا . تعانقنا . عانقت فيه مصر وأهلها .

— سأكون معك فى الطيارة .

— جان مستر ؟

— نعم وسأساعدك على القفز .

— أشكرك ، هل تتذكر شبرا ؟

فضحك ويداه لا تكفان عن مساعدتى . وقبل أن أسترسل فى الذكريات دعينا إلى طابور . استعرضنا القائد العام وقائد المظلات . وكان القائد يقف أمام كل جندى ويسأله :

— ألك أى طلبات ؟

رأيته لأول مرة عن قرب. ذكرنى وجهه بوجه ستالين. وسرحت رغما عنى فلما عدت إلى الحاضر سمعته وهو يعطى إرشادات عن المنطقة. واصطفت الفصيلة أمام طائرة إليوشن رقم ١٤ ، الضابط أول الأستك شمال. وهذا يعنى أننى سأكون أول القافزين. ولكن ألا يستوى الأول والأخير أمام القدر؟. وصعدنا إلى الطيارة واحدا فى إثر واحد. بدأت محركات الطائرة تدور. كان معنا اثنان من جان ماستر الذين يساعدون على القفز. وانطلقت الطيارة فلم تتحول أفكارى عن مصر. ولما استوينا فوق السحاب أشعلت سيجارة. ظلت أفكارى منغرسة فى مصر. النيل والخضرة والأم والفتاة. ولمحت طائرات تطير إلى جانبنا. وإذا بجرس النور الأحمر يدق معلنا وصول الطائرة إلى صعدا. وظهر النور الأخضر داعيا إلى القفز فى الحال.

ـــ ستهبطون فى منطقة إسقاط بالمطار ، توجد طائرة بيضاء فى وسط المطار ، على كل فرد أن يتجه إليها ..

تقدمت من باب الطائرة . توثبت للقفز بقلب خافق . دفعنى الزميل القديم بشدة ليبعدنى عن جسم الطائرة . لم أنتبه لنفسى ألا وحبال المظلة تشدنى فى الجو . نظرت إلى أعلى فرأيت المظلة مفتوحة بيد أن حبالها التفت حول بعضها البعض . درت حول نفسى بسرعة فائقة حتى استقامت الحبال . مضيت أهبط فى الظلام وحركة انسيابية هادئة تسرى فى أعصابى وأنا فى غاية من اليقظة والترقب . ولمحت شبح جبل غير بعيد ، ما لبثت أن صرت فى كنفه ، وجعل يرتفع كلما أمعنت فى الهبوط . اخترقت أذنى أصوات طلقات نارية . اجتاحنى القلق وشدت يدى على الحبال . ضرعت إلى الظلام أن يخفينى عن أعين الصائدين وأنا أتوقع رصاصة تصيبنى فى أى لحظة . انتهت الرحلة التى أعتبرها أطول رحلة فى حياتى فاصطدمت بالأرض صدمة شديدة ورحت أتدحرج منقلبا على نفسى مرات حتى استقر بى المكان . غرزت ركبتى على أرض معشوشبة مصمما على النجاة . فتحت قفل المظلة فأخليتها بسرعة ثم انبطحت على بطنى . وبحذر شديد تخللت الظلام بعينى . وإذا بى أجد شبحا على مقربة منى فسددت نحوه بندقيتى فى ذات الوقت الذى صاح بى « يا أخى المصرى .. أنا من الحرس الوطنى » أنهضنى وهو يعانقنى . حدثته عن الطلقات النارية فأكد لى أن الجبل بعيد نسبيا . نظرت حولى فميزت مجاميع من أشجار التين الشوكى . انطلقت فى الجو إشارة خضراء فمضينا نحوها ، وانضممت مرة أخرى إلى السرية . نادى الضابط علينا فتبين غياب اثنين من السرية .

ـــ أصيبا ؟

ـــ أو هبطا فى أرض العدو .

لاحظت وجود جنود من غير سريتنا . وعلمت أن ثمة قوة سبقتنا إلى هنا ولكنها



حوصرت فطلبت نجدة فأرسلنا إليها من السماء . و لم يكن بصعدا أحد سوى الجنود . و لم نسترح دقيقة فتوزعنا فى أماكن من السور المحيط بالبلد وسرعان ما اشتركنا فى إطلاق النار . واستمر الضرب من ناحيتنا حتى توقف الضرب الآتى من الناحية الأخرى .

وصدر أمر بالاستعداد للهجوم على الجبل الأسود المطوق لجانب كبير للمدينة . حصل تجمع لا أعرف مداه . وترامى إلينا أزيز طياراتنا وهى تهاجم الجبل وترميه بقنابلها . تواصل الضرب ساعة ثم صدر الأمر بالتحرك . تقدم سريتنا ضابط حاملا مدفعا رشاشا فتبعناه فى حركة انتشار . تقدم الضابط لنا بث فينا روحا عاليا فأخذنا فى الصعود ونحن نطلق النار وقد شعشع ضوء النهار الباكر . وتساقط رذاذ فى أثناء تقدمنا ثم لم يلبث أن انهمر المطر . وصوت صاح :

ـــ يجب أن نصعد قبل أن تعيقنا السيول .

الحق أزعجنا المطر وتسلل منا إلى الأجساد على حين غاصت أقدامنا فى الوحل . لم نكف عن الضرب حتى كف العدو عنه مما يقطع بتقهقره . ومضينا فى صعود عسير تكاد تجرفنا السيول حتى بلغنا القمة . أعلن الضابط احتلال الجبل . تسلينا دقائق بمشاهدة آثار قنابل الطائرات .

تلقينا أنباء عن فقد شهداء منهم ثلاثة من المجموعة التى استقلت معى الطيارة رقم ١٤ . تذكرت وجوههم وبخاصة أحدهم الذى كان يحدثنا فى أوقات الفراغ بالفصحى متفكها .

ـــ ماذا يصنعون بالجثث ؟

فسمعت إجابة مقتضبة لا تخلو من أسى :

ـــ يدفنونها !

ولكن الميت يظل حيا فى وجدان أهله بمصر حتى يبلغهم خبره . وفكرت فى مصر . بكل وجدانى الحزين . من فوق قمة الجبل الأسود وتحت سيل من المطر

المنهمر فكرت فيك يا مصر . وسمعت نداء باسمى . وقفنا ثلاثة أمام الضابط :

ـــ كونوا نقطة إنذار على بعد كيلو ونصف .

حددنا الموضع بالقياس الدقيق . حفرنا حفرة سرعان ما امتلأت بمياه المطر . غصنا فيها حتى الرقاب ومعنا جهاز لاسلكى صغير R/06 .

ـــ راقبوا جيدا وعند أى اشتباه نبلغه ثم ننسحب فى ثوان قبل إطلاق النار .

ـــ قد يلمحنا العدو ونحن ننسحب .

ـــ أى تأخير معناه الموت بقنابل جنودنا .

اختص كل منا بناحية والمطر يكاد يجرفنا .

ـــ لكن الجبل طهر ، أليس كذلك ؟

ـــ الزم الصمت ..

ركزت عينى فى المراقبة والمطر ينهل بغزارة وقوة لم أتخيلها من قبل .

٤

الأديب

غادرنا صنعاء بالطيارة إلى مأرب . من المطار استقللنا سيارة روسى فى حجم لورى متوسط ، فى مقدمتها مدفع ، لتحملنا إلى القلعة والآثار . قطعت بنا طريقا وعرة متلاحقة العقبات . وكان فى هندستها مرونة لتواجه بها المرتفعات والمنخفضات ولكن لم يكن بنا مثل مرونتها . تأرجحنا بقوة وتصادمنا فخففنا البلوى بالفكاهة ما أمكن . اخترقنا أرضا فضاء إلى ما لا نهاية ، قاحلة جرداء ، إلا من نباتات شوكية موسومة بطابع الهلاك والفناء .

ـــ مكان الجنتين خال !

— وجه الأرض يتغير كوجه الإنسان .

— لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان .

— فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم .

زرنا الآثار القليلة الباقية . عرش سبأ ومقاعد مجلس الحاشية . تكشف عنها وجه الأرض ثم تركت وحيدة وسط يباب يكتنفها من جميع الجهات . وقفنا ننعم النظر وثارت رومانسية الشعراء ولكن ماذا يعنى أى أثر لقوم آتين من بلاد الآثار ؟

وذهبنا إلى القلعة . وجدنا حامية مصرية معزولة عن العالم بآلاف السنين . حفروا بئرا ليشربوا ، وأقاموا فرنا ليخبزوا وبدوا كأسرة مستقلة مكتفية بذاتها ضائعة فى الفراغ . قابلونا بمرح وقدموا لنا الشاى . ولم يكن يصلهم بالدنيا إلا راديو وبعض أفلام قصيرة عن مصر . وأشاروا إلى مدينة صامتة مقامة فوق هضبة ، مدينة غارقة فى الجمود والصمت .

— مدينة مهجورة ، هجرها أهلوها فى أثناء المعارك .

ميتة لا حركة فيها ولا صوت ولا خيال لحى . كانت مقاما للأشراف ، وخارج أسوارها عاش الرعاة .

— ثمة مفاوضات معهم وسوف يعودون .

— يا له من منظر ، المدينة الخالية . حتى المقابر توحى بطريقة ما بالراقدين داخلها .

— وكيف حال مصر ؟

— عال ، قلوبها تخفق معكم .

— وكيف حال الأدب ؟

وضحكنا . وفى أثناء ذلك جاءونا بنسخ من كتبنا تهرأت من كثرة التداول .

— أنتم لا تتصورون مدى الأثر الذى يحفره فى نفوسنا قراءة بضعة أسطر عن

وصف مكان أو عادة أو زمان فى مصر .

حقا لا يمكن أن نتصور . وقال أحدنا :

ـــ ولكن عددكم قليل ومراكز المراقبة معدودة ؟

ـــ لا يهم .. أصبحت المنطقة موالية ..

تخيلت نفسى مقيما فى هذا الخلاء . يوما بعد يوم ، بلا عمل ولا تسلية . وكلما تخيلت عجبت للمرح البسيط الصادق الذى يطالعنا فى الوجوه . وغزانى شعور بالإكبار لا يقاوم .

رجعنا إلى اللورى الروسى . كابدنا الطريق فى الإياب كما كابدناه فى الذهاب . عدنا إلى صنعاء . دعينا إلى زيارة مندوب الحكومة المصرية . جلسنا فى بهو استقبال فخم وشربنا المرطبات . وتكلم أهل العلم عن مستقبل اليمن الواعد بكل خير . عن الشباب الثائر المؤمن بالتقدم . عن التأخر الأسيف المتراكم من أبعد العصور . إيمان المسئولين اليمنيين بوجوب سير الإصلاح جنبا إلى جنب مع الحرب ودون تأجيل . ولدى عودتنا إلى الفندق وجدنا فى انتظارنا وفدا من الأدباء الثائرين . جالسونا على الأسِرَّة فشرق بنا الحديث وغرب . وكان لكل منهم مغامرة مع الإمام فراح يروى مغامرته .

الجنـدى

غادرنا الجبل على أثر قدوم قوة من المشاة لتحتله . نمت نوما عميقا فى المعسكر . فى الصباح منحنا عطلة قصيرة فقصدت قرية غراز . سرت فى طرقاتها الضيقة فاستقبلنى أهلها ببسمات إنسانية كنت فى نهم إليها . لاعبت الأطفال حيثما وجدتهم . وشربت القهوة فى مقهى ريفى كالكوخ . أذهلنـى جمال النساء . جمال العيون بصفة خاصة يبعث الدفء فى القلوب التى أذابها المطر .

صادفت فى تجوالى بئرا وقفت حولها أم وابنتاها يملأن الجرار . تلكأت عندهن فنظرت إلى الأم بحنان ذكرنى بأمى التى لم أودعها .

ـ مصرى ؟

ـ نعم يا خالة .

ـ يخليك لأمك .

سررت وابتسمت الفتاتان . اجتاحنى شعور عائلى وتذكرت قريتنا بإسطنها . قلت :

ـ نحن نحبكم .

وإذا بصوت عال يقول فى غير جدية :

ـ ما شاء الله !

أديت التحية للضابط فقال مقطبا :

ـ ماذا تفعل ؟.. ألا تعرف التعليمات ؟

وابتعدت من فورى والمرأة تقول له شبه غاضبة :

ـ أفزعته يا رجل !

عند الظهر صدرت الأوامر بالتحرك إلى قرية البيضا على بعد ثلاثة كيلومترات من صعدا . ولدى مشارف الموقع الجديد هاجمناه على شكل كماشة تتقدمنا ثلاث عربات مدرعة . وثار الضرب من الجانبين كأعنف ما يكون . اشتد الضرب علينا بغزارة وشت بضخامة القوة التى تتصدى لنا . انطلق الرصاص من مركز المراقبة ، من أسوار القلعة ، ومن أكثر من كمين ، انفجرت قنابل وراءنا وبين صفوفنا . وصدر الأمر بالانسحاب ونحن نقاتل . انسحبنا مقاتلين بعنف . انغرزت إحدى سياراتنا المدرعة فى حفرة وتعذر عليها المسير . انهمر عليها الرصاص كالمطر فلم يجرؤ أحد ممن فيها على رفع رأسه وتوقف الدفاع ، أحاط بها العدو من كل جانب ونحن نقاتل مقهقرين لا نستطيع أن نمد لها يدا ، ثم أطبق عليها

الأعداء بالبلط والخناجر .

ساعات مرت دون أن تتوقف العملية دقيقة واحدة . أنهكنا التعب . قل زادنا من الطعام والذخيرة والماء . وضاعف من إرهاقنا إحساسنا بالقذارة ونحن نتقلب فى الطين . الساعات تمر بثقلها فوق أجسادنا وأرواحنا . وساءلت نفسى حتى متى أحتمل العناء الذى يفوق البشر .

— صوت دبابات !

— وطائرات !

هل جاءت نجدة حقا ؟

ارتفعت روحى المتهافتة . اشتد إطلاق النار . دارت الدبابات من حولنا وهى تقذف بقنابلها . ثم دوت انفجارات قنابل الطائرات . تراخت القبضة الخانقة لرقابنا . تحولنا من الدفاع المتقهقر إلى الهجوم . اقتحمنا البيضا ونحن نتساقط من الإعياء . علمت باستشهاد أحد زميلى بنقطة الإنذار فوق الجبل الأسود . ذكرت أحاديثنا منذ ساعات عند مشارف قرية غراز . قال إنه رأى وجوها تشبه بعض أفراد أسرته بدرجة مذهلة . اقتنع بأنه ينحدر من أصل يمنى . وقال لى :

— لا تدهش إذا قررت — بعد الحرب — الإقامة فى اليمن إلى الأبد !

٥

الأديب

طارت بنا الطائرة إلى تعز . ودون توقع أحد منا وجدنا أنفسنا فى جنة . تهادت بنا السيارة من المطار إلى القصر الجمهورى فى جنة .

ــ ماذا ترون أيها الإخوة ؟

ــ سويسرا .. لبنان .. حلم الخيال .

الحقول خضراء ، المراعى خضراء ، الطرقات مجللة بالأشجار ، الحدائق أكثر من البيوت عدا ، سلسلة من الجبال كالأنغام المتموجة مكسوة بالزمرد مزركشة بالأزهار ، الجو لطيف يريق السحر معبقا بشذا الورود والثمار . وصاح صائح مشيرا إلى القمة :

ــ يا له من فندق سياحى !

إنه يلوح كوكر نسر فوق قمة جبل وسيط بين التموجات الجبلية غير أن الدليل قال مصححا بهدوء :

ــ بيت الرهائن ، وهو اليوم خال .

وضحكنا ونحن نتأمله فى أسى . واخترت شاعرا من بين الزملاء وهمست له :

ــ ألا تعذرنى إن طلبت الإقامة فى تعز ؟

فأجاب بشىء من الامتعاض :

ــ دلنى على ملهى واحد ..

ولما آنس منى دهشة استرد :

ـــ دفء الجمال الحقيقى إنما ينبعث من المرأة ..

ثم بعد دقيقة صمت :

ـــ والويسكى .. لا يجوز أن ننسى الوقود .

استرحنا فى القصر الجمهورى ساعة . دعا الداعى إلى التسويق . ذهبنا إلى السوق كل يحمل بدل سفره . وتساءل صوت فى براءة :

ـــ أليس من الأفضل أن نحتفظ بالعملة الصعبة لوطننا ؟

انهالت عليه مختارات من السباب شعرا ونثرا . تجولنا فى السوق . الوجوه ناضرة جميلة . الحوانيت يديرها غلمان هم آيات فى النشاط والذكاء . اخترنا محلا متوسطا فانقضضنا عليه كمجموعة من الفئران . زاغت الأبصار بين لعب الأطفال والساعات الأتوماتيكية والأغطية والمفارش والبلوزات والإشاربات والشالات . من جميع بلاد المعمورة . وابتاع كل حقيبة متوسطة ليودع بها هداياه . عدنا ولا عملة معنا صعبة ولا سهلة . ذهبنا ـــ عقب الغداء ـــ إلى ميدان الشهداء لشهود ندوة أدبية . استقبلنا بهتاف واتخذنا مجالسنا وراء مائدة مستطيلة . ازدحم الميدان بالجمهور . استبق الشعراء إلى الترحيب بنا والإشادة بثورتنا . وألقى شعراؤنا قصائد عن العروبة والجهاد والثورة والاشتراكية . وجدتنى طيلة الوقت أقارن بين أحاديثنا الفردية وكلماتنا أمام الجمهور . بين تجوالنا فى السوق وموقفنا وراء المنصة . إن الصوت الذى يتحدث أمام الجماهير هو صوت الجماهير . وخيل إلى أننى أدركت شيئا مما ينقصنا . لعله محور التناقض بين ما يقال وما يجب أن يقال . أن نتبنى فى خلوتنا صوت الجماهير . ها هى أشداق مستقبلينا متكورة بالقات إذ قامت الحفلة فى وقت التخزين . هكذا اجتمع خازنو القات بخازنى الهدايا فى سباق الحماس لتقرير المبادىء المثالية للأمة العربية . وعند إبداء ملاحظة من هذا النوع ستسمع من يرد عليك قائلا « يا

أخى .. نحن بشر .. لم نرتكب شرا .. ونحن مخلصون .. » ولكن أين الروح التى تشعل القلوب ؟، أين لحظات الانتصار على النفس التى تخلق المعجزات على مدى التاريخ ؟ ماذا ينقصنا ؟. لماذا نبقى كأننا متفرجون حسنو النية أمام فيلم يموج بجليل الأحداث ؟. وخيل إلىّ أن شيئا يتحرك عند ساقى تحت المائدة . طويت طرف الغطاء ونظرت إلى أسفل فرأيت صبية فى الثامنة أو دون ذلك ، متلفعة بشال أبيض ، تتفرج على الحفل من تحت المائدة ، شعرت بعينى فأدارت نحوى عينيها فرأيت وجها صغيرا نقى البشرة يحدق فىّ بعينين سوداوين كأجمل ما رأيت فى حياتى من عيون . وجب قلبى ممتنا لرؤيتها . وفاض به نبع من الحنان والحب . ورفعت عينى إلى قطع السحاب الأبيض المشعشع بنسائم مخضلة برذاذ يجىء قليلا وينقطع قليلا فاطمأن القلب إلى وجود شىء صغير على هامش الجمع ، عند ساقى ، ولكنه كامل الصدق والنقاء . وسهرنا فى حديقة القصر حتى الهزيع الأخير من الليل . الهواء بارد دسم ولكنه مفعم بالأمان والسحب تبهر العين بضياء القمر . وقال محدثنا :

ــ المدن معنا ، أما الجبال فمارقة ولا سبيل للتفاهم بين الاثنين .

وقلب عينيه فى وجوهنا مستطلعا ثم واصل :

ــ فإما أن نلتزم موقف دفاع إلى الأبد وإما أن نبيد العدو إبادة !

وقال قائل :

ــ الإبادة !

وقال آخر :

ــ الحضارة .. نغزوهم بالحضارة !

وثالث قال :

ــ نعترف بالواقع !

وتواصل الحديث تحت ضوء القمر .. وتجلت لنا الحقيقة صخرية صلبة

مستقلة بذاتها عن الأحلام .

الجنــدى

إلى وادى نشوز .

تحركنا بالعربات المدرعة R + R شارفنا الوادى . تقدمت دبابتان للاستكشاف تتبعهما مدرعتى للحراسة . دخلنا ممرا ضيقا تقوم على جانبيه هضبتان صخريتان وكنا فى المدرعة عشرة . بعد توغل نصف كيلومتر انهمر علينا الرصاص . تصدت دروع السيارة للرصاص واستمرت عملية الاستكشاف . انحشرت سيارتنا فى مطب أو التحمت بشىء مرتفع فتوقفت عجزت عن التحرك وضاع كل جهد لتخليصها .

ـــ على دبابة أن تدفعنا من الخلف .

ـــ ليذهب أحدنا إلى إحدى الدبابتين .

وقعت القرعة على زميل فغادر السيارة ليزحف على بطنه فى الظلام . انتظرنا فى غاية من القلق . وبعد دهر رجع إلينا وهو يقول :

ـــ دبابة المقدم مشتبكة فى قتال على بعد خمسة كيلومترات . أما الأخرى فقد تعطلت !

صعقنا الخبر . وهمس صوت :

ـــ نحن عشرة والعدو آلاف .

ـــ والعمل ؟

ـــ مصير سيارة البيضا !

من داخل السيارة رأينا الأشباح تهبط فى حذر من الجبل . فتحنا سقف السيارة وأخذنا أهبتنا بالبنادق والقنابل اليدوية . طلبنا النجدة باللاسلكى ولكن

الاتصال انقطع . أمرنا أقدمنا فى الخدمة بمغادرة السيارة . مرت لحظات رهيبة ممزقة بالخوف . قاومت موجة من الضحك تريد أن تجتاحنى . وثب أحدنا . تبعناه بلا تردد . نفر من الموت إلى الموت . انهال الضرب . انبطحت على وجهى . استعملت البندقية والقنابل اليدوية . فى هنيهة صمت رفعت رأسى فلم أجد أثرا لأحد من زملائى . دعوت القمر أن يختفى . لم أدر أين أتجه ولا كيف تفرق الزملاء . خيل إلى أننى محاصر . اتجهت وجهة بلا خطة ولا علم لى بما ينتظرنى . دهمتنى لحظة مباغتة فوجدتنى حيال ثلاثة أشباح من العدو بلا تدبر أو وعى فتحت الأمان وضغطت على الزناد فانطلقت مطرة من الرصاص خر على أثرها الثلاثة . انطلقت أعدو على غير هدى تحت ضوء القمر . سمعت صوتا ينادينى فاتجهت نحوه بلهفة من يفلت من قبضة الموت . وجدتنى مع مجموعة من الزملاء ماضية فى حذر نحو شبح الدبابة المعطلة . ولما بلغناها صحنا معا .

ـــ افتحوا .. نحن مصريون !

لم نتلق من الداخل استجابة من أى نوع كان . كررنا النداء بلا أمل . يئسنا فدفعنا أنفسنا فى الحشائش متفرقين وأصوات الرصاص لا تنقطع . وأخذ الضرب يخف حتى سكت . نهضت فى حذر مقتربا من الدبابة وهتفت بتوسل :

ـــ افتحوا .. إنى مصرى .. ألا تسمعون ؟

ظلت الدبابة غارقة فى صمت متحد مرهق رهيب حتى تطايرت اللعنات من فمى ثم رجعت مغيظا يائسا إلى قبر الحشائش . وإذا بالضرب يتركز على الدبابة كالسيل . مست رصاصة خوذتى فتشهدت . ترقبت الرصاصة التالية بيأس وقهر . هاتف قال لى إننى سأعود إلى مصر . أقسم لى على ذلك . اشتد الضرب لدرجة غير محتملة . ثم يهدأ ويخف لسبب لا أدريه . لم يبق منه إلا طلقات متباعدة وأنا مغروز بكل قوتى بين الحشائش . وخيل إلى أن الظلام يخف ويبهت رويدا . أجل ، الظلام يخف رغم اختفاء القمر وراء الجبل . سوف تلوح تباشير الضياء

وينقشع الظلام الذى يخفينى عن عين العدو المتربص . سيجدنى صيدا سهلا وسينهال الرصاص الحانق الغاضب علىّ من جميع الجهات . الصباح يقترب ولا مكان للمعجزات . لعل أمى تصلى فى هذه اللحظة ولكن لا أمل فى المعجزات . واشتد الضرب فجأة . اشتد أكثر من أى وقت مضى . أصبح الضوء يسمح بالرؤية . أقدام العدو تتراجع نحو الجبل والضرب يجىء من الناحية الخلفية . ترامى إلى سمعى صوت دبابة أو دبابتين . جاءت النجدة . إن القذائف تطير فوق لتنفجر خلف سفح الجبل . لم تدم فرحتى إلا ثانية واحدة ثم تساءلت كيف أعلن عن حقيقتى المدفونة لبنى وطنى ؟. كيف أتجنب الموت برصاصهم أو شظايا قنابلهم ؟. أطلقت النار نحو العدو المتقهقر . وتركز الخوف من الموت فيما ورائى . أثقلنى التعب وثقل علىّ بصفة خاصة فوق كتفى اليسرى . وغاصت الأرض بلا سبب واضح . إلى أين تغوص الأرض ولماذا ؟. إننى أهبط فى هوة ثم يرفعنى شىء مجهول إلى أعلى . وعاد ضوء الصباح يضعف بسرعة عجيبة حتى غاب كل شىء فى الظلام .

٦

الأديب والجندى

غادرنا القصر الجمهورى فى الصباح الباكر . والسيارة تميل بنا نحو طريق المطار . اعترض سبيلنا قطيع غنم ترعاه فتاة .. فتاة جميلة لخص وجهها وقوامها جمال تعز بكافة أشكاله وألوانه . اهتز الشاعر وجعل يهلوس بها بقية الرحلة . عدنا إلى الحديدة . إلى الحرارة الذائبة فى الرطوبة الخانقة . قال :

— الارتفاع فى المكان يحدث المعجزات ، كذلك الروح فإنها إذا شاءت أن

ترتفع فإنها تعانق المعجزات ، ما رأيك فى هذه الفكرة ؟

قلت :

— لخيرك ولخير الشعر لا تكتب إلا عن المرأة !

ودعانا القائد إلى العشاء فوق سطح مسكنه على شاطىء البحر الأحمر . لطف الجو على شاطىء البحر . طاب السمر حول المائدة الحافلة بما لذ وطاب من طعام وشراب . تجاوبت فى الفضاء ضحكاتنا . هل سمعتم نكتة الرجل الذى . هل تعرفون حكاية الزوجة التى ، هل وهل وها وها وها . وتنوع الحديث واختلط جده بهزله ، وتعدد المتحدثون فى وقت واحد ، وانقسموا إلى وحدات مستقلة .

— الجبليون أشداء . عندما يحكم على أحدهم بالموت يتقدم إلى السياف مطلق اليدين على مشهد من أهله ، لو خاف أو صرخ ركبهم العار إلى الأبد ، يحنى رأسه بثبات ، يهوى عليه السيف دون بادرة خوف من ناحيته ، ينفصل رأسه عن جسده وكأنه رأس رجل آخر .

— رجال أشداء حقا ، من سلالة غزت العالم ذات يوم ، وقوة مدخرة للخير مستقبلا !

* * *

ترى أين تلميذى القديم ، جندى المظلات ، ماذا يفعل الآن ، وماذا يفعل غدا ؟

* * *

— وينفذون أوامر شيخ القبيلة بلا تردد ، فى المعقول وفيما يجاوز أى معقول ، حتى الموت نفسه يهجمون عليه دون مبالاة ، ويؤمنون بأنهم من طينة غير طينة البشر ، وأن الدنيا جميعا تحت وأنهم فوق ، كالجبال التى تؤويهم !

* * *

— ستعود فرقة من الجنود معنا على ظهر الباخرة ..

— ما أجمل أن تؤدى واجبك فى حرب ثم تعود إلى الوطن سالما !

— الإنسان يحارب منذ وجد على ظهر الأرض ، ومن خلال الحرب خلق الحياة والحضارة !

— متى انقلبت إلى مارد فلسفى ؟

— لا فلسفة ولا دياولو ، فكرة تذهب بى وأخرى تجىء بى ..

— سبق أن قلت إنك لم تحارب ولن تحارب .

— والحمد لله على ذلك !

— ومرة تزوج جندى دون إذن فقدم للمحاكمة وحكم عليه بالحبس سبعة أشهر . ثم أرسل إلى مصر لتنفيذ الحكم ولكنهم أرسلوا معه زوجته اليمنية ..

* * *

— دماغى يدور ويجب أن نتبادل الرأى !

— سيتسع المجال فوق ظهر السفينة .

— العالم غريب ملىء بالمتناقضات ولا معنى لشىء إذا لم نعرف لماذا نعيش !

— شربت أكثر مما ينبغى ..

— إنى أشرب زجاجة كاملة وأستطيع بعد ذلك أن أحاضر إذا شئت ..

— متى تجمع محاضراتك فى كتاب ؟

* * *

ترى أين ضابط الشئون العامة لأسأله عن جندى المظلات ؟

* * *

— وتلاقينا مع قوة معادية ولكن حجز بيننا صخرة كبيرة فى ممر جبلى ، تحصنت كل جبهة فى مكانها واستحال علينا القتال ، دخلنا معركة كلامية ، قلنا

لهم يا عبدة الإمام يا أعداء الإصلاح فقالوا لنا يا كفرة يا فجرة يا عبدة الشيوعية ، ثم تمادينا فى السب والقذف !

* * *

ـــ لا أعرف مكانه الآن ، اكتب له خطابا وأعدك بإيصاله إليه فى أى مكان فى الميدان ..

* * *

ـــ هل جربت مواجهة الموت ؟

ـــ الحياة كلها كفاح وليس الجندى وحده الذى يحارب ..

ـــ ولكن ..

ـــ سأقص عليك قصة حب عانيتها زمنا ، بطلتها فتاة متمردة وحشية ، وسوف تقتنع بأن ما كان بينى وبينها لا يختلف عن القتال فى شىء .

* * *

هل ثمة فرصة لأكتب كلمة سريعة ؟

أخى العزيز ..

كم وددت أن أودعك قبل الرحيل . أذكرك بالحب والإكبار وأنا على وشك العودة إلى أرض الوطن . ستعود إليه ذات يوم منتصرا راضيا بإذن الله . اهنأ الآن بأنك تحارب فى سبيل قضية عادلة ، قضية التقدم للإنسان العربى . ومهما تكن العوائق ومهما تكن العواقب فإنك بذرت فى الأرض بذرة من طبيعتها النمو والازدهار . أستودعك الله وإلى اللقاء .

« المخلص »

جيت وجيجي



المسرح منقسم إلى قسمين . قسم أمامي وهو حوالى ثلثي المساحة وهو مضاء واضح المعالم . فى وسطه نخلة مغروسة ، وفى جانب منه ساقية صامتة ، القسم الخلفى مرتفع الدرجات على هيئة مصطبة ، تغشاه الظلمة ، وتلوح به أشباح راقدة ، نيام أو موتى . الطابع طابع تجريدى .

يرفع الستار . على المسرح فتاة جميلة تسير ذهابا وجيئة بين النخلة والساقية . ثوبها يناسب الجو التجريدى حيث يصعب تحديده على أساس جغرافى وكذلك ثياب جميع من سيظهرون على المسرح .

ومع ارتفاع الستار تترامى معركة بين اثنين آتية من ناحية اليسار . شتائم وتهديدات وأصوات ضرب .

الفتاة : يا رب السماوات .. متى تختفى هذه الأصوات من الوجود .. متى تشرق شمسك على أرض ناعمة البال ، قريرة العين ؟ (**تصغى إلى الأصوات بقلق متزايد ثم تقول :**) ترى هل أكفر عن ذنب قديم ؟، أو أنه بلاء مركب فى دمى ؟، أو أنها أخطاء تقع فلا تلقى إرادة صادقة لإصلاحها ؟. (**يتقهقر شخص مندفعا بعنف ، نتيجة لدفعة قوية تلقاها فى الخارج ، ثم يسقط تحت النخلة مغمى عليه . الفتاة تنحنى فوقه باهتمام وتربت على خده بحنان . يفتح عينيه . ينظر إليها ثم يغمض عينيه مرة أخرى مغمغما**)

الفتى أبى ! (**تربت على خده بحنان ، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما**) أمى ! (**تربت على خده بحنان ، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما**) زوجتى !

الفتاة : شد حيلك . (**تدلك خديه . يفتح عينيه مفيقا . ينظر إليها طويلا ثم يتمتم**)

الفتى : أنت !

الفتاة : حمدا لله .. قم .. اعتمد على ذراعى .. (**تقيمه .. تمسح بمنديل جبينه وتسوى له شعره .. وهو يأخذ فى التماسك شيئا فشيئا**) لعلك أحسن .. (**الفتى لا يرد ولكنه يعاود حالته الطبيعية**) تنفس بعمق فالجو اليوم طيب .

الفتى : لا شىء طيب على الإطلاق .

الفتاة : الجو طيب على الأقل ، هدىء خاطرك .

الفتى : هيهات أن يطيب بعد اليوم جو أو خاطر . (**تشده برقة إليها فى دلال**) .

الفتاة : تعال إلى ، أنا لا أعرف اليأس . (**تحدق فى عينى الفتى نظرة ولكنه يتراجع فى حياء أمام نظراتها الحنونة**)

الفتى : لست على حال أهنأ معها بعطفك ، معذرة ..

الفتاة : ليتك تقنع بصدرى ملاذا لك من متاعب الدنيا .

الفتى : ليت ذلك فى الإمكان .

الفتاة : إنه ممكن إذا أردته .

الفتى : (**متحسسا رأسه وعنقه فى تألم**) إنه مستحيل أردت أم لم أرد .

الفتاة : إنها اللعنة القديمة التى تطارد التعساء .

الفتى : الحق إنها تطارد الأحياء .

الفتاة : وعلى الأحياء أن يحذروها ، إنى أدعوك إلى السعادة الحقيقة فى الوجود .

الفتى : حتى السعادة تنقلب أحيانا بين أيدينا ترابا وخجلا .

الفتاة : يا لك من جاحد .

الفتى : لا أنكر عهدك ، ولكنى أخشاه ، أخشاه فى لحظة اندحارى الراهنة ، وأراه من موقفى الدامى ذا جاذبية مخيفة تعمى البصر .

الفتاة : أهذا شعورك نحو تفتح القلب وتألق الأزهار وجنى الثمر ؟!

الفتى : بل إنى أذكر مع الأسى ثقل الجنون ، وترهل العضلات واسترخاء الهمم .

الفتاة : دعنى أكرر أن ليتك تقنع بصدرى ملاذا لك من متاعب الدنيا .

الفتى : يا له من جمال دافىء قهار . أقوى من الموت نفسه ، ولكن تلاشت فى أحضانه أحلامى .

الفتاة : إنه أنفع من أحلامك .

الفتى : سيظل الجبن أكبر منغص لصفو الرجال .

الفتاة : من عجب أن تحن إلى فظاظة الخلاء !

الفتى : أجن حقا إلى توهج مصباح الحياة على حافة هاوية الخطر الداهم .

الفتاة : والدم والتشرد والغبار .

الفتى : بل قوة الاعتداد المسخرة للرياح .

الفتاة : ولدى زلة قدم يهال التراب على رجل من الرجال .

الفتى : والصرخات المدوية تتوارى فى أعقابها الفئران فى الجحور ، ولذة التساؤل المفعم بالقلق أمام احتمالات الحياة والموت .

الفتاة : ووجهك الملطخ بالدماء المثير للرعب .

الفتى : ونبض القلب بزهو النصر المؤسس على الحق والكرامة .

الفتاة : أنت أنانى ، زهدت فىّ بعد شبع . وشاقتك رائحة الدماء .

الفتى : إنى أحبك ولكنى أكره أن أتمرغ فى التراب .

الفتاة : هذا يعنى أنك لا تحبنى . (**الفتى يشير إلى المصطبة المسربلة فى**

الظلام حاملة الرقود من الأشباح)

الفتى : ليكن لى قدوة فى الغابرين .

الفتاة : لا أحب النظر نحو الموتى .

الفتى : لكنهم أحياء ما دمنا أحياء .

الفتاة : فراغ وراءك وفراغ أمامك ، ولا حقيقة فى الوجود سواى !

الفتى : كم استنمت إلى هذا الكلام الآسر حتى داستنى الأقدام .

الفتاة : لقد أشعلت غضبه بمزاحك .

الفتى : المزاح من آداب حياتنا فكيف يكون جزائى ضربا أليما موجعا !

الفتاة : طالما حذرتك من المغالاة فيه .

الفتى : ولما أردت الدفاع عن نفسى خذلتنى يداى .

الفتاة : الرجل المهذب خير عندى من الرجل القوى .

الفتى : صدقت حتى وهنت منى القبضة .

الفتاة : كان علىّ أن أنتشلك من حياة التشرد فى الخلاء .

الفتى : وهكذا هزمنى وهو يسخر من ضعفى .

الفتاة : لا تمزق عشرتنا بالكبرياء .

الفتى : إنها تتمزق بالمهانة كما تتمزق بالموت .

الفتاة : لا شىء كالموت .

الفتى : إنه ليس شر ما فى الحياة .

الفتاة : صدقنى فإنه العدو الأول للحياة .

الفتى : أيسرك أن أرضى بالهزيمة ؟

الفتاة : ارض بأى شىء إلا الموت .

الفتى : وأعود إلى اللعب السعيد وقلبى يحترق بنار الهزيمة ؟

الفتاة : للزمن بلسم يشفى كل شىء إلا الموت .

الفتى : (**مشيرا إلى المصطبة**) تعامل أجدادنا مع الموت بعقيدة أخرى فوهبوا الخلود .

الفتاة : لقد ماتوا وشبعوا موتا .

الفتى : (**مخاطبا المصطبة وأهلها**) قولوا إنكم خالدون . (**صوت من المصطبة كالصدى**) : إنكم خالدون .

الفتاة : لا تخاطب الفراغ كالمجانين .

الفتى : ألا تسمعين ؟

الفتاة : إنك تصرخ فى الأموات تبريرا لسفك الدماء .

الفتى : يا له من صوت رهيب !.

الفتاة : متى كان للتراب صوت .

الفتى : (**مخاطبا المصطبة**) هل تسمعون ما يقال ؟

الصوت ــ الصدى : (**بعد قليل**) هل تسمعون ما يقال ؟

الفتى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم ؟

الصوت ــ الصدى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم ؟

الفتى : (**لا يزال متطلعا إلى المصطبة وكأنما يخاطب نفسه**) إنهم يرددون قولى .. أجل .. ولهذا معنى عميق لا يخفى على لبيب .. وها هم يتحركون . (**يظلون رقودا طيلة الوقت ودون حركة**) .. إنهم يهدون إلى صورة عزيزة غابرة .. ها هو القتال يحتدم .. الشهداء يسقطون .. الجنود يتسلقون جدار الحصن كالنمل .. ها قد سقط الحصن .. وهذا هتاف النصر يدوى مخترقا جدار المئين من السنين (**ثم ملتفتا نحو الفتاة**) .. أرأيت .. أسمعت ؟

الفتاة : لا شيء يرى ولا يسمع !

الفتى : لقد زلزلنى هتاف النصر فوق جثث الشهداء .



الفتاة : ما هى إلا هواجس رغباتك الجامحة فى القتل .

الفتى : سحقا للخمول فى خمائل الورد .

الفتاة : يا حسرتاه على حكمة الأيام الناعمة .

الفتى : (**مشيرا إلى المصطبة**) لقد لفحتنى أنفاسهم المحترقة حزنا على .

الفتاة : ليس للأموات أنفاس تحترق .

الفتى : إذا مات الأموات أدرك الفناء كل شيء .

الفتاة : إذا أردت الحياة حقا فلا تنظر إلى الوراء .

الفتى : ولكن الوراء هو الأمام !

الفتاة : ولا تنظر إلى الأمام ..

الفتى : (**يقطب محتجا حائرا**) .

الفتاة : فلتغرق فى عينى توهب خلودا بين الظلمتين ! (**قهقهة ساخرة وحشية تترامى من ناحية اليسار**) .

الفتى : أتسمعين استفزازه الساخر ؟!

الفتاة : ريح هوجاء يعربد خلالها البشقاء .

الفتى : إنه يتحدانى !

الفتاة : سأغنى لك أغنية ترقص لها الحمائم فاستمع لى أنا !

الفتى : فلتطرب العصافير .

الفتاة : فلتهنأ بك شهوة الدماء .

الفتى : إن قهقهته الساخرة تحيل الهواء فى صدرى ترابا .

الفتاة : خير ما تفعل أن تصم أذنيك .

الفتى : ولكننى خلقت بأذنين .

الفتاة : لتسمع بهما مناجاتى الدافئة .

الفتى : يا لها من مناجاة أجهضت همتى ،.. الوداع ..

الفتاة : لن تستغنى عنى أبدا .

الفتى : فلتكونى الأمل المؤجل حتى يطيب كل شيء .

الفتاة : لن يطيب شيء بعيدا عن ذراعى . (**القهقهة الساخرة تترامى من بعيد**) .

الفتى : الوداع .

الفتاة : انعم بالنوم رغم الضوضاء .

الفتى : بل أقضى على الضوضاء قبل أن أنعم بالنوم .

الفتاة : كلمة أخرى .. لا أريد أن يدركنى اليأس . (**الفتى يضع أصبعيه فى أذنيه . تنظر إليه مليا ثم تمضى إلى الجهة اليمنى**) . (**الفتى ينظر نحو المصطبة**) .

الفتى : لا يمكن أن يدلنى على حقيقة الحياة إلا شخص أدركه الموت !

الصوت ـ الصدى : الموت .

الفتى : ذهبت .. ولكنها لن تذهب بعيدا .. محال أن أتحرر منها كلية .. ولا رغبة لى فى ذلك .. ولا قدرة لى عليه .. ولكنى أريد الحقيقة ..

الصوت ـ الصدى : الحقيقة .

الفتى : أفصحوا .. لا تتكلموا كما تتكلم الصخور .

الصوت ـ الصدى : الصخور .

الفتى : حدثونى عن الموت والحياة .

الصدى : الحياة .

الفتى : من هو البطل ؟

الصدى : البطل .

الفتى : أهو المحارب ؟

الصدى : المحارب .

(تحت المظلة)

الفتى : أهو المسالم ؟

الصدى : المسالم .

الفتى : اللعنة .. اللعنة .. اللعنة .. (**يتحول الفتى عن المصطبة**)
(**صائحا**) على أن أستعد .. إلىّ بالطبيب .. أيها الطبيب .
(**يدخل الطبيب .. بنفس الثياب التجريدية .. ولكنه ذو لحية .. وبيده حقيبة**) .

الطبيب : لا تصرخ اتقاء للمضاعفات .

الفتى : وهل تأكدت من مرضى حتى تحذرنى من المضاعفات ؟

الطبيب : إننا لا ندعى للأفراح .

الفتى : بل يبدو لى أنى مريض .

الطبيب : إننى أعمل يومين فى اليوم الواحد .

الفتى : ياه !

الطبيب : إنه الوباء .

الفتى : هل يوجد وباء ؟

الطبيب : كأنك تعيش فى قمقم .

الفتى : قمقم من الغم .

الطبيب : وهم ينتشر رغم المقاومة الفنية المنتظمة .

الفتى : لعلكم ازددتم به ثراء على ثراء .

الطبيب : نحن نثرى بفضل الأمراض لا الأوبئة .

الفتى : لكن الوباء ما هو إلا مرض كبير .

الطبيب : الوباء ينتشر انتشارا أعمى فيهدد كبار رجال الدولة ولذلك فهم يسخرون الأطباء لمقاومته فلا نفيد من ورائه خيرا يذكر .

الفتى : أمر يدعو للأسف ، ولكننا ندفع ثمن إهمالنا للبيئات الفقيرة القذرة .

الطبيب : الوباء وفد من الخارج كالعادة دائما .
الفتى : ربما ولكنه يستفحل فى البيئات الفقيرة .
الطبيب : إستفحل هذه المرة فى البيئات الراقية !
الفتى : ظاهرة غريبة تستحق الدراسة .
الطبيب : لكنك استدعيتنى لأمر أهم من التزود من الثقافة الصحية العامة .
الفتى : عندك حق . إنى أعتقد أنى مريض .
الطبيب : إنى مصغ إليك يا سيدى .
الفتى : لا أعراض خاصة تستحق الذكر .
الطبيب : لعلك ترغب فى إجراء كشف عام ؟
الفتى : تقريبا .
الطبيب : إما أنك تريد أو لا تريد فما معنى قولك « تقريبا » ؟
الفتى : لا مؤاخذة فهذا ما قصدته بالدقة .
الطبيب : ولِم لَم تذكر ما تقصد بالدقة من أول الأمر ؟
الفتى : ولا تشتد فى محاسبتى على أسلوبى فى الكلام .
الطبيب : هل يجرى كلامك على هذا النحو القلق عادة ؟
الفتى : تقريبا !
الطبيب : عدنا إلى تقريبا !
الفتى : فلنفترض أن الجواب بالإيجاب .
الطبيب : فلنفترض !.. ألا تستطيع أن تعبر عما تريد بدقة ؟
الفتى : طيب ، إنى أرغب فى إجراء كشف عام .
الطبيب : أسلوبك فى الكلام لا يخلو من دلالة مريبة .
الفتى : عدنا إلى الأسلوب .
الطبيب : إنه أول عرض .

الفتى : عرض !؟

الطبيب : إنك تحاور وتداور ، ولا تقصد إلى هدفك رأسا .

الفتى : معذرة .

الطبيب : وهذا هو أول أعراض الوباء .

الفتى : الوباء !

الطبيب : أما بقية الأعراض فيمكن استنتاجها .

الفتى : لا أفهم شيئا .

الطبيب : غير مهم .

الفتى : ولكنه مرضى أنا .

الطبيب : إنه وباء فهو ملكية عامة .

الفتى : فليكن ، علينا أن نفهمه على أى حال .

الطبيب : بل عليك أن تتداوى منه .

الفتى : حسن ، فلتحدثنى عن بقية الأعراض .

الطبيب : بل عليك أن تحدثنى أنت .

الفتى : ولكنك قلت إن بقية الأعراض يمكن استنتاجها .

الطبيب : أتريد أن ترسم لى خطتى فى العلاج ؟

الفتى : أنا تحت أمرك .

الطبيب : هذا هو العرض الثانى !

الفتى : أين هو ؟

الطبيب : بعد المحاورة والمداورة تصدر جملة واضحة محددة وهى « أنا تحت أمرك » .

الفتى : ولكنها مجرد مجاملة !

الطبيب : هذا ما يخيل إليك ، أما الواقع فإنه العرض الثانى !

الفتى : بهذه الطريقة يمكن أن نعتبر أى عبارة عرضا من أعراض الوباء .

الطبيب : قولك هذا يقطع بعدم ثقتك فى العلم .

الفتى : ولكننى من المتحمسين للعلم ..

الطبيب : **(يهز رأسه فى شك وهو صامت)**

الفتى : **(وهو يشير نحو المصطبة المسربلة بالظلام)** إنى من أصل عريق كان أول من أحرز فى ميدان العلم نصرا .

الطبيب : الإشارة نحو الظلام مقرونة بالمباهاة عرض ثالث من أعراض الوباء .

الفتى : لست من هؤلاء .. إنى بصفة عامة متعصب للعصر الحديث ..

الطبيب : متعصب ؟!

الفتى : أقصد أننى متحمس للعصر الحديث ، ولا ألتفت نحو الأسلاف إلا تحت ضغط ضرورة ملحة !

الطبيب : وهاك عرضا من أعراض الوباء .

الفتى : إذن فأين يقع السلوك الصحيح ؟

الطبيب : إنك لا تدرى عنه شيئا فيما أرى !

الفتى : إنى أجد دوارا فى رأسى !

الطبيب : الصراحة تحدث لك دوارا ؟.. عرض خامس !

الفتى : لعلى بالغت فى التعبير .

الطبيب : من الدوار إلى المبالغة .. عرض سادس !

الفتى : خير ما أفعل أن ألزم الصمت .

الطبيب : من الدوار إلى المبالغة إلى الصمت .. عرض سابع !

الفتى : ها .. ها .. ها ..

الطبيب : دوار ، مبالغة ، صمت ، ضحك بلا سبب .. عرض ثامن ..

الفتى : ها .. ها .. ها .. ها .. ها ..

الطبيب : إغراق فى الضحك رغم التأكد من أعراض الوباء .. عرض تاسع !

الفتى : (**يخفى وجهه بين كفيه**)

الطبيب : وتخفى وجهك ولكن أعراض الوباء لا تختفى .

الفتى : وماذا يمكن أن أفعل ؟

الطبيب : وهذا هو التساؤل الذى يمثل أخطر أعراض الوباء .

الفتى : الحق أنك لا تشخص مرضا ولكنك مصمم على إثبات وجود الوباء .

الطبيب : ها أنت تبدأ بالتهجم على ، ومعنى ذلك أنك تهادن من يتحرش بك وتتحرش بمن يحسن معاملتك .. وهذا هو العرض العاشر .

الفتى : إنك تثير غضبى .

الطبيب : وتغضب حيث يجب الحلم .. العرض الحادى عشر .

الفتى : (**هازئا**) لوئى لا بم .

الطبيب : هذيان لفظى .. العرض الثانى عشر .

الفتى : سيدى الطبيب ، ألم تعالج فى حياتك رجلا من أصحاب النفوذ ؟

الطبيب : حصل .

الفتى : وهل صارحته بما تصارحنى به الآن ؟

الطبيب : كلا .

الفتى : وكيف تصرفت معه ؟

الطبيب : تجنبت ذكر أى عرض يسىء إليه .

الفتى : ولكنك عرضت حياته للخطر ؟

الطبيب : هذا على أى حال خير من تعريض حياتى للخطر !

الفتى : أليس ذلك بعرض من أعراض الوباء ؟

الطبيب : بلى !!

الفتى : إذن فأنت مصاب أيضا .

الطبيب : طبعا لم يسلم من الوباء أحد !

الفتى : ألا تتداوى من الداء ؟

الطبيب : بنفس الدواء الذى سأصفه لك .

الفتى : وهو ؟

الطبيب : إنه دواء واحد لا بديل له ، وهو أن تسير إذا سرت على يديك ، أن تسمع بعينيك ، أن ترى بأذنيك ، أن تتذكر بعقلك ، وأن تعقل بذاكرتك .

الفتى : يا له من دواء غريب وشاق !

الطبيب : ولكنه ناجح وفعال ومجرب !

الفتى : شكرا لك .

الطبيب : عفوا آن لى أن أذهب .

الفتى : مصحوبا بالسلامة . (**الطبيب يتجه نحو الناحية اليسرى . صوت القهقهة الساخرة يرتفع ، الطبيب يتوقف عن السير . يستدير ذاهبا إلى الناحية التى جاء منها ويختفى**) آن لهذا الصوت الكريه أن يخمد ، ولا حل إلا أن أؤدبه ..

صوت من الجهة اليمنى : بل يوجد حل آخر .

(**يدخل رجل عملاق بادى الاعتداد بالنفس مبتسما بمودة**)

الفتى : من أنت ؟

العملاق : صديق .

الفتى : ولكنى لا أعرفك .

العملاق : نحن فى عالم لا نعرف إلا أعداءنا .

الفتى : ولكنى لم أرك من قبل .

العملاق : ها أنت ترانى ، وفى هذا الكفاية .

الفتى : لا حول ولا قوة إلا بالله .
العملاق : تذكر هذه اللحظة جيدا فسوف تؤرخ بها السعادة فى عمرك .
الفتى : وماذا تريد ؟
العملاق : أن أساعدك .
الفتى : فى أى شىء ؟
العملاق : فى قهر عدوك .
الفتى : ولكنى لم أطلب مساعدة أحد .
العملاق : وهذا يجعل من تقدمى إليك سلوكا جديرا حقا بالصداقة !
الفتى : ومن الذى أرسلك ؟
العملاق : قل إنها العناية الإلـٰهية .
الفتى : هذه إجابة عامة ولا تشفى .
العملاق : إذن اعتبر أننى جئتك بحكم وظيفتى .
الفتى : وما وظيفتك ؟
العملاق : أن أقيم ميزان العدالة .
الفتى : ومن قلدك هذه الوظيفة ؟
العملاق : الفرد هو الذى يختار الوظيفة التى تناسبه .
الفتى : ولكننى لم أسألك المعونة .
العملاق : ربما لأنك لم تكن تعلم بوجودى على كثب منك . وربما ..
الفتى : وربما ؟
العملاق : وربما لأنك تبالغ فى تقدير قوتك .
الفتى : هذا شأنى على أى حال .
العملاق : كلا .
الفتى : كلا ؟!

العملاق : إنه يدخل ضمن اختصاص وظيفتى ، على أن أنقذك ولو من نفسك .

الفتى : ولكن مرجع الأمر فى النهاية إلىّ أنا .

العملاق : ويرجع إلىّ بحكم وظيفتى .

الفتى : إنى أشكرك ، أرجو ألا تغالى فى اختصاص وظيفتك . ثمة رجل وقح اعتدى على ، ولا مفر من أن أؤدبه بنفسى ..

العملاق : ولكنه يفوقك قوة ، ولا دافع لشره سواى ..

الفتى : لست فى حاجة إلى مساعدتك .

العملاق : بل إنك فى مسيس الحاجة إليها .

الفتى : أكرر الشكر ولكننى لا أعرفك ولا تربطنى بك صلة حقيقية .

العملاق : إنى جزء لا يتجزأ من المكان ، لى فيه رزق وصهر ، وتربط أسرتى بأجدادك أواصر مودة قديمة .

الفتى : أجدادى ؟!.. إنى أشك فى ذلك .

العملاق : من أين لك هذا الشك ؟

الفتى : إنى أعرف من كانوا على صلة بهم ..

العملاق : لا بد أن تفوتك معرفة البعض ، وأسرتى كانت ضمن ذلك البعض

الفتى : حتى لو صح ذلك فإننى لا أعتبره ملزما لى بقبول مساعدتك .

العملاق : إنى أذكر ذلك التاريخ باعتباره مسوغا للقبول لا ملزما له !

الفتى : إذن لا إلزام هناك ..

العملاق : أما الإلزام فيجىء من طبيعة وظيفتى .

الفتى : إنى أرفض مبدأ الإلزام ..

العملاق : عجيب أن تقف هذا الموقف العنيد من مساعدة السماء ..

الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علىّ ردها .

العملاق : لن تستطيع ذلك وحدك .

الفتى : هذا لا يعنيك فى شىء .

العملاق : بل هو كل شىء عندى ، هو وظيفتى فى الحياة .

الفتى : لا شأن لى بوظيفتك .

العملاق : لا تجعلنى أشك فى قواك العقلية .

الفتى : انصرف من فضلك ودعنى أتصرف كما أشاء .

العملاق : فكر .. فكر طويلا .. لا ترفض هبة العناية الإلـٰهية .

الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علىّ ردها . (**الفتاة ترجع وتتخذ مكانها بين الرجلين**) (**العملاق يحنى لها رأسه فترد التحية**)

العملاق : لى عظيم الشرف بلقاء ربة الدار .

الفتاة : شكرا يا سيدى .

العملاق : كنت أذكره بالصلة القديمة التى ربطت بين أسرتى وأجداده .

الفتاة : سمعت كل شىء !

العملاق : إنه ينكر تلك الصلة .

الفتاة : لا يمكن إنكار أى صلة قديمة أو حديثة .

العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .

الفتاة : كن رفيقا به فهو غاضب .

العملاق : ألا يحق لى أن أتمسك بأداء وظيفتى ؟

الفتاة : مباركة الوظيفة التى تصون الحياة .

العملاق : مرحبا بصوت الحكمة .

الفتى : (**مخاطبا الفتاة**) — مؤامرة !

الفتاة : معاذ الله .

الفتى : مؤامرة .

الفتاة : افتح له صدرك .

العملاق : أشكرك يا صوت العقل .

الفتى : (**للفتاة**) إنى أطالبك بالاحترام .

الفتاة : قلبى ملئه الاحترام والحب .

العملاق : لم تعاند محبيك ؟

الفتى : الحب قد يدفع إلى الهلاك .

الفتاة : الحب لا يتعامل إلا مع الحياة .

الفتى : إنى أطالبك بالانسحاب .

العملاق : غريب أن تعامل الجمال والحكمة بهذه الفظاظة .

الفتى : (**للعملاق**) لا تتدخل فى شئونى الخاصة .

العملاق : سمعا وطاعة .

الفتاة : إنى ذاهبة ما دمت ترغب فى ذلك ، ولكنى أتوسل إليك أن تفتح له صدرك . (**الفتاة تذهب**) (**فترة صمت يتبادل فيها الرجلان النظرات ، العملاق باسما والفتى غاضبا**)

العملاق : الجو أصبح أصلح للمناقشة .

الفتى : ألم تستنفد المناقشة .

العملاق : كلا بعد ، افتح لى صدرك ، واتخذ بعد ذلك قرارك .

الفتى : (**يتنهد صامتا**) .

العملاق : أريد أن أساعدك .

الفتى : خبرنى صراحة عما تريد ثمنا لذلك ؟

العملاق : إنى صديق ولست بتاجر .

الفتى : حدثنى عما تريد .

العملاق : لا شيء ألبتة .

الفتى : ألبتة ؟

العملاق : إلا ما تتطلبه ظروف العمل طبعا .

الفتى : ظروف العمل ؟

العملاق : لكى أؤدب عدوك فلا بد من استدراجه إلى هنا .

الفتى : إلى مكانى هذا ؟

العملاق : نعم .

الفتى : لا يجوز أن يدنس مقامى بقدمه .

العملاق : لا تعط المكان أهمية أكثر مما يستحق .

الفتى : (**مشيرا إلى المصطبة**) إنه مقامى مذ كان مقاما لهؤلاء .

العملاق : ولا تعط للأموات أهمية أكثر مما يستحقون .

الفتى : إذن هذا هو رأيك عن الأجداد ؟

العملاق : إن باطن الأرض ملىء بالعظام وهيهات أن تعرف أين عظام أجدادك بينها .

الفتى : هذا رأى من لا أصل له .

العملاق : لا تغضب .. ما أردته هو أن أبين لك خطتى فى العمل .

الفتى : ولم لا تذهب إليه حيث يقهقه ؟

العملاق : إنى أعرف ما أريد .

الفتى : سأجاريك فى أفكارك فهل إذا وافقت على رأيك تشرع فى العمل ؟

العملاق : ولكن ليس هذا بكل شيء .

الفتى : ثمة شروط أخرى ؟

العملاق : لا تردد كلمة « شروط » فما أبغضها فى مقام الصداقة .

الفتى : طيب .. ماذا تريد أيضا ؟

العملاق : فى فترة التأهب للمعركة أحتاج لرعاية خاصة .

الفتى : مثال ذلك ؟

العملاق : تقدم لى الطعام والشراب والترفيه الضرورى .

الفتى : جميل ، ولكن يخيل إلى أن مطالبك لم تنته بعد ؟

العملاق : ما أجمل أن تدعو الفتاة الجليلة لمجالستنا !

الفتى : فتاتى ؟

العملاق : إنها قلب كبير يتسع للجميع ..

الفتى : ولعله يتسع أيضا لعدونا المشترك ؟

العملاق : أعنى أننى فى حاجة إلى الحنان قبل المعركة .

الفتى : وماذا أيضا ؟

العملاق : بما أننى سأكون يدك عند الحاجة فمن الإنصاف ألا تتورط فى فعل قبل مشاورتى ..

الفتى : منطق سديد !

العملاق : ولا أن تصادق شخصا قبل موافقتى فقد يكون لى عدوا .

الفتى : واحد وواحد يساويان اثنين .

العملاق : ولا أن تعادى شخصا قبل الرجوع إلىّ فقد يكون لى صديقا .

الفتى : من يجادل فى ذلك ؟

العملاق : هل نبدأ ؟

الفتى : أود أن أسألك سؤالا ، هل يمكن أن يفعل بى عدوى أكثر من ذلك ؟

العملاق : (مستنكرا) ولكن الفعل يتغير معناه بتغير فاعله .

الفتى : فاعله ؟!

العملاق : قبلة من زوجك غير قبلة من بنت هوى ، وصفعة من والدك غير صفعة من غريب !

الفتى : وأنت تعتبر نفسك الوالد والزوجة لى ؟

العملاق : بدأنا نتفاهم فيما أعتقد .

الفتى : (**غاضبا**) اغرب عن وجهى .

العملاق : ماذا جرى لك ؟

الفتى : اذهب .. اذهب بلا تردد .

العملاق : أين أذهب ؟

الفتى : ابعد عن مقامى .

العملاق : ولكنه مقامى أنا أيضا .

الفتى : ماذا قلت ؟

العملاق : يا سيدى ، مضى وقت طويل ونحن نتبادل الحديث ، وقت يعطينى الحق فى الإقامة ، وبالإضافة إلى ذلك نشأت علاقة إنسانية صميمة مع فتاتك الحكيمة ، بل مع هؤلاء الأجداد أنفسهم ..

الفتى : أنت بلطجى ..

العملاق : فليسامحك الله .

الفتى : اذهب بعيدا ، لا أريد مساعدتك ، وسألقى عدوى وحدى ..

العملاق : عليك فى هذه الحال أن تقاتل اثنين !

الفتى : كيف ؟

العملاق : إنك تناصبنى العداء وسأضطر إلى الدفاع عن نفسى ..

الفتى : تهاجمنى لأننى أرفض مساعدتك ؟

العملاق : لأنك تريد أن تطردنى من مقامى وتعطل وظيفتى الأساسية فى الحياة .

الفتى : لا تستهن بى ، لست عملاقا مثلك ، ولكننى مصمم على منازلة الموت نفسه .

العملاق : ما دمت تريد الموت فلتمت .

الفتى : سأموت إذا مت وأنا أقاتل .

العملاق : إذن فلتقاتل ولتمت . (**تعود الفتاة مسرعة**)

الفتاة : أردت أن تفتح صدرك للتفاهم لا للموت .

الفتى : إنه شر من الآخر .

العملاق : إنه أحمق .

الفتى : إنه من النوع الآخر ولكنه شر منه .

الفتاة : يا للأسف .

الفتى : لا منفذ إلى حياة طيبة مع وجودهما .

الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد ؟

الفتى : عندما يختفيان هما وأمثالهما .

الفتاة : كلام قديم معاد .

الفتى : ولكنه حق .

الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد ؟

العملاق : إنى أردد هذه الكلمة المنشودة ولا من سميع .

الفتاة : (**للعملاق**) ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة بلا شروط ؟

العملاق : إنى أبغض كلمة « شروط » .

الفتاة : ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة دون أن تطالب بشىء ؟

العملاق : لن يكون هذا من العدل فى شىء ..

الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد .. (**صوت القهقهة الهازئة يترامى من بعيد**) (**العملاق ينصت إلى الصوت باهتمام ودهشة**)

العملاق : رباه .. إنى أعرف هذا الصوت .

الفتاة : إنه صوت عدوه .

العملاق : عدوه !

الفتاة : نعم .

العملاق : يا لعجائب المصادفات !

الفتاة : هذا هو الرجل الذى قصدت بتقديم مساعدتك القضاء عليه .

العملاق : ها .. ها .. ها .

الفتاة : ماذا يضحك ؟

العملاق : إنه قريبى من ناحية الأم !

الفتاة : قريبك ؟!

العملاق : نعم .. يا لذكريات الطفولة السعيدة التى لا تنسى .

الفتى : ظننتك تعرف العدو الذى جئت متطوعا لضربه .

العملاق : ها .. ها .. ها .

الفتى : ألا زلت عند رأيك فى مساعدتك ؟

العملاق : ولكنك رفضت مساعدتى !

الفتى : هبنى قبلتها فهل تقدمها ؟

العملاق : مع كافة الشروط التى اشترطتها ؟

الفتى : لكنك تبغض كلمة « شروط » ؟

العملاق : نعم أم لا ؟

الفتى : نعم .

العملاق : فى هذه الحال ألعب دور رسول السلام بينكما .

الفتى : رسول السلام ؟

العملاق : إكراما لهذه الفتاة الحكيمة ، ولك .

الفتى : وتعهداتك السابقة ؟

العملاق : للقربى حقوق ، وإنى لا أوفيها حقها الكامل بموقفى هذا ..

الفتى : ولكنه هو المعتدى ؟

العملاق : ولو !

الفتى : وهو فى الأصل قاطع طرق ليس إلا ؟

العملاق : ولو !

الفتى : إنه وحش ذميم .

العملاق : إنك لا تراه على حقيقته .

الفتى : ألم تسمع قهقهته الساخرة ؟

العملاق : هذه هى طريقته فى المزاح ، يا له من شاب خفيف الروح حقا !

الفتى : ولكنى أعرفه حق المعرفة ، من خلال المعاملة والجوار والصراع عرفته .

العملاق : صدقنى إنه لا يكشف عن مكنون كنوزه إلا لمن يحبه ويفهمه .

الفتى : بل لا تلين عريكته إلا لمن يشكمه بالتأديب والضرب .

العملاق : أحمد الله على أنك لم تتمكن من ضربه .

الفتى : ولم ؟

العملاق : كنت سأهرع إلى نجدته .

الفتى : ها أنت تهددنى .

العملاق : للقرابة حقوق .

الفتى : تجلت الحقيقة ، فما أنت إلا بلطجى كقريبك .

العملاق : يا له من تفكير خليق بأن يقود إلى الهلاك .

الفتى : لا تضيع وقتى هباء .

العملاق : تصرف بوقتك كما تشاء .

الفتى : سأسوى حسابى بنفسى .

العملاق : أنت تعلم أن هذا الكلام لا معنى له ، وقد وضحت لك أهداف

وظيفتى ..

الفتى : اللعنة !

العملاق : إنى صديقك أردت أم لم ترد ، وإنى قريبه قبلت ذلك أم لم تقبله ، وأنا أكبر منكما سنا وأعظم قوة ، فواجبى أن أجمع بين ثلاثتنا بعهد صداقة دائمة جديرة بهذا المكان الذى يؤاخى الأحياء والأموات أنفسهم .

الفتى : كلام طيب ونية لئيمة وفعل غشوم ..

العملاق : (**مخاطبا الفتاة**) .. تكلمى أنت .

الفتاة : لم يعد عندى من جديد أقوله .

الفتى : اعترفى بأننى على حق .

الفتاة : أعترف بأنه لا يهمنى فى هذا الوجود إلا الحب .

العملاق : كم أنك حكيمة !

الفتى : كم أنك أنانية .

الفتاة : الحب عطاء بلا حدود ولا نهاية .

الفتى : الوحش يأخذ ولكنه لا يعرف العطاء .

الفتاة : ليتك تؤمن بالحب .

الفتى : لا حياة للحب بين الوحوش .

الفتاة : الحب أقوى قوة فى الوجود بيد أنه سلاح لا يسلس إلا لمن يؤمن به .

الفتى : للوحوش لغة أخرى .

الفتاة : أخشى أن تنقلب وحشا مثلهم .

الفتى : الكرامة أهم من الحياة نفسها .

الفتاة : الفضائل الحقيقية ثمار لا تنبت إلا فوق شجرة الحب ..

العملاق : (**مخاطبا الفتى**) .. من المؤسف أنك تحب الموت أكثر مما تحب

فتاتك الجميلة الحكيمة .

الفتى : الموت أحب إلى من الخضوع لإرادتك . (**القهقهة الساخرة تترامى من بعيد**)

العملاق : يا له من فتى ضحوك ، يحب المزاح بقدر ما يحب الحياة الآمنة .

الفتى : إنك لئيم بقدر ما أنت قوى .

العملاق : أمامك عملاقان ، ووراءك حياة طيبة ، فارجع إلى الوراء .

الفتى : إلى الأمام .

العملاق : (**للفتاة**) أقترح أن ندعه لنفسه ليفكر بهدوء فإن الجدل يغريه بالعناد والمكابرة . (**العملاق والفتاة يخرجان من بابين متقاربين فى الناحية اليمنى**) .. (**الفتى يتفكر قليلا .. ينظر ناحية المصطبة المسربلة فى الظلام**) .

الفتى : آن لكم أن تنطقوا .

الصدى : تنطقوا . (**الفتى يلوح بيده غاضبا .. يذهب ويجىء متفكرا .. يدخل رجل أعمى يتحسس طريقه بعكاز ، يتصنت مائلا برأسه نحو الفتى**)

الشحاذ : هل يوجد أحد هنا ؟

الفتى : نعم .

الشحاذ : أنت الذى ناديتنى ؟

الفتى : كلا .

الشحاذ : لكنه صوتك وأذنى لا تخطىء .

الفتى : خبرنى عما تريد .

الشحاذ : ماذا تريد أنت ؟

الفتى : ألست شحاذا ؟

الشحاذ : بلى .

الفتى : لعلك تريد إحسانا ؟

الشحاذ : رزقت اليوم بما فيه الكفاية فماذا تريد أنت ؟

الفتى : لا أريد شيئا .

الشحاذ : كذب !

الفتى : شحاذ ووقح .

الشحاذ : لم تشتمنى ؟

الفتى : كيف تجرؤ على رميى بالكذب ؟

الشحاذ : لأنك كذاب ! (**الفتى يرفع يده ليضربه ولكنه يتراجع أمام عجزه**)

الفتى : أذهب قبل أن أكسر رأسك .

الشحاذ : لا أذهب حتى أعرف لماذا ناديتنى وماذا تريد منى .

الفتى : اذهب أحسن لك .

الشحاذ : ليس قبل أن أعرف ماذا تريد .

الفتى : (**ساخرا**) وهل عندك ما تعطيه ؟

الشحاذ : اطلب ما تشاء .

الفتى : (**ضاحكا رغما عنه**) إنى مدين لك بأول ضحكة فى يومى .

الشحاذ : هذا قليل من كثير مما عندى .

الفتى : يخيل إلى أنك غنى .

الشحاذ : جدا .

الفتى : ماذا تملك ؟

الشحاذ : عالم الظلام الذى لا نهاية له .

الفتى : أنت خفيف الروح رغم سلاطة لسانك ، وكان ينبغى أن تجد ملجأ

يؤويك .

الشحاذ : التحقت ذات يوم بملجأ .

الفتى : ولم تركته ؟

الشحاذ : رفت !

الفتى : (**ضاحكا**) أسمع أول مرة عن رفت الشحاذين !

الشحاذ : كان ناظر الملجأ فظا غليظا ولصا لا حياء له .

الفتى : وتوقع أن تسبحوا بحمده على أى حال ؟

الشحاذ : ولكن بعضنا تمرد وكنت على رأس المتمردين !

الفتى : وفضلت أن تهيم على وجهك بلا مأوى ؟

الشحاذ : نعم .

الفتى : ولكن أليس الملجأ بكل عيوبه أفضل من التسول والتشرد ؟

الشحاذ : الحرية أفضل من الأمن نفسه !

الفتى : يخيل إلى أنك شحاذ مثقف !!

الشحاذ : أعرف أشياء كثيرة .

الفتى : مثل ماذا ؟

الشحاذ : أن أرى بأذنى .

الفتى : وماذا أيضا ؟

الشحاذ : وأن أسير على يدى !

الفتى : أنت ترى بأذنيك وتسير على يديك !

الشحاذ : وصادفنى فى تجوالى بعض الرسميين فقادونى مرة أخرى إلى الملجأ .

الفتى : إلى الوحش ؟

الشحاذ : كلا ، كان قد خلفه ناظر جديد عادل وأمين ورحيم ..

الفتى : وكيف تركته بعد ذلك ؟

الشحاذ : هربت !

الفتى : غير معقول .

الشحاذ : كان عادلا وأمينا ورحيما ولكنه مغرم بالنظام لدرجة الهوس ، ويطبقه بدقة فلكية ، ولا يقبل مراجعة ..

الفتى : ولكنك نعمت بالغذاء والكساء والراحة والنظافة ..

الشحاذ : الأكل بميعاد والشرب بميعاد و « ولا مؤاخذة » بميعاد والنوم بميعاد ، فكدت أن أجن ..

الفتى : وتمردت مرة أخرى ؟

الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه فلم يطاوعنى ضميرى على التمرد على رجل عادل أمين رحيم .

الفتى : كان عليك أن ترضى ..

الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه !

الفتى : التمرد ليس خيرا فى ذاته .

الشحاذ : ولكنه خير من أن تكون حجرا .

الفتى : وهكذا هربت ؟

الشحاذ : هكذا هربت .

الفتى : إلى التراب والحشرات واللقمة والعفنة !

الشحاذ : إلى سعادتى الحقيقية .

الفتى : حديثك مثير وعجيب .

الشحاذ : فتك بعافية . (**الشحاذ يتحرك**)

الفتى : انتظر .. (**الشحاذ يستمر فى سيره**) ألا تريد أن تسمعنى ؟ (**يمضى الشحاذ حتى يختفى**) (**يعود العملاق .. تعود الفتاة**)

الفتاة : قلبى طيلة الوقت معك .

العملاق : لعلك اقتنعت برأيى .

الفتى : أيها السيد الذى يحب الشر ، ويحب الخير أحيانا لحساب الشر . أيتها السيدة التى تحب الخير ، وتحب الشر أحيانا لحساب الخير . إليكما رأيى النهائى . سأصون كرامتى حتى الموت .

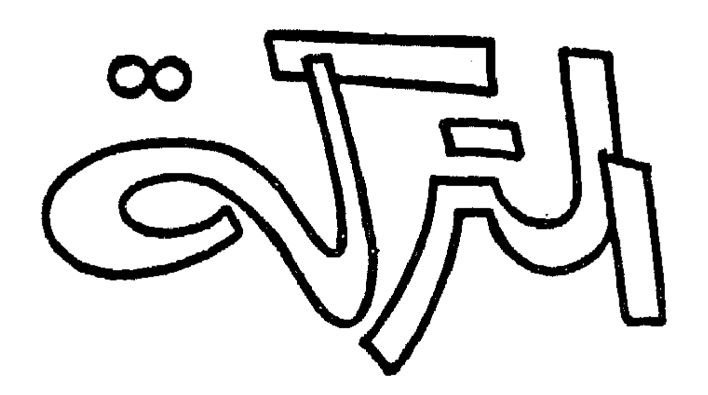
الفتاة : (**تخفى وجهها بين يديها وستظل كذلك إلى ما قبل النهاية**) .

العملاق : شعار الوباء الذى فتك بملايين الحمقى ..

الفتى : ينابيع الحياة الحقة مهددة بالجفاف ، أشواق القلب الخالدة يساومها الضياع ، سحقا للوحشة التى تذبل فيها معانى الأشياء ، إنى ذاهب .. (**القهقهة الساخرة ترتفع**) (**الفتى يتحول نحوها فى تصميم ويتقدم . العملاق يثب نحوه . الفتى يدفعه . العملاق يقبض على كتفيه ويدفع به نحو المصطبة . الفتى يندفع حتى يغيب فى الظلمة ـــ الفتى يرتد كأنه كرة ارتطمت بجدار منقلبا على وجهه ثم يقف مترنحا . وكأن حركته أيقظت الرقود وشدتهم من رقادهم . يتدحرج أولهم حتى يصل إلى مقدم المسرح وينهض فى تثاقل كمن يقوم من نوم . يتبعه آخر مكررا نفس الحركة . ويتتابع كثيرون . رجالا ونساء مكررين نفس الحركات حتى يكتظ بهم المسرح .**

العملاق يتزحزح رويدا رويدا حتى يغيب فى المدخل المفضى إلى القهقهة الساخرة . تتم يقظة الجميع . تنتصب قاماتهم . يرتسم العزم فى وجوههم . يجرى ذلك فى تمثيل صامت . يسير الفتى نحو ناحية عدوه وهو يضرب الأرض ضربات مسموعة منتظمة . يمضون خلفه فى عزم صلب حتى يختفوا جميعا . ضربات أقدامهم ما زالت تترامى)

الفتاة : (يرفع يديها عن وجهها .. تصغى بحزن .. وترمى بنظرها إلى بعيد) .


التركة



(حجرة انتظار فى بيت ولى الله)

(حجرة ذات طابع عتيق . فى الصدر كونصول . باب إلى اليمين وآخر إلى اليسار ـ تصطف بجوانبها كنبات تفصل بينها كراسى . ثمة حصر مزركشة معلقة على الجدران فى مواضع محددة) (يدخل فتى وفتاة . يتفحصان الحجرة باستطلاع من يراها لأول مرة ، ثم يقفان فى الوسط)

* * *

الفتى : البيت صامت كأنه قبر .

الفتاة : صفق لتشعرهم بوجودك .

الفتى : إنه يكره ذلك ، ما زلت أذكر طبعه .

(صمت قصير)

الفتاة : بيتكم قديم ، والحوارى المفضية إليه شقت فيما يبدو من عهد نوح .

الفتى : لا تنسى أصلك وأنت تتكلمين عن الحوارى كسائحة .

الفتاة : تأدب ، المفروض أننا مهذبون .

(صمت قصير)

الفتى : لم دعانى يا ترى ؟

الفتاة : هو أبوك مهما يكن من أمر .

الفتى : ظننت أن الماضى لن يعود .

الفتاة : الحاضر يمضى والماضى يعود ، ولا ينبغى لرجل مذنب أن ييأس ، فأى ذنب يغفر ما دام المذنب رجلا .

الفتى : ألم تحلمى يوما بأن يدعوك أبوك ليغفر لك ؟

الفتاة : لو رآنى ساعة احتضاره لغالب الموت حتى يفتك بى . (**الفتى يبتسم من خلال ثوانى من الصمت**)

الفتى : ترى لماذا دعانى بعد ذلك الفراق الطويل ؟

الفتاة : إنك وحيده وللقلب حنينه ، ومن يدرى فلعلك ..

الفتى : لعلى ؟

الفتاة : لعلك تذهب مكرما بثروة لم تخطر لك على بال .

الفتى : طردنى يافعا ولا مليم فى جيبى .

الفتاة : ماذا كنت تتوقع جزاء لسلوكك المشين ؟

الفتى : تشردت وجعت ولولا ..

الفتاة : ولولا فجورك لمت جوعا .

الفتى : اقطعى لسانك يا بنت الأبالسة .

الفتاة : ولأنك رجل فكل ذنب مغفور لك .

الفتى : ولأنك امرأة فكل ذنب مرجعه إليك .

الفتاة : أنت صعلوك ولكن تخافه الشياطين .

الفتى : فلنتأدب ولو ساعة من الزمان .

الفتاة : حتى تضحك على الرجل .

الفتى : العبى دور الزوجة بإتقان .

الفتاة : كان عليك أن تجىء وحدك وتتركنى فى سلام .

الفتى : لئن أتقدم إليه مصحوبا بزوجتى خير من الحضور وحدى كرجل أعزب محوط بشبهات العزاب .

الفتاة : لعله يعرف عنك أكثر مما تتصور .

الفتى : لو صح ذلك لما دعانى بإعلان فى الجرائد .

الفتاة : ولكنه ولى من أولياء الله فكيف لم يعرف أنك صاحب خمارة وأنك

مغامر ؟!

الفتى : على أى حال فإنه لم يدخل السجن فهو خير من أبيك المرحوم .

الفتاة : تدفعني إلى استعمال حذائى فى هذه الحجرة العتيقة المباركة .

الفتى : استعمليه ، وسأرد بكسر رأسك ، ونقدم بذلك الدليل على صدق علاقتنا الزوجية .

(صمت)

الفتاة : آه لو يتحقق حلم الثروة !

الفتى : وتتحول الخمارة الصغيرة إلى ملهى ليلى عالمى .

الفتاة : والمغامر الهاوى إلى قواد دولى ! **(يكور لها قبضة يده مهددا فتتراجع خطوة وهى تضحك دون إحداث صوت)**

الفتاة : الحق أن أباك ذو سمعة طيبة كرائحة الورد .

الفتى : أجل .

الفتاة : ما سألنا أحدا عن بيته إلا ولهج بالثناء عليه .

الفتى : أناس هذه الأحياء طيبون !

الفتاة : ولكنهم يؤكدون خوارقه .

الفتى : إنهم يرون فى الحاوى معجزة .

الفتاة : وينوهون بالطمأنينة التى يزرعها فى القلب .

الفتى : جميع هؤلاء يجيئون إلى هنا ويجودون بنقودهم عن طيب خاطر .

الفتاة : ربما لأنهم يأخذون ما هو أقيم مما يعطون .

الفتى : إن قلبك لا يخلو من موطن للخرافة رغم اكتنازه بالشر الباهر .

الفتاة : وأنت ، ألا تذكر يوم تأزمت بالمغص الكلوى ؟

الفتى : كفى عن الثرثرة ، الرجل مليونير ما فى ذلك من شك .

الفتاة : لندع الله أن يكون ذلك صحيحا .

الفتى : هنا .. هنا ثروة طائلة !

الفتاة : هنا ؟

الفتى : أولياء الله لا يتعاملون مع البنوك .

الفتاة : وعند حلول الأجل يمكن استخلاص التركة بعيدا عن قبضة الضرائب .

الفتى : ولكن ثمة خطرا أفظع من الضرائب .

الفتاة : ماذا تعنى ؟

الفتى : أعنى من يقومون بخدمته .

الفتاة : من يخدم أولياء الله ؟

الفتى : الشياطين !

الفتاة : هل تعنى ما تقول ؟

الفتى : أعنى شياطين الأرض .

الفتاة : من حسن الحظ أنك شيطان وبوسعك أن تتعامل مع الشياطين ، هل لك امرأة أب ؟

الفتى : ماتت من زمن بعيد .

الفتاة : أهو طاعن فى السن ؟

الفتى : جدا .

الفتاة : هذا يبشر بالخير !

الفتى : لا تحلمى ، ماتت أجيال وهو حى يمارس عمله .

الفتاة : لم تعد أعصابى تتحمل الصبر أكثر من ذلك ، عليك أن تقابله .

الفتى : بل علينا أن ننتظر ، إنى أعرف طبعه . (**صمت . يمشيان ذهابا وجيئة**) (**يفتح الباب إلى اليسار . يدخل غلام حاملا مبخرة . غلام جميل يلبس جلبابا وطاقية ومركوبا . يدور فى الحجرة حارقا**

البخور دون أن يلتفت إلى الفتى والفتاة ودون أن ينبس بكلمة . يقف الفتى والفتاة جنبا لجنب وهما يتابعانه بعينيهما) . يا غلام . (**الغلام يكف عن الدوران ويقف قبالتهما**) هل أنت من يقوم على خدمة الشيخ ؟

الغلام : الناس جميعا يقومون على خدمته .

الفتى : وماذا تفعل أنت ؟

الغلام : إنى خادم البيت .

الفتى : أنا ابن مولاك .

الغلام : أعرف ذلك يا سيدى .

الفتى : وكيف عرفتنى ؟ (**الغلام لا يجيب**) لم لا تجيب ؟

الغلام : لقد أجبت يا سيدى .

الفتى : (**باسما**) طيب .. لقد جئت ملبيا دعوته .

الغلام : أعرف ذلك يا سيدى .

الفتى : ألا تدرى متى يدعونى إلى لقائه ؟

الغلام : لقد كلفنى مولاى أن أخبرك ..

الفتى : (**مقاطعا**) إنى أسألك متى يلقانى .

الغلام : لقد ذهب .

الفتى : أين ؟.. ومتى ؟

الغلام : غادر البيت عقب صلاة الفجر .

الفتى : ومتى يعود ؟

الغلام : لن يعود .

الفتى : أنت تهذى يا غلام .

الغلام : سامحك الله يا سيدى .

الفتى : ولم لن يعود ؟

الغلام : (**محنيا رأسه من الحزن**) لقد ذهب إلى لقاء ربه .

الفتاة : (**جزعة**) ماذا تعنى يا شاطر ؟

الغلام : قال إنه يشعر بدنو الأجل ثم ذهب .

الفتى : ولِم لم يبق فى فراشه ؟

الغلام . نذر من قديم أن يلقى ربه فى الخلاء .

الفتى : ولكنك تعرف مكانه ؟

الغلام : كلا .

الفتى : ولماذا دعانى ؟

الغلام : دعاك لتعود إلى بيتك القديم .

الفتى : وهل حملك رسالة إلى ؟

الغلام : قال : دنا الأجل ، آن لى أن أدعو ابنى الضال لعله يصلح لأن يرث التركة .

الفتى : التركة ؟!

الغلام : أمرنى أن أسلمك التركة لعلك تثوب إلى رشدك .

الفتى : ليرحمه الله .. أعنى ليمد الله فى عمره .

الفتاة : وأين التركة يا شاطر ؟

الغلام . : قال سيجىء غارقا فى الضلال ساحبا معه قرينة سوء .

(صمت مع تبادل نظرات)

الفتاة : هذا يعنى أنها أيضا فى حاجة إلى نصيب من تركته .

الفتى : ومتى تسلمنا التركة ؟ (**الغلام يشير إلى حصيرة معلقة على الحائط إلى يمين الكونصول**)

الغلام : التركة فى خزانة وراء الحصيرة .. هاك المفتاح يا سيدى .

(يتناول الفتى المفتاح ويمضي إلى الحصيرة . يهم الغلام بمغادرة الحجرة . الفتاة تهرع إليه فتقبض على يده)

الفتاة : ابق حتى نتسلم التركة . **(الفتى يزيح الحصيرة . يفتح الخزانة . يأخذ فى إخراج كتب صفراء . ويقرأ بعض العناوين وهو يخرجها ويرصها فوق الكنبة)**

الفتى : الحق .. مدارج الروح .. سلام القلب . **(يستمر فى إخراج الكتب التى تتراكم فوق الكنبة ويتهاوى بعضها على الأرض)**

الفتى : أين التركة ؟

الفتاة : **(للغلام)** أنت سرقتها !

الغلام : سامحك الله .

الفتى : **(مواصلا إخراج الكتب)** أين التركة ؟

الغلام : كان المفتاح معك .

الغلام : أعطانيه قبل أن يغادر البيت . **(الفتى يواصل إخراج الكتب ثم يصيح بفرح جنونى)**

الفتى : التركة ! **(يخرج رزما من الأوراق المالية ويرصها فوق خوان)**

الفتاة : ثروة طائلة .

الفتى : ما أكرمك يا أبى وما أبرك !

الغلام : إنه يوصيك بألا تنفق منها مليما واحدا قبل أن تستوعب ما فى هذه الكتب .

الفتاة : الأوفق أن نبدأ باستيعاب هذه النقود .

الغلام : تلك كانت وصيته .

الفتى : شكرا يا غلام ، يمكنك أن تنصرف إذا شئت .

الغلام : والتركة ؟

الفتى : هل ثمة تركة أخرى ؟

الغلام : (**مشيرا إلى الكتب**) إنما أعنى هذه التركة .

الفتى : ستنفذ الوصية بأمانة . (**الفتاة فى سيرها تدوس على بعض الكتب**)

الغلام : ارفعى قدمك .

الفتاة : تفضل بسلام وكف عن إلقاء الأوامر .

الغلام : فلأعيدها إلى الخزانة إذا لم تكن بكما من حاجة إليها .

الفتى : خير ما تفعل أيها الغلام الأمين . (**الغلام يعيد الكتب إلى الخزانة . يحملها باحترام وهو يبكى صامتا . ولما ينتهى يقول بنبرة حزينة**)

الغلام : إنى ذاهب .

الفتى : مصحوبا بالسلامة . (**ثم مستدركا**) انتظر ، أنت غلام طيب ، تحب أن تشتغل عندى ؟

الغلام : أى شغلة يا سيدى ؟

الفتى : أدربك لتعمل جرسونا ماهرا .

الغلام : فى مقهى .

الفتى : خمارة ، وهى أربح للجرسون من عشر مقاه .

الغلام : إنى ذاهب يا سيدى .

الفتاة : مع السلامة . (**الغلام يذهب**) ألا ترى أن نفتشه قبل أن يرحل ؟

الفتى : لو كان لصا لما أخبرنا عن التركة .

الفتاة : علينا أن نجد حقيبة لنضع فيها النقود .

الفتى : سنجد حقيبة أو بقجة فى هذا البيت العتيق .

الفتاة : وعليك أن تفكر فى استغلاله .

الفتى : الأفضل بيعه ، إنه قديم حقا ولكنه يدر ذهبا لو بيع أرضا .

الفتاة : واشتر بالثمن عمارة ، ولنبع الخمارة أيضا لنعيش أحرارا كأبناء الذوات .

الفتى : أفكار طائشة ، سوف أنشىء ملهى ليليا يضاهى الأوبرج ..

(يظهر رجل عند الباب الأيمن . يلبس جلبابا ومعطفا وهو ذو قامة ضخمة ، وطابع رسمى كالمخبرين . يتقدم خطوات حتى يصير على مبعدة قصيرة من الفتى والفتاة اللذين يطالعانه بدهشة . يجيل فى المكان نظرة فاحصة ، ويرى النقود المكدسة ثم يعود لينظر إلى الفتى والفتاة)

الفتى : من حضرتك ؟

الرجل : هل أنت ابن ولى الله ؟

الفتى : نعم ولكن من حضرتك ؟

الرجل : مخبر من قوات الشرطة .

الفتى : أكنت على موعد مع الشيخ ؟

الرجل : الشيخ يرقد الآن إلى جوار ربه .

الفتى : كيف عرفت ذلك ؟

الرجل : أسلم الروح فى الخلاء ، فيما وراء مسكنى ، فى الموضع الذى كان يتعبد فيه .

الفتى : وأين جثمانه ؟

الرجل : فى المثوى الذى سنمضى إليه جميعا ، لم يعد فى حاجة إلى عنايتك ، ويبدو أنك مشغول عنه بما هو أهم عندك .

الفتى : وماذا تريد حضرتك ؟

الرجل : جئت لأذهب بك إلى القسم .

الفتى : لماذا ؟

الرجل : أنت متهم بقتل أبيك .

الفتى : دعابة ولكنها ثقيلة .

الفتاة : إنه لم يره منذ عمر مديد .

الرجل : أنت متهم بقتل أبيك .

الفتى : كف عن ترديد هذا السخف .

الرجل : شهدته وهو يحتضر ، وأنا أعرفه منذ قديم ، صرح لى قبل صعود روحه بأنك قتلته !

الفتى : محض افتراء وهذيان .

الرجل : الميت لا يكذب ، وهو ولى من أولياء الله .

الفتى : لعلك لم تسمعه بوضوح أو لم تفهم ما يريد قوله .

الرجل : قال « إنى أموت مطعونا بيد ابنى الوحيد » .

الفتاة : كان يعرب عن حزنه لفراق ابنه الطويل له .

الفتى : هل وجدت فى جسده طعنة واحدة ؟

الرجل : لنترك ذلك إلى التحقيق .

الفتى : أى تحقيق يا رجل ؟ إنى لم أره منذ عشرات السنين .

الرجل : وكيف سولت لك نفسك أن تنهب أمواله قبل أن تراه ؟

الفتى : المال ميراثى الشرعى .

الرجل : هل علمت بوفاته ؟

الفتى : كلا .

الرجل : فكيف تمد يدك إلى ماله وهى حى فى ظنك ؟

الفتى : وهبه لى قبل مغادرته البيت كما أخبرنى غلامه .

الرجل : أين غلامه ؟

الفتاة : ذهب .

الرجل : استدعه ليدلى بأقواله .

الفتى : لا أدرى أين ذهب .

الرجل : هلم معى إلى القسم .

الفتى : لا جريمة هناك ألبتة .

الرجل : قتلت أباك وسرقت الدولة .

الفتى : الدولة ؟

الرجل : ألا تعلم أنه لا يجوز التصرف فى هذا المال حتى تأخذ الدولة حصتها منه ؟

الفتى : لم يكن فى نيتى أن أتصرف فى مليم قبل أن تأخذ الدولة حصتها كاملة والله على ما أقول شهيد !

الرجل : براعتك فى التنكيت تفوق براعتك فى القتل والنهب .

الفتى : أؤكد لك أن التحقق سيسفر عن براءتى .

الرجل : ولكن سيسبق ذلك القبض عليك والتحفظ على المال .

الفتاة : أهكذا تعامل شخصا يوم وفاة أبيه ؟

الفتى : الشيخ الطيب الذى طالما ثبت القلوب بالطمأنينة !

الرجل : إنك رجل شرير .

الفتى : أنت متحامل وسيىء الظن .

الرجل : كلفت بمهام كثيرة فى مواطن الشبهات فعرفت الكثيرين من أمثالك .

الفتى : أنا تاجر شريف .

الرجل : هلم معى ولا تدفعنى إلى الضحك فى بيت ميت .

الفتاة : كن لطيفا ودعه فى حاله .

الرجل : إنك تدافعين عنه كأنك بعيدة عن التهمة !

الفتاة : أنا ؟!

الرجل : أنت شريكته فى الجريمتين .

الفتى : أنا برىء (**يتناول رزمة من النقود ويضعها فى يد الرجل**) وهذا المال مالى .

الرجل : أترشونى يا رجل مرتكبا بذلك جريمة ثالثة ؟

الفتى : معاذ الله ، ولكننى أؤدى حق الدولة على .

الرجل : حق الدولة يمثل ربع التركة . (**الفتى يعطيه رزمة أخرى**)

الفتى : إليك رزمة أخرى دون تعرض لمناقشة المقدار المستحق .

الرجل : والقضية وتكاليفها ؟.. والتحفظ على المال وتعرضه للضياع ؟

الفتى : أعتقد أننى أعطيت ما فيه الكفاية .

الرجل : أتعاب المحاماة ؟.. الرسوم ؟.. سجنك ؟.. تعرض عملك الذى ترتزق منه للخسران ؟ (**الفتى يعطيه رزمة ثالثة**)

الفتى : تذكر أننى أعطيتك ثروة .

الرجل : لعل هذا يكفى بالنسبة لك .. (**صمت وتبادل نظرات حائرة**)

الرجل : ولكن هذه السيدة لم تدفع مليما بعد ؟

الفتاة : إنى زوجته .

الرجل : قلت إننى عملت طويلا فى مواطن السوء فلا تحاولى الضحك على ذقنى .

الفتى : لقد أعطيت فدية لكلينا .

الرجل : بل فدية لك وحدك !

الفتى : ماذا تريد ؟

الرجل : الأتعاب الخاصة بالسيدة . (**يعطيه رزمة رابعة**)

الفتى : هاك رزمة رابعة .

الرجل : كن كريما كسائر القتلة واللصوص .

الفتى : أتريد أن تستولى على نصف التركة ؟

الرجل : الأمر يتوقف على مدى تقديرك لحريتك . (**يقطب الفتى فى قهر ثم يسلمه رزمة جديدة**)

الفتى : تفضل مصحوبا بالسلامة . (**الرجل يدير ظهره ليذهب . الفتى يسل من ملابسه مطواة فيفتح نصلها ويهجم على الرجل . الرجل حذر وكان يتوقع حركة غادرة فيتفادى من الطعنة ويقبض على معصمه فيلويه ثم يلكمه فيسقط على الأرض . يجىء بكرسى فيجلسه عليه ويخرج من ملابسه حبلا ويكبله بمهارة قبل أن يفيق من اللكمة ، وهو يهدد الفتاة بأنها إذا ندت عنها حركة أو صوت فسوف يساقان إلى القسم . ثم يجىء بكرسى آخر ويأمر الفتاة بالجلوس مهددا ويكبلها بحبل آخر . يتجه نحو النقود على الخوان فيستولى عليها ثم يلفها فى الحصيرة . يلقى عليهما نظرة ثم يذهب**) . (**الفتى يفيق من أثر اللكمة . ينظر فيما حوله . يتذكر ما وقع . يحاول تخليص نفسه ولكن عبثا**)

الفتى : ذهب ؟

الفتاة : بعد أن استولى على النقود كلها ..

الفتى : (**غاضبا**) لِم لَم تصوتى ؟.. كان يجب أن تصوتى بأعلى صوتك .

الفتاة : خفت أن يرجع فيضربنا أو يقتلنا . (**يحاول تخليص نفسه مرة ثانية دون فائدة**)

الفتى : سأقتله ولو اختفى فى بلاد الواق .

الفتاة : تهورك هو المسئول عما حل بنا ، لم حاولت الهجوم عليه ؟



الفتى : ليس من مبادئ أن أسمح لإنسان باستغفالى .

الفتاة : ها هو قد ذهب بالثروة كلها .

الفتى : سيكون التنكيل به هو هدفى الأول فى الحياة .

الفتاة : وقد تحقق هدفك ولكن الحلم السعيد تبدد .

الفتى : سأقبض على عنقه عاجلا أو آجلا .

الفتاة : ولا شاهد أو دليل لدينا عما حصل .

الفتى : المهم الآن أن نتحرر من قيدنا .

الفتاة : نحن مقيدان فى بيت مغلق النوافذ والأبواب .

الفتى : ويعز على أن أتصور أن الثروة حقا ضاعت .

الفتاة : هى الحقيقة الأليمة ، وربما تقتله ولكنك لن تسترد مليما من ثروتك .

الفتى : لم يعبث بى أحد من قبل .

الفتاة : ها قد عبث بك كأنك لا شىء .

الفتى : أين المفر ؟.. إنه يعمل فى دائرة هذا القسم .

الفتاة : إذا كان حقا مخبرا .

الفتى : و لم لا يكون مخبرا ؟

الفتاة : كان يجب أن تطالبه بإبراز بطاقته الشخصية .

الفتى : أعترف بأننى لم أحسن التفكير ولا التدبير .

الفتاة : أنت مغرور ، تتوهم أنك إلٰه ثم تقع كالرطل .

الفتى : كيف أصدق ما حصل ؟

الفتاة : قلبى يحدثنى بأنه ليس مخبرا .

الفتى : هو مجرم محترف على أى حال .

الفتاة : ويخيل إلى .. ربما لم يكن إنسانا أيضا !

الفتى : ماذا تعنين ؟

الفتاة : أعنى أننا فى بيت ولى : وهو وكر للأرواح والشياطين .

الفتى : أنت حمقاء ، لا يسرق النقود إلا إنسان عاقل .

الفتاة : تذكر كيف اقتحم علينا المكان وكيف ذهب .

الفتى : جاء كما يجىء المجرم وذهب بما يذهب به المجرمون .

الفتاة : أنت لا تحسن الرؤيا عند الانفعال .

الفتى : أنت حمقاء ، هذه حقيقة مفروغ منها .

الفتاة : لنفكر فى حالنا ، نحن مقيدان بطريقة جهنمية ، البيت محاط بفناء واسع يعزله عن الحارة فلن يسمع صوتنا أحد ، الجو هنا لا أرتاح إليه . فثمة روح ميت لعله لم يدفن بعد ، وثمة أرواح كثيرة لا علم لنا بها ولا سيطرة لنا عليها .

الفتى : يا مجنونة ، يا مخرفة ، ما هذا الهذيان ؟

الفتاة : أنا خائفة .

الفتى : عهدتك دائما عربيدة ساخرة فكيف خانتك جرأتك الداعرة ؟

الفتاة : إنه بيت مهجور ألا تدرك ذلك ؟، جثة أبيك الآن فى المشرحة وستدفن كجثة رجل مجهول ، ولم ينبس المخبر — إذا كان حقا مخبرا — بكلمة ، وسيظل البيت مغلقا مهجورا زمنا غير قصير ولكنه يكفى لقتلنا جوعا وعطشا ، وهناك الأرواح .

الفتى : الأرواح !

الفتاة : أنا خائفة ..

الفتى : كيف قيدنا بهذا الإحكام ؟.. لقد جاء مبيتا النية على فعل ما فعل .

الفتاة : وقد يرجع للإجهاز علينا .

الفتى : فليرجع . (**صمت تتخلله محاولة منه يائسة لفك قيده ولكن دون جدوى**)

الفتاة : كأننا فى حلم .

الفتى : ولكنه أسخف من الحقيقة .

الفتاة : أحيانا يكاد يغلبنى الضحك .

الفتى : أضحكى إن استطعت .

الفتاة : حتى حياتنا المألوفة بين المغامرين والمنافسين والأعداء أخف وطأة من هذا السجن فى بيت أبيك .

الفتى : ليرحمه الله .

الفتاة : ادعه أن ينقذنا .

الفتى : (**ساخرا**) أبانا الذى فى المشرحة .. أنقذ أبنك الوحيد .

الفتاة : ماذا كان رأيك فى أبيك ؟

الفتى : كان دجالا كوحيده .

الفتاة : حدثونا فى كل موضع عن كراماته .

الفتى : حارة مخبولة مسطولة .

الفتاة : لكن الطمأنينة التى بثها فى القلوب حقيقية .

الفتى : ردى إلى ثروتى وأنا أغرقك فى بحر من الطمأنينة .

الفتاة : لم نكن فقراء ، ولكننا لم نعرف الطمأنينة .

الفتى : وما سبيل الطمأنينة إلى خمارة هى ملتقى للمغامرين ، واقعة بين عشرات من الخمارات المنافسة ، فى حى مكتظ بالأعداء ، ووراء ذلك كله إحساس ثابت بالمطاردة ؟!.. كنا سنرتفع بالثروة فوق ذلك كله . (**دقيقة صمت**)

الفتاة : سيجىء الظلام ونحن مكبلون بالحبال فى هذا البيت المسكون .

الفتى : لا فرق بين النور والظلام .

الفتاة : كيف نخرج من هذا المأزق ؟

الفتى : اصرخى .. صوتك أحد من الرصاصة .

الفتاة : لن يسمعنا أحد .

الفتى : علينا أن ننتظر حتى يجيء إنقاذ من حيث لا ننتظرأو يجيء الموت .

(صمت تتخلله محاولات فاشلة لفك القيود)

الفتاة : لم دعاك أبوك ؟

الفتى : مات سره معه .

الفتاة : ماذا ظننت ؟

الفتى : قلت لعله حنين قلب عجوز .

الفتاة : لم تقل كل الحق .

الفتى : وحلمت بثروة !

الفتاة : وقد وهبك ثروة .

الفتى : وضاعت .

الفتاة : ولكنه أراد أن ترث عمله .

الفتى : فكرة سخيفة .

الفتاة : كان يجب أن تجاريه ولو فى الظاهر .

الفتى : لم يكن ليغير من الأمر شيئا .

الفتاة : ربما لم يكن حدث الذى حدث .

الفتى : أراهن على أنك فقدت عقلك .

الفتاة : هل حاول أن يلقنك سره وأنت صغير ؟

الفتى : نعم .

الفتاة : ولكنك عصيته ؟

الفتى : لو أطعته ما صادفتنى فى طريقك أبدا .

الفتاة : **(تضحك .. ولا تنبس)** .

الفتى : حاول معى كثيرا ، لم أفهم كلمة من كلماته ، واتخذت من سلوكى

المشين سبيلا لتحديه حتى طردنى ..

الفتاة : واحترفت المغامرة بدلا من الطمأنينة

الفتى : ورثت عنه الدجل لأستثمره فى مجاله الطبيعى .

الفتاة : لم أسمع أحدا يثنى عليك مثله .

الفتى : إنى أعاشر مغامرين وكان يعاشر مغفلين .

الفتاة : رأسى يدور .

الفتى : الحياة الحقة نقيض الراحة ، والرجوع إلى الخرافة تفكير مضحك ، لعله ينقصنا شىء ولكن لا بد من مواصلة حياتنا ، ماذا تريدين ؟

الفتاة : أن أخرج من هنا سالمة .

الفتى : ستخرج عاجلا أو آجلا .

الفتاة : عما قليل سيجىء الظلام .

الفتى : فليجىء الظلام .

الفتاة : أنت المسئول عما وقع .

الفتى : أنت جبانة .

الفتاة : وأنت وغد .

الفتى : فلنتسل بتبادل الشتائم حتى تنكشف عنا هذه الغمة .

الفتاة : أو حتى يحل بنا الموت .

الفتى : أو حتى يحل بنا الموت . (**الفتاة تبكى من القهر . وهو يضحك ضحكة عصبية**)

الفتاة : إنه يؤدبك .

الفتى : من ؟

الفتاة : أبوك

الفتى : لم يستطع أن يؤدبنى وهو حى ، وهو أعجز عن ذلك وهو ميت .

الفتاة : بين حدث وحدث توجد أسباب خفية .

الفتى : بين حدث وحدث لا يوجد شىء .

الفتاة : وها قد وقعنا فى الفخ .

الفتى : فخ لم ينصبه أحد ولكنا وقعنا بسوء تصرفنا . **(النور ينخفض منذرا باقتراب المساء . لحظات من الصمت ومحاولات فاشلة لفك القيد)**

الفتاة : بدأ الليل يهبط ..

الفتى : ليس فى وسع شىء أن يمنعه .

الفتاة : كان فى وسعنا على الأقل ..

الفتى : (**مقاطعا فى تهكم**) كان يا ما كان .

الفتاة : أكره الظلام ، أكره الأغلال ، وسوف أجن .

الفتى : جربى الجنون فهو أكرم من الشعوذة على أى حال .

الفتاة : يا لك من وغد قاس كأنك لم تنعم عمرا بحبى .

الفتى : عودى إلى توازنك لنتفاهم كما تفاهمنا دائما .

الفتاة : حتى حبك ما هو إلا حب مغامر ، نوبة من نوبات الأعصاب بلا قاعدة ثابتة .

الفتى : لم يكن ثمة فردوس فى الماضى ، ولن يكون ثمة فردوس فى المستقبل ، علينا أن نتقبل الحياة كما هى .

الفتاة : الظلام يتمادى فى الاقتراب .

الفتى : فليأت الظلام .

الفتاة : إنك تدارى خوفك باللعب بالألفاظ .

الفتى : اللعنة .. فى هذا الوقت من اليوم يبدأ النشاط فى الخمارة .

الفتاة : يا لها من نهاية رخيصة ! **(يستمر انخفاض النور حتى يحتوى الظلام**

الحجرة ويختفي الفتى والفتاة . الفتاة تصرخ مستغيثة ثم يسود الصمت) .

الفتاة : ألا تحفظ تلاوة ندفع بها الشياطين بعيدا ؟

الفتى : لا أحفظ شيئا .

الفتاة : إنى خائفة .

الفتى : لا يوجد هنا سبب حقيقى يبرر الخوف .

الفتاة : ولكنى خائفة .

الفتى : أنا قريب منك .

الفتاة : ولكنى لا أراك .

الفتى : فلنغن أغنية بذيئة لنهزأ بالظلام . (**الفتاة تصرخ . صمت يتخلله بكاء خافت . ضوء يتسرب إلى الحجرة آتيا من شراعة الباب إلى اليسار**)

الفتاة : ألا ترى ؟.. نور فى الداخل ، يوجد شخص ، البيت مسكون !

الفتى : (**بصوت مرتفع**) من بالداخل ؟

الفتاة : مفاصلى سابت .

الفتى : من بالداخل ؟ (**يفتح الباب . يظهر الغلام وبيده مصباح . يتقدم ثم يتوقف عندما يرى الفتى والفتاة**) أنت !.. أكنت بالداخل طيلة الوقت ؟

الغلام : ظننت أنكما ذهبتما .

الفتاة : ألا ترانا مكبلين بالحبال ؟

الغلام : و لم فعلتما ذلك بنفسكما ؟

الفتاة : هل تسخر منا يا غلام !

الفتى : أكنت موجودا بالداخل ؟.. أعني ألم تغادر البيت ؟

الغلام : رجعت مع المساء لأشعل المصابيح .

الفتى : لماذا ؟

الغلام : إكراما لروح الشيخ يوم وفاته .

الفتى : ضع المصباح وتقدم لحل عقدتنا . (**الغلام يمضى إلى الكونصول فيضع المصباح ويتجه راجعا نحو الباب**) . يا غلام . (**الغلام يتوقف**) تعال .

الغلام : ماذا تريد يا سيدى ؟

الفتى : كيف لا تدرى ماذا نريد ؟

الغلام : أمرنى الشيخ قبل ذهابه بألا أقدم لك أية مساعدة إذا أهملت تركته .

الفتى : ولكنه غير معقول أن تتركنا على هذه الحال .

الغلام : لا أستطيع أن أخالف لمولاى أمرا .

الفتاة : لا يمكن أن تعنى ما تقول ، إنك غلام طيب ونبيل ..

الفتى : وانا ابن مولاك يا شاطر ولا يرضيك أن تتركنا فى هذا المأزق .

الغلام : لن أعصى لمولاى أمرا .

الفتى : مولاك لم يتصور أننا سنقع فى هذه الورطة .

الغلام : سامحك الله .

الفتاة : لص أثيم نهب ثروة مولاك وكبلنا بالحبال .

الغلام : علىّ أن أذهب .

الفتى : لا تغضب مولاك فى قبره .

الغلام : مولاى ارتفع إلى السماء .

الفتى : لا تغضب مولاك فى سمائه .

الغلام : ما دمت لا أعصيه فلن يغضب .

الفتى : أتعتقد أنه يرضيه أن نترك هكذا بدون مساعدة ؟

الغلام : لا أدرى .

الفتى : أؤكد لك أن ذلك سيحزنه غاية الحزن .

الغلام : لا أدرى .

الفتى : أقدم ولا تخف .

الغلام : لن أعصى لمولاى أمرا .

الفتاة : من أجل خاطرى ، لا يمكن أن تمتنع عن مساعدة امرأة .

الغلام : إنى ذاهب .

الفتى : انتظر ،.. ألا ترى ، إنى أريد تركة أبى الحقيقية .

الغلام : أنت تعلم بمكانها .

الفتى : ولكننى لا أستطيع الانتقال إليها .

الغلام : سبق أن نبذتها .

الفتى : أنا نادم على ذلك !

الغلام : لن أعصى لمولاى أمرا . (**الغلام يستأنف السير**)

الفتاة : على الأقل بلغ الأمر إلى الشرطة . (**الغلام يواصل السير دون مبالاة**) .

الفتى : هل ستبلغ الشرطة ؟

الغلام : كلا . (**الغلام يختفي ثم يغلق الباب**)

الفتى : ملعون ابن ملعون .. (**الفتاة تعاود البكاء**)

الفتى : كفى .. كفى وإلا ..

الفتاة : قضى علينا بالهلاك .

الفتى : لقد رجع الغلام ، وربما رجع مرة أخرى ، ولعل غيره يجيء . (**صمت قصير ثم يواصل حديثه**) يخيل إلى أن العجوز استدرجنى إلى بيته لينكل بى . الطيبة كانت حرفته لا طبيعته ، وآى ذلك أننى

منحدر من صلبه ، غير معقول أن تكون أمى مسئولة وحدها عن دمى العربيد ، ولبيت نداءه وأنا فى غفلة من مكره فتتابعت الأخطاء ..

الفتاة : كفاك قذفا فالبيت مسكون !

الفتى : مسكون بأرواح أسرتنا العريقة فى الشر .

الفتاة : ليس الغلام غلاما ولا المخبر مخبرا .. وسوف تقع كوارث ليست فى الحسبان .

الفتى : فلتقع الكوارث بغير حساب . (**صمت .. ثم تنزل الستار**)

* * *

ترفع الستار . ضوء النهار يملأ الغرفة رغم أن المصباح ما زال مشتعلا . الفتى والفتاة نائمان ورأساهما مطروحان على مسندى الكرسيين . يسمع صوت الباب الخارجى وهو يفتح ثم وهو يغلق . يدخل رجل ضخم أنيق الملبس ولكننا نعرف فيه المخبر فى ملبس جديد وهيئة جديدة يتبعه سكرتير وضابط من الشرطة . الفتى والفتاة يستيقظان . يبدو عليهما الإرهاق . ينظران إلى القادمين بذهول فلا يعرفان حقيقة الشخص الفخم .

الضابط : من أنتما ؟.. ومن فعل بكما ذلك ؟

الفتى : من حضرتك ؟

الضابط : ضابط النقطة .

الفتاة : أنقذنا من فضلك . (**الضابط يحل وثاقهما . يقفان وهما يتأوهان . يحركان أعضاءهما ليستعيدا توازنهما**)

الضابط : من أنتما ؟

الفتى : أنا ابن صاحب البيت أعنى ولى الله المتوفى .

الفتاة : وأنا الزوجة .

الضابط : ماذا حددث لكما ؟

الفتى : هاجمنا مجرم غدرا ثم سرقنا وذهب .

الضابط : سأفتح لكما محضر تحقيق بعد قليل .

الفتى : هل أبلغك الغلام عنا ؟

الضابط : أى غلام ؟

الفتى : غلام الشيخ المتوفى .

الضابط : كلا ، لقد جئت فى صحبة المهندس لمعاينة البيت الذى يرغب فى شرائه ظنا منا بأنه بيت خال ولا وريث له ! (**الفتى والفتاة ينتبهان لأول مرة للمهندس فتلوح فى وجهيهما الدهشة والانزعاج . يتبادلان النظرات ثم يحدقان فى المهندس بذهول**)

الضابط : مالك ؟

المهندس : لماذا تنظران إلىّ هكذا ؟

الفتى : أنت !

الفتاة : هو .. جسمه وصوته ووجهه .

المهندس : ماذا تعنيان ؟

الفتى : أنت دون غيرك ، أيها المجرم ! (**ينقض عليه ولكن الضابط والسكرتير يحولان بينهما . المهندس يتراجع دهشا مستنكرا**)

الضابط : أى مجرم تعنى ؟.. المهندس أكبر مقاول فى الجمهورية .

الفتى : هو المخبر .. هو اللص .. هو الذى سرقنا .. (**المهندس والسكرتير والضابط يضحكون**)

الضابط : اضبط لسانك .

السكرتير : يا لها من نكتة !

الفتاة : هو المخبر .

الفتى : هو المجرم .

الضابط : كفى هذيانا !

المهندس : ترفق بهما يا حضرة الضابط ، تذكر كيف قضيا ليلتهما فى هذا البيت .

الفتى : لا تحاولى خداعى .

الضابط : إنك تهين رجلا ولا كل الرجال ، رجل أدى لوطنه أجل الخدمات فى ميدان الهندسة . (**الفتى والفتاة يتبادلان النظرات الحائرة**)

الفتى : خبرنى يا حضرة الضابط هل عندك مخبر يشبهه ؟

الضابط : كلا على وجه اليقين .

المهندس : تمالك نفسك من فضلك ؛ لقد عانيت ليلة غاية فى السوء ، وغير بعيد أن المجرم الذى اعتدى عليكما يماثلنى فى بعض الصفات والخصائص ، وأنت نفسك تماثل المرحوم أباك فى بعض ملامحه رغم تناقض منهجكما فى الحياة فيما يبدو لى ، وسوف يقبض الضابط على المجرم ويرد إليك مالك ، هل فقدت مالا كثيرا ؟

الفتى : أنت أدرى بمقداره .

الضابط : رجع إلى الهلوسة مرة أخرى !

الفتى : أؤكد لك أن هذا الرجل هو المجرم الذى اعتدى علينا .

الضابط : كف عن هذيانك ، من صالحك أن تكف عنه .

السكرتير : ثمة أحقاد غريبة تستقر فى نفوس الشباب ، فإذا تعرض أحدهم لهزة نفسية استمد من حقده الدفين آراء هدامة وراح يرمى بها كبار ذوى النشاط الناجح من الرجال الممتازين فى المجتمع .

الضابط : هل أنت من هؤلاء الشبان ؟

الفتى : إنى ضحية وقد حللت بنفسك وثاقى .

الضابط : ولكنك لم تسترد عقلك بعد .

المهندس : يجب أن تسترد عقلك سريعا لأتمكن من إنجاز مهمتى .

(صمت قصير)

الفتاة : وما مهمتك ؟

المهندس : إنى أرغب فى شراء هذا البيت القديم لأقيم مكانه مصنعا للأجهزة الألكترونية .

الفتاة : ألم تحاول الاتفاق مع صاحبه قبل وفاته ؟

المهندس : حاولت وعرضت عليه بيتا جديدا فى مطلع الحى ولكن كان لكل منا لغة يستعصى على الآخر فهمها !

الفتى : إذن فأنت تعرف البيت وكنت تعرف صاحبه ؟

المهندس : وكان أبى رحمه الله من مريديه أيضا !

الفتى : أنت إذن .. **(الفتاة تجذبه من ذراعه مانعة إياه من تكملة كلامه ، وتنتحى به جانبا)**

الفتاة : تمالك نفسك .

الفتى : لكنه هو عينه .

الفتاة : لندع ذلك للتحقيق ، المهم الآن بيع البيت .

الفتى : سيشترى بمالى .

الفتاة : لا يجوز أن تخرج من المولد بلا حمص .

الفتى : الجن الأحمر نفسه لا يستطيع خداعى !

الفتاة : انس شطارتك الآن وأجل مشروعاتك . (يعودان إلى الجماعة)
اغفر له تهوره يا سيدى المهندس إكراما لذكرى أبيه الطيب !

المهندس : ليرحمه الله رحمة واسعة .

الفتى : أكنت تؤمن به ؟

المهندس : كنت أحبه .

الفتى : هل شهدت احتضاره ؟

المهندس : لكننى مشيت فى جنازته ، أين كنت أنت ؟

الفتى : كنت موثقا بحبال المجرم الأثيم .

لمهندس : حضرة الضابط كفيل باسترداد ثروتك الضائعة ، وما عليك الآن إلا أن تتقبل وضعك بالطمأنينة التى بشر بها أبوك .

الفتى : ولكنك لم تؤمن به ؟

المهندس : (**ضاحكا**) كان يقول لى « الطمأنينة هى هدف النفس البشرية » فأقول له « بل التقدم يا مولانا ولو بالجهد والقلق » .

الفتى : ولو بالاعتداء والنهب !

الفتاة : لنعد إلى مشروع المصنع .

المهندس : ثبت الآن أن للبيت وريثا ، وعليه فلا بد من انتظار الإجراءات الخاصة بإثبات الوراثة :

الفتاة : إنه بيت كبير وذو موضع ممتاز على مشارف الصحراء ، ولا تنس أثاثه القديم النادر !

المهندس : لا حاجة بى إلى الأثاث .

الفتاة : والكتب التى صنعت المعجزات !

المهندس : لدى ما أحتاج من كتب ومعجزات !

الفتاة : أظن آن لنا أن نتكلم عن الثمن .

المهندس : لن أبخسكم حقكم ، وسنتكلم عن ذلك فى حينه . (**المهندس يستأذن فى الانصراف . وقبل أن يذهب يلتفت إلى الفتى ويسأله**)

المهندس : وأنت .. ما مهنتك ؟

الفتى : صاحب خمارة .

المهندس : (**ضاحكا**) لست مقطوع الصلة بأبيك ، فالناس يقصدون الخمارة طلبا للطمأنينة أيضا . (**المهندس وسكرتيره يذهبان**)

(**يقترب الضابط من الفتى والفتاة قائلا**)

الضابط : آن لنا أن نبدأ التحقيق .

ستار

النجاة



(حجرة جلوس . فى الوسط مدفأة حائط مشتعلة . إلى اليمين من المدفأة باب حجرة النوم وإلى اليسار منها باب حجرة المكتب . فى نهاية الجانب الأيمن لحجرة الجلوس باب هو باب الشقة . إلى اليسار يوجد بار وتليفزيون . رجل يجلس على مقعد كبير أمام المدفأة ، يرتدى روبا . ويطالع فى كتاب) .

(جرس الباب الخارجى يرن بغتة رنينا متواصلا) .

(يقوم الرجل إلى الباب ، يفتحه ، تندفع إلى الداخل امرأة جميلة مرتدية معطفا وبيدها حقيبة . تندفع وكأنها تجرى ثم تقف وهى تلهث . الرجل ينظر إليها بدهشة ودون أن يغلق الباب . واضح من نظراته أنه لا يعرفها ولم يكن ينتظرها) .

الرجل : (بتردد وارتباك) ولا مؤاخذة .. حضرتك ؟

المرأة : (بلهفة) أغلق الباب ، من فضلك أغلق الباب .

(الرجل يغلق الباب بذهول)

الرجل : وحدك ؟

المرأة : نعم . (يقفان وهما يتبادلان النظرات) إنى مرهقة ، تسمح لى بالجلوس ؟

الرجل : تفضلى . (يجلسان على مقعدين متقاربين أمام المدفأة . تسند المرأة رأسها إلى يدها فى إعياء . يعلو صدرها وينخفض بشكل محسوس . الرجل يتفحصها بدهشة ، ويبدو — رغم غرابة الموقف — أن محاسنها أثرت فيه بعض الشىء) أنا وحدى ، ذهبت الخادمة عقب إعداد العشاء . ولكنى سأجيئك بكوب ماء . (يقوم إلى البار فيملأ



كوبا من دورق ثم يقدمه إليها . المرأة تشرب نصفه ثم تضعه على خوان بين المقعدين)

المرأة : آسفة جدا لإزعاجك .

الرجل : أنا فى خدمتك ..

المرأة : شكرا .

الرجل : يلزمك شىء ؟

المرأة : أكرر الأسف ، الواقع أننى لا أدرى ماذا أقول .

(صمت)

المرأة : سلوكى يتطلب تفسيرا ولكنى لا أدرى ماذا أقول .

الرجل : استردى أنفاسك أولا .

المرأة : ماذا أقول ؟، مهما يكن فإنى أتوسل إليك أن تكرمنى .

الرجل : وهل فى ذلك شك ؟

المرأة : أعنى أن تعاملنى معاملة تليق بامرأة فى أشد حاجة إلى ..

الرجل : إلى ؟

المرأة : الحماية !

الرجل : ماذا يهددك ؟..

(صمت)

الرجل : (**مستدركا**) لكنى لم أتشرف بعد ؟

المرأة : لا يهم هذا على الإطلاق .

الرجل : ولكنه ضرورى فيما أعتقد .

المرأة : كلا ، لن يقدم ولن يؤخر !

الرجل : لن أضايقك ، ولكن ثمة سؤال آخر ، هل قصدتنى بالذات ؟.. هل تعرفيننى ؟

المرأة : بابك أول باب فتح لى ، هذا كل ما هنالك ..

الرجل : هل طرقت أكثر من باب ؟

المرأة : نعم .

الرجل : ماذا يهددك ؟

المرأة : أكرمنى بألا تخبر أى طارق عنى !

الرجل : (**بقلق**) هل يتوقع مجىء من يتعقبك ؟

المرأة : نعم .

الرجل : رجل أم امرأة ؟

المرأة : رجل !

الرجل : (**بعد تردد**) زوجك ؟

المرأة : كلا .

الرجل : صديق ؟.. قريب ؟

المرأة : ألا تتكرم بحمايتى دون تحقيق ؟

الرجل : ولكن ..

المرأة : (**مقاطعة**) لعلك تعمل حساب أهل بيتك ؟

الرجل : لا يوجد فى البيت سواى .

المرأة : ولكن عما قليل سترجع زوجتك ؟

الرجل : لست متزوجا .

المرأة : تنتظر ولا شك أحدا ممن يقيم معك ؟

الرجل : إنى أقيم هنا بمفردى .

المرأة : عظيم ، ستكون المهمة سهلة لو تكرمت بالموافقة .

الرجل : ولكن يلزمنى بصيص نور .

المرأة : لن يمسك سوء !

الرجل : ولكنى أود أن أعرف المسئولية التى سأتحملها !

المرأة : لن تمضى ساعات حتى أغادر مسكنك إلى الأبد كأنى شىء لم يكن .

الرجل : (**مداريا ارتباكه بابتسامة**) ستظلين شيئا لا يمكن نسيانه .

المرأة : غزل أم تحقيق ؟

الرجل : كنت أفضل أن يكون غزلا خالصا .

(**صمت**)

الرجل : إذا شرفتنى وقتا ثم ذهبت دون أن يعلم أحد فلا حرج ، ولكن إذا جاء أحدهم يتعقبك فيلزمنى بصيص نور قبل أن أنكر وجودك .

المرأة : لن تقع عليك مسئولية ما .

الرجل : بل قد أجر إلى متاعب لا تخطر ببال !

المرأة : لا تهول .

الرجل : لا تتركينى فى ظلام .

(**صمت**)

الرجل : أرجوك ، لا تضطرينى إلى ..

المرأة : إلى تسليمى لأول طارق !

الرجل : أرجوك أن تفهمى موقفى جيدا .

المرأة : إنى أتعلق بأمل وحيد ، ببقية من الشهامة البطولية القديمة .

الرجل : من المؤسف أن عهد الفروسية والملاحم قد ولى ..

المرأة : فى حالة اليأس يفزع القلب إلى زمن الأساطير !

الرجل : أنا يا سيدتى رجل لا أسطورة ..

(**صمت**)

الرجل : فكرى من فضلك وأجيبى ..

المرأة : لكنى عاجزة تماما .

الرجل : قبل أن تفوت الفرصة ؟

المرأة : كن كريما إلى النهاية .

الرجل : (**غاضبا**) إنى أشم رائحة مقلقة للأعصاب .

المرأة : أى رائحة ؟

الرجل : جريمة ما !

المرأة : لا تدفعنى إلى الانتحار !

الرجل : ماذا فعلت ؟ (**جرس الباب يرن . المرأة تقف فزعة . تهرع إلى باب حجرة النوم . تدخل ثم تغلق الباب من الداخل الرجل يحاول فتح الباب فلا يستطيع . الجرس يرن مرة أخرى**) افتحى .

المرأة : كن كريما .

الرجل : لا تجرينى إلى مأزق .

المرأة : كن رحيما .

الرجل : سأتصرف كما ينبغى لى .

المرأة : إذا اعترفت بوجودى هنا رميت بنفسى من النافذة .

الرجل : أنت مجنونة !

المرأة : أنا عاقلة جدا .

الرجل : إنك تجازينى خير جزاء .

المرأة : إنى آسفة ولكننى مضطرة !

الرجل : انتظرى .. لا تتعجلى .

(**يذهب إلى الباب لاعنا متسخطا . يفتح الباب . يدخل رجل ضاحكا ثم يرد الباب**)

الصديق : كنت نائما ؟

الرجل : أنت عليك اللعنة !

الصديق : يا له من استقبال . (**يتجهان نحو المدفأة**) ماذا حدث فى العمارة ؟

الرجل : لا شىء !

الصديق : وأنا قادم إلى زيارتك وجدت الشرطة تحاصر العمارة . لم أستطع المرور إلا بعد س و ج .

الرجل : حقا !.. ماذا حدث؟

الصديق : لم أفهم شيئا ، لم يرد على أسئلتى أحد ، ولكن ثمة حادث أو جريمة ، والأمر المؤكد أنهم يبحثون عن امرأة هاربة .

الرجل : أين ؟

الصديق : فى مكان ما بالعمارة ، العمارة محتلة بالقوات ، ألم تشعر بشىء ؟

الرجل : أبدا .

(يجلسان . الصديق يجلس فى مكان المرأة . يتشمم الجو بدهشة)

الصديق : رائحة امرأة !

الرجل : ترى أى جريمة وأى امرأة ؟

الصديق : لا تشغل بالك ، ستعرف كل شىء صباح الغد ، ولكنى أقول إنه توجد رائحة امرأة .

الرجل : رائحة امرأة ؟

الصديق : رائحة زكية ، هل عندك محبوبة ؟

الرجل : كلا .

الصديق : وهذه الرائحة ؟

الرجل : كان ثمة صديقة تزورنى ..

الصديق : مبارك عليك ، ولكن مالك ؟

الرجل : على خير ما يرام .

الصديق : كلا ، لست كعادتك ..

الرجل : لعله البرد .

الصديق : (**مشيرا إلى المدفأة**) إنك تنعم بفردوس فى هذا الشتاء القاسى .

(صمت)

الصديق : أهى ممن أعرفهن ؟

الرجل : من تعنى ؟

الصديق : المرأة التى كانت هنا .

الرجل : كلا .

الصديق : ولم انصرفت مبكرة ؟

الرجل : يكفى تحقيق واحد فى العمارة .

الصديق : ذكرتنى ، ترى ماذا حدث ؟

الرجل : أجل ماذا حدث ؟

الصديق : إنك تعرف عن فيتنام أكثر مما تعرف عن شقة مجاورة فى عمارة حديثة .

الرجل : أى جريمة ؟.. وأين اختفت المرأة ؟

الصديق : لا تشغل بالك ، الجرائم وجبات يومية .

الرجل : والمرأة ؟

الصديق : قاتلة .. شريكة فى جريمة قتل .. سر جريمة ما .

الرجل : وأين يمكن أن تختفى ؟

الصديق : لعلهم عثروا عليها ، إلا إذا كانت أصلا من سكان العمارة .

الرجل : فكرة .

الصديق : أو تكون لجأت إلى شقة ما .

الرجل : لا أحد فى اعتقادى إلا إذا كان له ضلع فى الحكاية . (**الرجل يقوم ، يبتعد إلى جناح الحجرة البعيدة عن حجرة النوم . يشير إلى صاحبه**

أن يتبعه فيلحق به) (**هامسا**) أنا واقع فى مشكلة .

الصديق : أى مشكلة ؟ (**جرس الباب يرن**) هل تنتظر أحدا ؟ (**الرجل يمضى إلى الباب بعد تردد . يفتح**)

صوت من الخارج : تسمح لى بالدخول ؟

الرجل : تفضل .

(**يدخل ضابط . يقدم نفسه**)

الضابط : نحن نبحث عن امرأة هاربة فى العمارة .

(**الرجل يتظاهر بالدهشة ويتساءل**)

الرجل : أية امرأة ؟

الضابط : امرأة هاربة ، ويهم الأمن العام القبض عليها .

الرجل : لم يلجأ إلى شقتى أحد .

الضابط : حضرتك رب الأسرة ؟

الرجل : إنى أقيم بمفردى هنا ، (**ثم مشيرا إلى صديقه**) هذا صديق زائر .

الضابط : تسمح بالبطاقة الشخصية . (**الرجل يذهب إلى حجرة المكتب ثم يعود بالبطاقة . الضابط يقرأها بعناية . ثم يقدم له ورقة مكتوبة ويقول**) هذ إقرار بأن المرأة لم تلجأ إلى شقتك هذا المساء ، وقعه بإمضائك ، وأود أن أذكرك بخطورة الأمر إذا ثبت ما يخالفه .

(**الرجل يوقع الإقرار . الضابط يتناوله . وينصرف . الرجل يغلق الباب . يعود إلى صديقه حيث كان يقف فى وسط الحجرة**)

الصديق : الظاهر أن الجريمة أخطر مما نتصور .

الرجل : ليست إلا إجراءات روتينية .

الصديق : لا تشغل بالك ، كنت تتحدث عن مشكلة .

الرجل : مشكلة ؟!

الصديق : الضابط شتت عقلك .

الرجل : ربما .

الصديق : لنعد إلى مشكلتك .

(صمت)

الصديق : ألا تريد أن تحدثنى عن مشكلتك ؟

الرجل : جد ما هو أهم .

الصديق : لا تشغل بالك بهموم لا تخصك .

الرجل : أليس من الجائز أن تستصدر الشرطة أمرا بالتفتيش العام إذا لم تعثر على المرأة ؟

الصديق : جائز .

الرجل : وقد يفتشون شقتى !

الصديق : إنه احتمال ضعيف على أى حال .

الرجل : ولكنه جائز .

الصديق : عندك فرصة للتخلص من الأشياء المحرجة .

الرجل : كيف ؟

الصديق : النافذة .

الرجل : العمارة محاصرة .

الصديق : النار .

الرجل : ليست جميع الأشياء قابلة للاحتراق .

الصديق : أنت مجنون . طالما حذرتك ، ولكن احتمال التفتيش احتمال ضعيف ، إنها امرأة وليست إبرة وسيعثرون عليها عاجلا ..

الرجل : تستطيع أن تقدم لى خدمة .

الصديق : اسمع ، أنت تعلم أنه لا شأن لى بهذه الأمور الخطرة ، دع صداقتنا فى

المنطقة البريئة .

الرجل : نحن فى زمن الخوف من الشرطة ، أما شهامة الأساطير فقد ولى زمانها !

الصديق : الخوف من شيء حقيقى ، أما الأساطير !

(صمت)

الصديق : أود أن أطمئن عليك .

الرجل : دون أن تقدم خدمة ما .

الصديق : كلانا يعرف الحدود التى يتحرك فيها الآخر .

الرجل : إنى فى حاجة إلى الانفراد بنفسى وكل ما أطلبه منك أن توافينى بأية معلومات جديدة بالتليفون . .

الصديق : بمجرد عودتى إلى مسكنى ..

(يتصافحان . يوصله حتى الباب الخارجى . يغلق الباب ثم يعود مسرعا إلى باب حجرة النوم) .

الرجل : سيدتى .. تعالى .. لا أحد بالشقة سواى . (**تفتح الباب . تخرج . يقفان وجها لوجه**) إنك تلقين بيأسك فوق رأسى .

المرأة : جئت باندفاع لا اختيار فيه ثم وقعت فى فخ .

الرجل : سيعودون للتفتيش .

المرأة : لا تهتم بى فإنى أعرف كيف أتصرف .

الرجل : إنى لا أهتم إلا بنفسى فى الواقع .

المرأة : هذا حقك وإنى آسفة لحد الموت .

الرجل : إنك تخلفين لى مشاكل ومضاعفات .

المرأة : لم تعد بيدى حيلة .

الرجل : لم تبحث الشرطة عنك ؟

(صمت)

الرجل : لم تبحث الشرطة عنك ؟

المرأة : إنهم يبحثون عن كثيرين ..!

الرجل : شركائك ؟!

المرأة : وغيرهم ..

الرجل : (محتدا) ماذا تعنين ؟

المرأة : (باسمة) سمعت ما دار بينك وبين صديقك .

(صمت وهو ينظر إليها غاضبا)

الرجل : تهددينني ؟!

المرأة : ربما كنا فى الهوى سوا .

الرجل : افتراء .

المرأة : آسفة .

الرجل : أنا رجل محترم .

المرأة : وأنا امرأة محترمة .

الرجل : هذا يتوقف على مضمون الاحترام عند كلينا .

المرأة : بمعنى آخر فكلانا غير محترم .

الرجل : هل نمضى الوقت فى جدل وسمر ؟

المرأة : إنى آسفة وحزينة .

الرجل : فاتنى أن أعترف للضابط بالحقيقة .

المرأة : لِم لَم تفعل ؟

الرجل : أعترف بأننى لم أحسن التصرف .

المرأة : بل أحسنت التصرف وإلا لأثرت الشبهة فى وجود علاقة بينك وبين المرأة المنتحرة .

الرجل : كانت الحقيقة ستظهر على أى حال .

المرأة : ربما ، ولكن بعد تفتيش غير مرغوب فيه ، ترى ماذا تحوى شقتك الأنيقة من أسرار خطيرة ؟

الرجل : سخريتك تقطع بأنك معتادة للإجرام .

المرأة : أو غاية من اليأس .

الرجل : ماذا ارتكبت ؟

المرأة : محض فعل مألوف فى التاريخ ولكن الشرطة تصفه بأنه جريمة ، وأنت ؟

الرجل : لا أسمح بالتحقيق معى ، ولكن خبرينى أى جريمة ارتكبت ؟

المرأة : ما أهمية ذلك ؟.. أى تحسن يمكن أن يضيفه إلى موقفنا ؟

الرجل : هل عرفوا شخصك ؟

المرأة : محتمل جدا .

الرجل : ليس مؤكدا ؟

المرأة : لا يوجد فى هذه الليلة شىء مؤكد .

الرجل : جربى أن تغادرى شقتى بوصفك امرأة أخرى .

المرأة : لن يدعونى أمر دون تحقيق ، وغالبا يوجد مخبر فى الطرقة الخارجية ، وسيجرونك للتحقيق ، وسوف تنكشف الحقيقة .

الرجل : أية حقيقة ؟

المرأة : حقيقتى وحقيقتك .

الرجل : (غاضبا) لا تدفعينى للخروج عن حدود اللياقة .

المرأة : معذرة .

الرجل : أنت تؤجلين الخطر ليس إلا .

المرأة : لا حيلة لى .

: لو كنت مكانك ..!

: لو كنت مكانى ..؟

: لسلمت نفسى إلى الشرطة ..

: هذا حل طبيعى ومعقول لمشكلتك ..

: ولمشكلتك أيضا ما داموا سيجيئون فى النهاية حتما .

: ليس حتما !

: (**غاضبا**) ولكنك تراهنين بحياتى !

: أمر مؤسف حقا ولكننى أفضل الانتحار على التسليم ..

: افعلى بنفسك ما تشائين ولكن بعيدا عنى ..

: ليته ممكن !

: أى قدر قذفنى بك .

: هو الذى رمانى إليك .

(**تضحك ضحكة عصبية**)

: تمزحين كما لو كنت فى حفل استقبال .

: إذا انقطع الأمل فعلينا أن نعاشر اليأس معاشرة حسنة .

: ولكن الأمل لم ينقطع بعد .

: حقا ؟

: أستطيع أن أطردك .

: سأحاول الانتحار كآخر وسيلة دفاع فى يدى ...

: تهددينني ؟

: موقف مؤسف مخجل ولكننى لم أخلقه بإرادتى .

: أنت مجرمة بالسليقة .

: (**باسمة**) لعلنا من سليقة واحدة .

الرجل : (**ثائرا**) لتنشق الأرض وتبلعك .

المرأة : أول مرة يعاملنى رجل بهذه المعاملة .

(الرجل ينقض عليها فاقدا أعصابه ليشدها ناحية الباب . هى تقاوم بيأس . يقوم بينهما شد وجذب .

يختل توازنه فيقعان على ديوان ويستمر الصراع بينهما . وبالاستمرار لا تكاد تختلف حركاتهما عن مبادلات العشق . ويتغير مذاق الصراع وحدته . ويخلق جو جديد لم يكن فى الحسبان فتستغله الأعصاب المتوترة اليائسة . وإذا به يضمها بين ذراعيه وينهال عليها تقبيلا .

ينخفض الضوء رويدا حتى يسود الظلام .

ثم يعود رويدا رويدا حتى يبلغ حاله الأولى ..

الآن كلاهما يجلس على مقعد كما كانا أول الأمر .

هى تنظر إلى السقف وهو يرنو إلى نيران المدفأة)

الرجل : ترى ماذا يحدث فى الخارج الآن ؟ (**صمت**) ترى ماذا يحدث فى الخارج ؟

المرأة : كما يحدث فى الداخل .

الرجل : ماذا تعنين ؟؟

المرأة : جرائم ترتكب باهتمام وجنس يمارس بلا اهتمام .

الرجل : وبلا حب ؟

المرأة : لحظات عناق تنتزع من بين الكلمات ولى الأذرع .

(صمت)

الرجل : والعمل ؟

المرأة : هل تحاول طردى مرة أخرى ؟

(صمت)

الرجل : وما جريمتك ؟

المرأة : وما جريمتك ؟

الرجل : من حقى أن أسألك وليس ذلك من حقك .

المرأة : من واجبى ألا أتكلم .

الرجل : لست على أى حال من الشرطة .

المرأة : على سكوتى تتوقف سلامة آخرين .

الرجل : تزييف نقود ؟.. مخدرات ؟.. دعارة ؟.. سياسة ؟

المرأة : جميعها ظاهرات اجتماعية .

(صمت)

الرجل : متزوجة ؟

المرأة : لا أجيب على هذا السؤال بعد ما كان .

الرجل : هل كانت أول مرة تخونينه ؟

المرأة : ألا ترى أننى أفضل الموت على الخيانة ؟

الرجل : إذن سلمت حبا وكرامة ؟

المرأة : حالة هستيرية ليس إلا .

الرجل : نادمة ؟

المرأة : لا وقت للندم .

الرجل : هبينى دعوتك مرة أخرى ؟

المرأة : مرت فترة كافية لبلوغ سن الرشد .

الرجل : هل نفترق كغريبين ؟

المرأة : كما التقينا !

الرجل : لا شيء يجمعنا ؟

المرأة : الجريمة هى ما يجمعنا . (**صمت**) هل أنت أعزب ؟

الرجل : نعم .

المرأة : لِم لَم تتزوج ؟

الرجل : لم أطعن فى السن بعد .

المرأة : ومتى تطعن فى السن ؟

الرجل : لعلى أنتظر أن تجرفنى امرأة إلى الزواج ، ولكن ألا ترين أننا نسمر كأننا نستمتع بسهرة طيبة ؟

المرأة : هو خير من الصمت .

الرجل : الأغلال تقترب من أعناقنا .

المرأة : لا تذكرنى بذنبى حيالك .

الرجل : ثمة فرصة لتجربة الحظ .

المرأة : وهى ؟

الرجل : أن تخاطرى بالذهاب .

المرأة : لو كان الأمر يتعلق بى وحدى لفعلت .

الرجل : تدوسيننى فى طريقك بلا رحمة

المرأة : كما داسنى آخرون .

الرجل : مالى أنا وذلك كله !

(يتملكه غضب مباغت . ينهض قائما بعنف . يقبض على ساعدها ليشدها ولكنها تخلص ساعدها بهدوء)

المرأة : كلا .. لا يتكرر شيء واحد مرتين بطريقة واحدة .

الرجل : أنت .. أنت .. (**جرس التليفون يرن . ينتقل إليه حيث يوجد على حامل قرب البار**) آلو .

: ......

الرجل : تأخرت .. أين كنت ؟

: ......

الرجل : ماذا تقول ؟

: ......

الرجل : غير معقول ، ألم تعرف السبب ؟

: ......

الرجل : شيء عجيب حقا .

: ......

الرجل : بخير كما تركتنى .

: ......

الرجل : لست وحدى .. أقصد أننى منفرد بهمومى !

: ......

الرجل : أبدا أبدا .. وحدى كما تركتنى .

: ......

الرجل : أنت مجنون .. أى أفكار جنونية تساورك ؟

: ......

الرجل : لا موجب لإساءة الظن ، إلى اللقاء .. (**يضع السماعة ثم يعود إلى مقعده . يتبادل مع المرأة نظرات حائرة**) إنه الصديق الذى كان هنا .

المرأة : وماذا قال لك ؟

الرجل : ماذا حصل للدنيا ؟.. الشوارع المحيطة بنا غاصة بالجنود !.. من أنت !؟

المرأة : لست إلا امرأة سيئة الحظ كما ترى ..

الرجل : بيدك حل هذا اللغز .

المرأة : يستوى لدينا أن يضرب الحصار حول العمارة أو حول الحى كله .

الرجل : ولكن لا يجمعهم بهذه القوة إلا شىء خطير .

المرأة : لست هذا الشىء .

الرجل : لعلك الخيط الذى يوصل إليه .

المرأة : جنبنا مناقشة عقيمة .

الرجل : لن أسمح لك بالقضاء على .

المرأة : ضيعت فرصة الاعتراف بالحقيقة وهى غلطتك .

الرجل : لن أضيع بسبب غلطة .

المرأة : لماذا تعود إلى الغضب و لم يجد جديد على الموقف ؟

الرجل : الهلاك بات أقرب مما نتصور .

المرأة : نحن مقامرون ، والمقامر العاقل يجب أن يوطن نفسه على الهلاك .

الرجل : أنت امرأة مقامرة .

المرأة : وأنت أيضا ، لا سبيل إلى النكران .

الرجل : لم أتوقع أبدا أن أضيع بمثل هذه الطريقة السخيفة .

المرأة : جميع طرق الضياع سخيفة .

الرجل : أود أن أقتلك ولو اضطررت إلى قتل نفسى .

المرأة : هاك طريقة سخيفة أخرى .

الرجل : كل هذا وأنا لا أعرف من أنت ولا أدرك شيئا مما يقع حولى .

المرأة : لا أهمية للتفاصيل ، حسبك أن تعرف أننا مطاردون ، وأن حولنا وفوقنا وتحتنا أعداء مصممون ! (**صمت**) (**وهى تبتسم متوددة**) لا تضخم سوء الحظ بالغضب . (**صمت**) عندى اقتراح : (**ينظر نحوها بامتعاض ودون أن ينبس**) نحن فى حاجة إلى ترفيه .

الرجل : ترفيه ؟!

المرأة : لم لا ؟.. إنهم يسألون المحكوم عليه بالإعدام عن رغبته الأخيرة .

الرجل : أنت مجنونة .

المرأة : لنشرب كأسين .

الرجل : وما حولنا وفوقنا وتحتنا ؟

المرأة : أنا أعتبر نفسى منتهية ، وأعترف لك بكل أمانة أن جانبا منى راض كل الرضا ، ويخيل إلىّ أنك تماثلنى إلى حد كبير ، وأمامنا وقت غير محدود ، فإما أن نقضيه فى تبادل السباب وإما أن نرفه عن أنفسنا ، ما رأيك ؟

الرجل : كيف تتحمل أعصابك الترفيه وهى تتوقع الموت بين لحظة وأخرى ؟

المرأة : هى حال الإنسان بصفة عامة مع فارق بسيط هو أننا أعظم وعيا بالنهاية . (**صمت**) فلنجرب .. (**المرأة تقوم إلى البار فتجىء بزجاجة وكأسين . تملأ الكأسين . ترفع إحداهما إلى فم الرجل وتمسك بالأخرى**) صحة لقائنا دون تعارف سابق . (**تشرب وتدفع بالشراب إلى فيه فيتقبله بفتور . ثم تملأ الكأسين مرة ثانية**) صحة افتراقنا القريب بعد تعارف عميق ! (**تشرب . تنظر إليه بتوسل حتى يشرب كأسه أيضا . ثم تملأ الكأسين للمرة الثالثة**) صحة أسباب الهلاك التى لا حصر لها . (**تشرب . يشرب . تملأ الكأسين للمرة الرابعة**) صحة الأحلام التى تقود إلى الهلاك . (**تشرب . يشرب . تنبسط أساريرهما بتأثير الخمر . يملأ هو الكأسين للمرة الخامسة**) صحة الجنس الذى يمارس وسط العنف والشجار . (**تشرب . يشرب . يتأكد أثر الخمر . يملأ الكأسين للمرة السادسة**) .

الرجل : صحة الشرطة عدوة الأحلام . (**تشرب . يشرب . يتأكد أثر**

الخمر . يملأ الكأسين للمرة السابعة)

المرأة : صحة أول من اخترع حروف الهجاء . **(تشرب . يشرب . يتضح أثر السكر فى الحركة والصوت . يملأ الكأسين للمرة الثامنة)**

الرجل : صحة أول رجل اخترع آلة للزينـة . **(تشرب . يشرب . يملأ الكأسين للمرة التاسعة)**

المرأة : صحة أول من كتب رسالة غرامية . **(تشرب . يشرب . يملأ الكأسين للمرة العاشرة)**

الرجل : صحة الحلقة المفقودة .

المرأة : صحة المخبر الواقف بالطرقة خارج الشقة .

الرجل : صحتك .

المرأة : صحتك .

(يغرقان فى الضحك . يقفان وهما يترنحان)

الرجل : لننس العمر الذى عشناه فينتهى كل شىء .

المرأة : انتهى كل شىء .

الرجل : ولكنى لن أنسى أول أمنية داعبت فؤادى وأنا طفل .

المرأة : ما هى ؟

الرجل : أن أكون بياع كسكسى !

(يغرقان فى الضحك)

المرأة : لنستمتع بشىء من الفن ..

الرجل : فكرة . **(يذهب إلى التليفزيون . يديره . يظهر موقف من فيلم رعاة بقر يشتد فيه تبادل إطلاق النار . المرأة تصرخ متراجعة محتجة فيطفىء الرجل التليفزيون)** هلمى نرقص . **(يرقصان بلا موسيقى . يتعمد ضمها إلى صدره . يقبلها من آن لآن . يتوقف**

عن الرقص ويرفعها بين يديه يمضي بها ولكن توازنه يختل فيسقطان وهما يضحكان . ينطرحان جنبا لجنب وهما يضحكان . وهو يقبلها كلما سكت عن الضحك . لا مقاومة من ناحيتها ولكنها تزحف قليلا وتمد يدها فتتناول سماعة التليفون . تطلب رقما ، وفى أثناء الحديث يتابعها الرجل بانتباه قليل لشدة سكره ولا يكف عن تقبيلها)

: آلو .

: ......

: مساء الخير ، أنت قلق طبعا ، آسفة :.

: ......

: شربت كأسين تحت ظروف اضطرارية .

: ......

: لا وقت للإجابة ، ليس الظرف مناسبا ، ستعرف كل شيء من الصحف ..

: ......

: لا تنتظرنى .. ولكن ثق من إخلاصي .. حتى آخر لحظة .. أستودعك الله ...

(تغلق السكة)

: تخونينني جهارا ؟

: الماضي يستحق أن نودعه .

: عفريتة ..

: سأكون لك إلى الأبد !

: حتى الموت .

المرأة : حتى الموت .

الرجل : ولو امتد بنا العمر ساعة كاملة ؟

المرأة : ولو امتد ساعة وربعا ! (**جرس الباب يرن . ينظران نحو الباب بانزعاج رغم سكرهما . ينهضان بصعوبة وتعثر . تمضى نحو المقعد حيث تركت حقيبتها**) سيجدوننى جثة هامدة منتصرة .

الرجل : لن أفتح الباب .

المرأة : سيكسرونه .

الرجل : فلنتفق على الاعتراف بأننا زوجان .

المرأة : قلت للضابط خلاف ذلك .

الرجل : نعترف بأننا تزوجنا عقب ذهابه !

المرأة : هذه فترة كافية لموتنا أما الزواج فيستغرق عاما على الأقل .

(**الجرس يرن متقطعا ولكن فى إصرار**)

(**الرجل يلتفت نحو الباب موليا المرأة ظهره .**

المرأة تتناول من الحقيبة أنبوبة . تستخرج منها حبة . تزدردها ببقية كأسها . تترنح ثم تسقط فوق الديوان منكفئة على وجهها ، جثة هامدة . الرجل لم ينتبه إلى ما حدث . يتردد بين الوقوف وبين الذهاب إلى الباب . ينظر وراءه فيرى المرأة منكفئة على وجهها)

الرجل : غلبك السكر ؟.. نمت ؟ (**يتأملها دون مبالاة بجرس الباب**) يا لك من شابة جميلة حقا !.. (**الجرس يرن**) أضعنا فى الخصام وقتا لا يعوض .. (**الجرس يرن**) استريحى .. تخاصمنا كغرباء على حين تجمعنا طبيعة واحدة . (**يقترب منها ، يميل فوقها كأنما ليقبلها وإذا بصوت صديقة ينادى من وراء الباب صائحا « افتح » يمضى مسرعا نحو الباب فيفتحه ضاحكا . الصديق يدخل ويغلق الباب**

وراءه) سيبت ركبنا عليك اللعنة .

الصديق : من المرأة التى عندك ؟

الرجل : الغيرة رجعت بك رغم الحصار .. يا لك من أحمق ما فكرت فى خيانتك قط .

(الصديق ينظر إلى المرأة ويضحك عاليا)

الصديق : بعض الظن إثم .

الرجل : أنت أحمق .

الصديق : متى جاءت هذه المحبوبة ؟

الرجل : كانت هنا من قبل زيارتك الأولى .

الصديق : و لم أخفيتها عنى ؟

الرجل : إنها المرأة التى تبحث عنها الشرطة .

الصديق : كم كأسا شربت ؟

الرجل : لم أفكر فى حصرها .

الصديق : وهل المحبوبة نائمة ؟

الرجل : من السكر والتعب .. ولكن ما حال الحصار ؟

الصديق : القيامة قائمة ..

الرجل : وحبيبتى نائمة ..

الصديق : إنها جميلة .. من هى ؟

الرجل : المرأة التى قامت القيامة من أجلها .

الصديق : أنت سكران .

الرجل : السكران لا يكذب .

(صمت)

الصديق : لو صح هذا ..

الرجل : تعاهدنا على الحب إلى الأبد .

الصديق : كنت تعرفها ؟

الرجل : عرفتها منذ ساعة هجرية !

الصديق : وما جريمتها ؟

الرجل : جريمة قامت لها القيامة .

الصديق : قتل .. مؤامرة ..؟

الرجل : سألتها فاعترفت لى بحبها ..

الصديق : لعنة الله على البار الأمريكانى .. خبرنى من هى ؟

الرجل : امرأة .

الصديق : اسمها ، أسرتها ، مهنتها ؟..

الرجل : لا اسم ولا أسرة ولا مهنة لها .

الصديق : ألا تعرف عنها أى شىء ؟

الرجل : عرفنا أهم شىء وهو أننا سنموت بعد ساعة أو ساعتين !

الصديق : إنك مضجر ولا خير فيك .

الرجل : نحن ننتظر الشرطة فلا تفسد علينا ساعة الانتظار .

الصديق : لا سبيل إلى التفاهم معك ، سأذهب ، أستودعك الله ..

الرجل : مع ألف سلامة . (**يتحرك الرجل للذهاب . جرس الباب يرن رنينا متواصلا**) أخيرا ..

الصديق : (**فى اضطراب**) ماذا أنت فاعل ؟

الرجل : سأفتح الباب قبل أن يحطموه ..

(أصوات من الخارج تصيح « افتح .. افتح » . الرجل يذهب إلى الباب . يفتحه . تندفع إلى الداخل قوة من الشرطة المسلحة على رأسها ضابط غير الضابط الأول)

الضابط : أين الحجرة المطلة على الطريق العمومى ؟

(الرجل يشير إلى حجرة النوم . الضابط والقوة يهرعون إلى الحجرة ويختفون داخلها)

الصديق : ما معنى هذا ؟

الرجل : على اللعنة إن كنت أفهم حرفا مما يقع حولى .

الصديق : يستحسن أن توقظ المرأة ، أى نوم هذا ؟

الرجل : رد فعل طبيعى للإنهاك والاضطراب والسكر ، دعها تنعم بآخر هدوء يتاح لها فى حياتها !

(فجأة تترامى من الحجرة أصوات طلقات نارية كثيرة ، تستمر وتتزايد . الرجلان ينحطان على ركبتيهما بحركة قاسية وهما فى غاية من الذعر)

الصديق : إنها معركة ..

الرجل : إنها معركة بكل معنى الكلمة ..

الصديق : هل العدو فى الطريق ؟

الرجل : ولكنك رأيت الطريق محاصرا !

الصديق : لعله فى العمارة القائمة على الجانب الآخر .

الرجل : لا أفهم شيئا ..

الصديق : يجب أن نغادر الشقة فورا قبل أن نصرع بالرصاص .

(الصديق يزحف على أربع حتى يغادر الشقة . الضابط يظهر فى باب الحجرة . يرى المرأة لأول مرة)

الضابط : هل أصيبت السيدة ؟

الرجل : كلا .. إنها .. إنها مريضة ..

الضابط : الشقة معرضة للخطر .. غادرها بلا تردد .

(الضابط يرجع إلى الحجرة . الضرب فى تصاعد مستمـــر . رصاصة تصيب المصباح الكهربائى فيسود الظلام . شبح الرجل يزحف نحو المرأة . يهزها ليوقظها)

الرجل : استيقظى .. يجب أن تستيقظى .. **(يهزها بشىء من الشدة)** سأحملك بين يدى وأمرى لله .. **(يحملها بين يديه ويمضى بها نحو الباب بتعثر ومشقة وبطء)** لم يجيئوا للقبض عليك ولا للتفتيش .. لقد نجوت يا حبيبتى .. ونجوت أنا أيضا .. نجونا معا . سيمسى اليأس فى خبر كان .. نجوت ونجوت .. وستكونين لى إلى الأبد .

(يغادر الشقة بحمله . الضرب مستمر)

مشروع للمناقشة



(حجرة الإدارة بمسرح . فى الجانب الأوسط من الحجرة يوجد مكتب . أمام المكتب مقعدان كبيران متقابلان . إلى اليسار مكتبة ، وباب مغلق يؤدى إلى الخارج . فى الجانب الأيمن كنبة ومقعدان وخوان . على الكنبة يجلس الممثل والممثلة . على المقعدان يجلس المخرج والناقد ..الجميع فى أواسط العمر مع تفاوت) .

المخرج : يجب أن نفتتح الموسم بعمل باهر .

الممثلة : (**متنهدة**) الحق أن الفن جمال وعذاب .

الممثل : (**ناظرا فى ساعة يده**) متى يحضر الأستاذ ؟

الناقد : إنه فى الطريق إلينا .

المخرج : كثرت المسارح واشتدت المنافسة بينها لدرجة الوحشية .

الممثل : وعلينا يقع عبء المحافظة على القمة .

الممثلة : هذا ما قصدته بالعذاب .

الناقد : ترى هل انتهى الأستاذ من كتابة المسرحية ؟

المخرج : لا أظن ، ولكنه سيحدثنا عن الفكرة العامة .

الممثلة : لن يبدأ الموسم قبل أشهر .

(يفتح الباب إلى اليسار ويدخل السكرتير)

السكرتير : الأستاذ .

(يدخل المؤلف . يخرج السكرتير ويغلق الباب . المؤلف متقدم فى السن ولكنه من النوع الذى يتعذر تحديد سنه . وهو أنيق المظهر وبادى الصحة والعافية رغم تقدمه فى السن . ينهض المخرج

والناقد والممثل لمصافحته . يذهب لمصافحة الممثلة فى مجلسها . يمضى إلى المكتب فيقف مستندا إلى مقدمته . ينتقل المخرج والناقد إلى المقعدين المتقابلين أمام المكتب . يعود الممثل إلى مجلسه إلى جانب الممثلة)

الناقد : (**للمؤلف**) صحتك عال .

المؤلف : شكرا .

المخرج : الجو فظيع ولكن ضاحيتك مرتفعة الموقع ومعتدلة الجو

المؤلف : التفكير من شأنه أن يرفع الحرارة .

الناقد : إلى أى حد يمكن أن نقول إن عملك اكتمل ؟

المؤلف : سينتهى على أى حال فى موعده .

الناقد : إذا أردنا أن نحدد روايتك الجديدة فأى اسم يمكن أن نطلقه عليها ؟

المؤلف : إنك ناقد لا تخلو من داء النقاد فى غرامهم بالأسماء ، أنا لا تهمنى الأسماء ، إنما أبدأ من انفعال معين ثم أترك الاسترسال لوحى القلم .

الناقد : ولكن المسرحية بناء ، ولا يسع البناء أن يضرب فى الأساس ضربة واحدة ما لم تكن الصورة النهائية متبلورة بشكل ما !

الممثل : (**فى شىء من العصبية**) سنصل فى نقاش غير محدود ، أريد أن أطمئن إلى وجود بطولة حقيقية .

الممثلة : وأضيف إلى قول زميلى أن خير دور تمثله المرأة هو الحب . (**ثم موجهة الحديث إلى المخرج**) تكلم فأنت المخرج ..

المخرج : لكل رواية أسلوب خاص لإخراجها .

الممثلة : ولكن الحب ضرورة لا غنى عنها .

المخرج : إنه ضرورة حقا ولكن لا يمكن فرضه على المؤلف .

المؤلف : هذا كرم منك إذا تذكرنا محاولاتك السابقة للوثوب فوق رأسى .

المخرج : (**ضاحكا**) أنت تؤلف وأنا أفسر ، فأنت حر فى تأليفك وأنا حر فى تفسيرى .

المؤلف : ولكنى أعرف ما أريد قوله .

المخرج : بل إنى أعتبر ذلك من اختصاصى .

الناقد : الأمر يتوقف على نوع العمل ، ثمة عمل لا يختلف فى تفسيره أحد ، وآخر تتعدد فى تفسيره وجهات النظر .

الممثل : ما يهمنى حقا هو دور البطولة ، أريد أن أكون بطلا لا مهرجا .

المخرج : ولكن المهرج يمكن أن يكون بطلا أيضا .

الممثل : إنى أرفض ذلك كل الرفض .

المخرج : ثمة زمن يخلق الأبطال وآخر يخلق المهرجين .

الممثل : مهرجون لا أبطال .

المخرج : المسألة نسبية .

الممثلة : سنضل فى متاهة الآراء ، حددوا أفكاركم .

الممثل : حسن ، أريد بطولة بالمعنى التقليدى .

الممثلة : وأريد أن ألعب دور حب لا ينسى .

الناقد : ويلزمنى الوضوح الذى يمكننى من نقد العمل وتقديمه .

المخرج : أطالب بالحرية الكاملة للتفسير .

المؤلف : ماذا يبقى لى أنا ؟

الممثل : أن تحقق لنا مطالبنا الفنية العادلة فى صيغة ناجحة تستحوذ على إعجاب الجمهور .

المؤلف : إنكم بحاجة إلى سكرتير لا إلى مؤلف .

الممثلة : بل نريد تفاهما وتعاونا .

(**المؤلف يغادر موقفه متمشيا حتى منتصف الحجرة وهو مقطب ثم**

يعود إلى موقفه مستندا إلى مقدم المكتب)

المؤلف : إنى أحب الصراحة ، والحق أقول لكم إنه لا وجود لكم قبل أن توجد الفكرة التى تنجزونها .

الممثل : (**فى حدة**) بل نحن موجودون قبل أى فكرة .

المؤلف : إذا لم توجد القصة فأنتم مجرد أشخاص لا معنى فنى لهم .

الناقد : ألا يؤثر فى خيالك وأنت تؤلف أشخاص الممثلين مثلا ؟

المؤلف : كلا ، إنى أستغرق فى عملية الخلق فحسب ، ثم يختار العمل بعد ذلك ممثليه ومخرجه !

الناقد : هذا فرض مثالى ، ولكن الواقع أن المؤلف إنما يتعامل مع زمان ومكان وجمهور وممثلين وممثلات ومخرجين ونقاد أيضا !

المؤلف : (**ضاحكا فى سخرية**) يا لها من أفكار غريبة عن عملية الخلق !

الناقد : لا يمكن أن تترك لخيالك العنان ما دمت مرتبطا بمسرح ما وجمهور ما وإمكانيات فنية محدودة .

المؤلف : أو فى كلمة واحدة هى فبركة بلا زيادة .

الناقد : إنها محاولة صادقة للتوفيق بين خيالك الخلاق والضرورات بفبركة لا محيص عنها لتقول فى النهاية ما تريد قوله وما يتطلبه الزمان والمكان مما يود الناس أن تقوله !

المؤلف : (**بلهجة مزدرية**) أصدق وصف للفن التجارى .

الناقد : الفن معاملة ، والمعاملة نوع من التجارة ، والنجاح وجه من وجوه المعاملة .

المؤلف : هذا يعنى أنكم المؤلف لا أنا .

الناقد : التأليف جماعى وإن بدا فرديا .

الممثل : لذلك أطالب ببطولة تقليدية وهو طلب عادل .

الممثلة : وأطالب بالحب وهو مطلب طبيعى .

المخرج : وأطالب بالحرية ليتم لعملك الكمال المنشود .

المؤلف : (**غاضبا**) تمرد سخيف مضحك ، ولولاى لما كنتم شيئا مذكورا .

الناقد : (**بلطف**) ولولانا ما كنت مؤلفا على الإطلاق .

المؤلف : أستطيع أن أكتب مسرحية لنفسى !

الناقد : محض كلام ، كيف يثبت أنها مسرحية إذا لم يقيض لها مخرج وممثلون وجمهور ونقاد ؟!

المؤلف : (**غاضبا**) إن مهنتى الخلق لا الجدل ، الجدل مهنة العاجزين عن الخلق .

الممثلة : إنى أكره الجدل وأخاف عواقبه ، وسوف ينتهى بنا إلى خصام مرير بدلا من عرض مسرحى رائع .

الممثل : ولكن لا خير فى مصالحة تجىء على حسابنا .

المؤلف : من الضرورى أن أكتب مسرحيتى بلا قيد أو شرط .

الناقد : لا يجوز أن تهمل الاعتبارات التى عددتها .

المؤلف : إنى ملزم باحترام الخلق الفنى وحده .

الممثل : والبطولة ؟

الممثلة : والحب ؟

المخرج : بعض الهدوء ، إنه لم يحدثنا بعد عن قصته ! (**صمت**) أستاذنا العزيز ، حدثنا عن قصتك .

المؤلف : إنها مجرد مشروع وخطوط عامة .

المخرج : ليكن .

المؤلف : إنها قصة رجل وامرأة .



الممثل : ثمة مجال لبطولة .

الممثلة : ومكان أرجح للحب .

المؤلف : يلتقيان فى غابة .

الناقد : غابة ؟

المؤلف : يلتقيان فى غابة .

الناقد : و لم غابة ؟

المؤلف : (**محتدا**) أنا حر .

المخرج : أنا الحر .

الناقد : أخشى أن ترجع بنا إلى عهد الرومانسية البائد ؟

الممثلة : هو مكان طريف على أى حال ، والعرى فيه لا يمكن أن يتهم بالافتعال .

الناقد : اللقاء اليوم فى الشارع ، فى البص ، فى ملهى ليلى .

المخرج : ربما أراد من الغابة أن تهيىء له جوا موحشا حافلا بأخطار الإنسان والحيوان .

الناقد : المدينة أحفل بكل ذلك من أى غابة .

المؤلف : (**ضاربا الأرض بقدمه**) يلتقيان فى غابة .

الممثلة : بعض الحلم حتى يتم صورته .

المؤلف : فى الغابة أخطار لا حصر لها فهما يبحثان عن مأوى يحميهما .

الممثل : ليس فى ذلك شيء من البطولة ..

الممثلة : ولكنه مجال طيب للحب .

الممثل : لا حب بلا بطولة .

الممثلة : الحب فى ذاته بطولة .

الممثل : ليست هى ما أبحث عنه .

المخرج : إنه يريد أن يقاتل ، يقاتل الوحوش ، يقاتل المجهول .
الممثل : أحسنت .
المخرج : ومن ثم يوجد الصراع وهو أساس الدراما .
الممثل : أما مجرد البحث عن مأوى !
الممثلة : لعله يكتب قصة حب ؟
الممثل : الحب لا يكفى وحده موضوعا لمسرحية .
المخرج : وأى مجال يترك لحريتى فى مسرحية بحث عن مأوى ؟
المؤلف : أنا لا أعترف بحريتك المزعومة .
المخرج : أنا أفسر فأنا حر .
المؤلف : هل تستطيع بحريتك أن تغير النهاية ؟
المخرج : صدقنى فإن حرية المخرج هى زينة العرض المسرحى .
المؤلف : هل تستطيع أن تغير النهاية ؟
المخرج : لم تحدثنا عن النهاية .
المؤلف : يجدان مأوى على درجة من الأمان .
الممثلة : أراهن على أن الحب سيبدأ دوره الخالد .
المؤلف : يحصنانه ضد أهوال لا حصر لها ولا عد .
الممثلة : أكمل .. إنى منتظرة ..
المؤلف : يمضيان أوقات الراحة فى عناق حار .
الممثلة : (**تقف من الانفعال وتنتقل إلى جنب المؤلف**) ألم أقل لكم ؟..
المؤلف : وفى لحظة من لحظات العناق الحار يسقطان جثتين هامدتين !

(**صمت**)

(**يتبادلان النظرات . تمضى الممثلة إلى المكتبة على اليسار وتستند إليها مغمضة العينين**)

الناقد : جثتين هامدتين ؟!

المؤلف : نعم .

الناقد : وهى النهاية ؟

المؤلف : ماذا تتوقع بعد ذلك ؟

الناقد : ولكن ما أسباب الموت ؟

المؤلف : أى سبب تفترضه ، لنقل إنه العناق نفسه !

الممثلة : (**متقدمة خطوات**) الحق أنى لم أفهم شيئا .

المخرج : وماذا عن الأخطار المحدقة بهما ؟

المؤلف : لم أتم دراستى لها بعد ، ولكن يمكن القول بأنهما قد ينجحان فى تحصين مأواهما .

الناقد : ستكون نهاية متشائمة .

الممثل : وبلا بطولة تخفف من وقعها .

الممثلة : دور الحب غنى ، ولكن النهاية ..؟

المخرج : من حسن الحظ أنه لم ينته من دراسته ، وأنه لا بد أن تسبق النهاية سلسلة من صراعات شائقة ..

المؤلف : (**متهكما**) ربما تكون حرا فى كيفية الوصول إلى النهاية التى أختارها ولكن لا حرية لك فى تغييرها .

المخرج : (**فى شبه ثورة**) يمكن أن أسدل الستار عند لحظة من لحظات النصر .

المؤلف : فى تلك الحال لن يزعم أحد بأن الرواية روايتى .

الممثل : (**وهو يهب واقفا**) أنا البطل ، أنا الجمهور ، وإنى أرفض الأدوار الهابطة !

المؤلف : قدر للسانك قبل النطق موضعه من اللباقة .

الممثل : إنى ممثل قديم ، لعبت أدوارا خالدة ، صارعت القدر ، صارعت الأبطال ، صارعت المجتمع ، اليوم يراد منى أن ألعب دور الهارب ، وأن أموت مستهلكا فى عناق حار ، خبرنى بالله أى نوع من الدراما تكون ، تراجيديا ؟ ملهاة ؟

الناقد : أجل .. النوع المسرحى غير واضح .

المؤلف : أنا أقدم مسرحيات لا أسماء .

الناقد : ولكنها تنكبت سبيل الجلال الحق .

المؤلف : الجلال الحق ، ما زلتم تحنون إلى القدر والأبطال الخرافيين وأسطورة المجتمع ، ولكن القدر لم يعد إلا موضة بالية ، والبطولة الخرافية مراهقة ، وهل يتمخض المجتمع إلا عن لعبة يعبث بها أطفال شريرون لم تحسن تربيتهم ؟!، إنى أعرف عملى تماما

الممثل : إنى أرفض مسرحيتك .

الممثلة : لكنها ما زالت قصة حب .

الممثل : إنك مخطئة يا عزيزتى ، تصورى أن نلتقى فى غابة وأن نلوذ بمأوى !، لا مجال للمناجاة أو الحب الحقيقى ، ستكون أعصابنا متوترة طوال الوقت . الحب لا ينمو فى هذا الجو ، مجرد عناق عصبى ، يروح عن نفسه بالشهوة ، ثم نقع جثتين ، ستكونين طيلة الوقت محدقة فى فزع ، مرتعشة الأطراف ، مضطربة الأمعاء ، دميمة الوجه ، مجرد لبؤة ثائرة ثم جثة هامدة .

الممثلة : كلا .. كلا ..

الممثل : ولن يبقى لنا من الحوار إلا كلمات متشنجة ، واستغاثات معربدة ، وهذيان طويل عن الأخطار المحدقة بنا ، ثم نقع جثتين هامدتين !

المؤلف : (**محتدا**) لست إلا ممثلا فلا تجاوز حدك .

المثل : (**فى غضب وعجرفة**) أنا المسرح .. أنا الجمهور ..

المؤلف : لست إلا ممثلا .

الممثل : (**وغضبه فى تصاعد**) وما أنت ؟!.. كم من الجمهور رأوك ؟.. وكم ممن يرونك يعرفون من أنت !

المؤلف : يا لها من وقاحة !

(الممثل يرمى المؤلف بنظرة متوعدة . الممثلة تقترب منه بسرعة فتضع يدها على ذراعه ملاطفة)

الممثلة : لا يليق بكما الخصام .

الناقد : ترى هل تحل بمسرحنا اللعنة ؟!

المؤلف : ليلتزم كل بحدوده .

المخرج : الحلم والهدوء ، لا تدفعونى إلى اليأس .

الممثلة : عليك بالتماسك وإلا فشلنا وأعرض عنا الجمهور .

الممثل : إن من يسلبنى مجدى إنما يسلبنى كرامتى وحياتى .

المؤلف : لكل زمان مجده الخاص به .

الممثل : العبث ببطولتي التى عشقها الجمهور محاولة لقتلى .

المؤلف : مجدك الحق أن تلعب دورك بمهارة أيا كان دورك .

الممثل : ولو كان الهرب والموت بين أحضان امرأة ؟

المؤلف : ولو كان .

الممثل : سينصرف عنكم الجمهور ولن ينفع الندم .

المؤلف : الجمهور يود أن يرى نفسه .

الممثل : لا كما هى ولكن كما يجب أن تكون .

المؤلف : على أساس من واقعها الحقيقى .

الممثل : أهذه هى الكلمة الأخيرة فى البطولة ؟

المؤلف : لا يمكن التنبؤ بالمسرحية التالية .

الممثل : إذا تجهمني زماني فعلى أن أعتزل .

المؤلف : (**متهكما**) ها أنت تفكر فى الهروب فى حياتك رغم ثورتك عليها فوق خشبة المسرح .

الممثل : إنى أرفض مسرحيتك .

الناقد : (**للمؤلف**) فكرتها طيبة ولكن أعد النظر فى النهاية .

المؤلف : (**بكبرياء**) كلام لا يليق أن يوجه إلى مؤلف .

الناقد : هل نسيت تاريخك القديم ؟.. هل نسيت روائعك ؟

المؤلف : آخر مسرحية خير ما ألفت حتى اليوم .

الممثل : حتى هذه المسرحية الشاذة ؟

المؤلف : ستكون خير ما ألفت حتى اليوم .

الممثل : (**صائحا فى غضب وموجها كلامه للجميع**) إنه يضمحل وهو لا يدرى .

المؤلف : (**فى غضب**) لست أهلا لمناقشتى . (**الممثل يرميه بنظرة غاضبة متوعدة مرة أخرى ولكن الممثلة تأخذه من ذراعه إلى مجلسها السابق فوق الكنبة**) (**صمت**) (**محادثا نفسه**) تعب وعذاب وها هى النهاية ، من يدرى بمتاعب الخلق إلا من يعانيه ؟، ثم لا يكفيه ذلك فتتمرد عليه مخلوقاته ، وأى تمرد !، تعيب خلقه ، تعيبه بكل جهل وقحة ، تذكره بعمله القديم كأنه عاجز عن تكرار نفسه ، تتهمه بالكسل وهى الخامة العاجزة عن تفهم الجديد ، وتبين مزاياه ، هل يكمل الخلق إذا جاء على هوى المخلوق ؟، وقد تدرجت معهم من البسيط إلى المعقد وها هم ينعتون البسيط بالجلال والمعقد بالتفاهة ، عقول قاصرة فكيف يمكن أن يتموا الرحلة الطويلة معى ؟!

الممثل : (**مخاطبا نفسه أيضا تجنبا للخصام**) الخلق شيء عظيم أما الغرور فلا عظمة له ، لسنا مخلوقات ولكننا شركاء ، هو يعرف ذلك وإن أنكره حين الغضب ، المسرحية لا تحيا وحدها ، يلزمها مخرج وممثلون ونقاد وجمهور ، ما قيمة النصر بغير هؤلاء ؟، هل تبقى الرواية هى هى إذا تغير الممثلون ؟، هل تبقى هى هى إذا تغير المخرج ؟ الحق أننا خالقون أيضا ، وهو مخلوق لنا بمعنى من المعانى ، وجميعنا معذبون بالخلق ، والجزاء ليس عادلا ، إننا نعيش فترة ثم نختفى كالفقاعات ، أما كلماته فتبقى على مدى الأيام ..

(صمت)

الناقد : نريد أن نصفى الجو ، وبالاحترام المتبادل نصفيه لا بالتفاخر .

الممثل : (**آتيا بحركة تدل على الحسرة**) إنى أبكى الأيام السعيدة الماضية ، أخاف ألا تعود مرة أخرى ، كنت أخطر على خشبة المسرح رمزا للإنسان فى ذروة نبله ونضاله ، وعلى المسرح كانت تتواجه قوى الخير والشر وبينهما تقوم الإرادة الحرة المتوثبة ، والخير لم يكن ينهزم وإن حاقت به هزيمة والشر لا ينتصر وإن أحرز نصرا ، ذلك أن خشبة المسرح لم تكن تخلو من إلٰه عادل .

الممثلة : (**تتأثر فتقوم تمشى وهى تتكلم**) أجل ، المرأة كانت وحيا ، الحب كان دينا ، النور يهزم جيوش الظلام بنصله اللامع ، الأمومة مقدسة ، الوفاء مقدس . الرذيلة شيطان ، لا شيء لهو ولعب .

الممثل : أين الآلهة ؟، أين البطولة ؟، أين الحب ؟، أين الأمل ؟، لم تبق إلا غابة مليئة بالوحوش ، وآدميان هاربان لائذان بكهف ، لم يبق إلا الخوف والتوجس والهستيريا والموت ، أى دور هذا ؟! (**الممثل يقف منفعلا ثم يهتف بصوت مرتفع**) إنى أرفض مسرحيتك .

المؤلف : لا تتخط حدودك .

الممثل : لم أتخط حدودى .

المؤلف : لا تحلم كالمراهقين .

الممثل : لا تتخط حدود اللياقة .

(**صمت**)

المؤلف : هذا هو مشروع روايتى الجديدة ، وإنى مقتنع به .

الممثل : إنى أرفضها .

الممثلة : (**بصوت منخفض**) على العين والرأس ولكن ..

المخرج : عملى يبدأ بعد انتهاء عملك .

الناقد : لا أدرى هل يبكى المشاهد أو يضحك ؟

المؤلف : لم يكن أحد يجادلنى فيما مضى .

الممثل : كان العمل رائعا .

المؤلف : المؤلف الحق يطالب بالطاعة والإعجاب .

الممثل : (**متهكما**) الطاعة والإعجاب ؟!

المؤلف : (**منفعلا بالغضب**) وإلا هدمت المسرح على من فيه .

الممثل : إنى أشهدكم على ما يقول .

المؤلف : من حقى أن أقول ما أعتقده .

الممثل : تحت شرط ألا تمس كرامة الآخرين .

المؤلف : لقد خلقت منكم نجوما وكواكب ولن يعجزنى أن أخلق غيركم .

الممثل : الحق أننا نحن الذين خلقناك .

المؤلف : لو تخليت عنك لتسولت حتى الموت .

الممثل : لولاى لما نجحت لك رواية واحدة ولبثت مؤلفا ناشئا ! (**الممثل يتقدم إلى الممثلة فيأخذ بيدها متجها فى تحد إلى المؤلف**) هل نسيت

فضل هذه الفنانة ؟، أو حسبت أن الجمهور يتدفق علينا من أجلك ؟!

المخرج : (**للمؤلف ممتعضا**) وأنا يا أستاذ ؟، هل نسيت عروضى الرائعة ؟

الناقد : (**للمؤلف أيضا**) سامحك الله ، وقلمى الذى كرسته للإشادة بعبقريتك ؟، إن الناس لا تثنى عليك إلا بكلماتى ..

الممثل : (**غاضبا**) نحن الذين خلقناك .

المؤلف : سأعهد بعملى إلى آخرين ، اغربوا عن وجهى .

الناقد : لكل مسرح رجاله ، ونحن رجال هذا المسرح .

المؤلف : إذن لن تقدم به مسرحيات بعد اليوم .

المخرج : سيغلقه الظلام ويدركه العدم .

المؤلف : لن أتضور جوعا ، إنى رجل لم تغره الحياة الدنيا مثلكم ، ولكنكم ستتسولون فى مجرى عام .

الممثل : ولكن لن تخلق ، وهو ألعن من التسول .

المؤلف : حسن ، فليمض كل إلى سبيله .

(**صمت**)

الناقد : لقد حلت اللعنة بمسرحنا .

الممثلة : قلبى يتمزق .

المؤلف : أنتم المسئولون عن ذلك .

الممثل : أنت وحدك المسئول .

المخرج : مسرح عريق فى القدم والنجاح .

الممثلة : يئس من اللحاق به الأعداء .

المؤلف : وبطرت نعمته أصحابه .

الناقد : لا أصدق ، لن يهون أمره على أحد منا (**ثم موجها الخطاب**

للمؤلف) وأنت على وجه الخصوص ، ليست أول مرة يعصف بك الغضب ..

المؤلف : (**مشيرا إلى الممثل**) جاوز حدود اللياقة باستهانة لا تغتفر .

الناقد : ما تزال قابلة للغفران .

المخرج : لن يدرك مسرحنا العدم ولو اضطررنا إلى إعادة تقديم الروايات القديمة .

المؤلف : هذا هو الإفلاس ، ولن يخفى على أحد .

(**صمت**)

الناقد : لنكن إيجابيين فى حوارنا ، أصغوا إلى ، يمكن استخلاص عنصر صراع بطولى من مجرى الرواية .

الممثلة : (**بلهفة**) كيف ؟

الناقد : الرواية ما زالت مشروعا ، وقد قال الأستاذ إن الرجل والمرأة سيلوذان بكهف ، أليس كذلك ؟

الممثلة : بلى .

الناقد : إنه كهف كبير ، لاذ به كثيرون .. (**ينظرون إلى المؤلف مستطلعين فلا يعترض**) لدينا كهف وسط غابة مليئة بالوحوش والأخطار المجهولة ، وهو فى الوقت نفسه مكتظ بالناس ، ثمة فرصة لقيام صراع ما بين بطلنا وبين أحد أو أكثر من الآخرين ..

الممثل : صراع سخيف !؟ غير بطولى ، إذا كانت الأخطار تحدق بالكهف من كل جانب ، فكيف يجوز أن يقوم صراع بينهم ؟!

الممثلة : وكيف يطيب الحب فى مثل ذلك الجو ؟!

الناقد : قد يكون صراعا غير منطقى ولكنه ممكن إذا قيس بمقاييس الطبيعة البشرية ، وبخاصة إذا توفرت أسبابه ..

المثلة : أسبابه ؟

الناقد : المرأة ، عدم وفرة الماء والغذاء ..

الممثل : الصراع الحق هو ما قام بين البطل والوحوش ، أو بينه وبين المجهول .

(ينظرون جميعا إلى المؤلف مستطلعين)

المؤلف : (**بفتور**) ثمة مجال لصراع فى الداخل وآخر فى الخارج .

الناقد : يسعدنى أن نعود إلى المناقشة ..

المؤلف : لم أفرغ من عملى بعد .

الناقد : المناقشة تفتح الأبواب .

المؤلف : ولكنها تفسح المجال للرغبات الشخصية التى لا تمت إلى الفن بصلة .

الممثل : رغباتى فنية وليست شخصية .

الممثلة : (**فى رقة متناهية**) النهاية مهمة جدا .

المؤلف : المؤلف يكتب مسرحيات متتابعة ، لكل مسرحية شخصيتها المستقلة ، ولكنها فى مجموعها مسرحية كبرى ذات نهايات متكاملة .

الممثل : ما يهمنا الآن هى مسرحية الافتتاح .

المؤلف : لم أفرغ من عملى بعد .

الممثلة : ليكن صراع من أى نوع كان ولكن يجب أن ينتهى بانتصار الحب .

المخرج : كيف يمكن استخلاص إيقاع غرامى من ضجيج الغابة الموحشة ؟!

الممثلة : (**بحدة**) إذن الأفضل ألا يكون للمرأة دور !

الممثل : ما أجمل أن ينتهى الصراع فى الداخل إلى القضاء على أسبابه ، ومن ثم يتجهون جميعا نحو الخارج ..

الناقد : وماذا يقع فى الخارج ؟

الممثل : صراع جديد فنصر جديد .

الممثلة : وحب طيلة الوقت !

الناقد : حلم جميل ولكن الجمهور لم يعد يستسلم للأحلام طويلا ..

المخرج : ثمة مشروع مضاد وهو أن يقضى الصراع على اللائذين بالكهف ثم تقتحمه الوحوش فتلتهم الأحياء والجثث . .

الناقد : كئيب أكثر مما تحتمله الأعصاب ..

المخرج : لم يبق إلا أن يستمر الصراع بالداخل والتهديد فى الخارج !

النقاد : نهاية مفتوحة تدعو للبلبلة ..

الممثلة : (**محتجة**) تتكلمون عن الصراع ولا تذكرون الحب بكلمة .

المخرج : أيا كان الحال فسوف تتخلله لحظات حب وغناء ورقص ..

الناقد : ولكن هل يتفق ذلك مع مرارة الصراع ؟

المخرج : هكذا تمضى الحياة ، وبذلك نرضى جميع الأذواق .

(**ينظرون إلى المؤلف مستطلعين**)

المؤلف : لم أفرغ من عملى بعد .

الناقد : ما رأيك فى الاقتراحات التى عرضت ؟

المؤلف : لا رأى لى الآن .

الناقد : ولكننا استعرضنا كافة الاقتراحات المحتملة .

المؤلف : لا حصر للاحتمالات الممكنة .

الممثل : عدنا على الأقل بصراع بطولى من أى نوع كان ؟

الممثلة : وبحب يستحق هذا الاسم ؟

المؤلف : لا أعد بشىء .

الممثل : ولكنك حر وبوسعك أن تعد وأن تفى بما تعد .

المؤلف : لا تتحدث عنى بخير أو شر .

الناقد : حذار أن يعاودنا الخصام .

المخرج : نحن فى حاجة إلى استراحة قصيرة ، بنا إلى البوفيه لنتناول بعض المرطبات .

(ويذهب الناقد والمخرج والممثل . الممثلة تقف ولكنها لا تبرح مكانها . المؤلف يغادر موقفه عند المكتب ليتمشى ذهابا وجيئة . ثم يعود إلى موقفه مستندا إلى مكتبه ، والممثلة تتابعه بعينيها طوال الوقت)

المؤلف : **(كأنما يسأل نفسه)** هل حقا حلت اللعنة بمسرحنا ؟

الممثلة : لن تحل بنا إلا إذا قررت أنت ذلك .

المؤلف : ولكنه بمعنى ما مسرحى ، إنه جزء من نفسى لا يتجزأ .

الممثلة : ونحن عناصره التى لا يقوم إلا بها .

المؤلف : عمل واحد وهدف واحد .

الممثلة : بالحق نطقت .

المؤلف : فيم الخلاف إذن ؟

الممثلة : لا خلاف حقيقى ولكنه الخوف ، لقد أفسدت المنافسة المريرة أعصابنا . .

المؤلف : بالتالى ضقت بهم ذرعا .

الممثلة : ليتسع لهم صدرك . **(صمت)** هل يضايقك وجودى ؟

المألف : بل يسعدنى .

الممثلة : **(فى شىء من التردد)** أود أن أخلو إليك بعض الوقت .

المؤلف : بكل سرور ، فرصة طيبة .

الممثلة : لا قيمة لأكليشهات المجاملة لمن يتطلع للعاطفة الحقيقية ! **(ينظر إليها فى تساؤل ودهشة)** لم الآن ؟، لم أختار هذه اللحظة لأفضى إليك بأسرار قديمة ؟، ربما لأننى شعرت لأول مرة بأنك تهددنا حقا

بالفراق الأبدى ..

المؤلف : أعترف بأننى ضقت بالعناء والمكابرة .

الممثلة : عدنى بألا تقرر الفراق مهما يكن من عنادهم ومكابرتهم .

المؤلف : كيف يمكن أن أعد بذلك ؟

الممثلة : عدنى بلا قيد أو شرط ؟

المؤلف : بلا قيد أو شرط ؟

الممثلة : بلا قيد أو شرط .

المؤلف : إنى أشكر لك عواطفك ولكنه طلب غير عادل .

الممثلة : لأنه مسرحك ، لأنه مسرحنا ، لأننا أسرتك ، ولأننى

المؤلف : ولأنك ؟

الممثلة : ولأننى .. ولأننى .. ولأننى لولاك ما عرفت طريقى إلى المسرح .

المؤلف : حقا ؟!

الممثلة : نعم .

المؤلف : لم تحدثينى عن ذلك من قبل .

الممثلة : لم أحدثك عن نفسى قط . (**صمت يتبادلان نظرات صامتة**) ألا تذكر أيام زمان ؟

المؤلف : بلى ، حينما كنت طفلة ..

الممثلة : حينما كنت فتاة صغيرة لا طفلة ..

المؤلف : كنت ألمحك فى الطريق أحيانا .

الممثلة : أكنت ترانى حقا ؟

المؤلف : من حى واحد كنا ، إنى أذكر تلك الأيام .

الممثلة : اعتقدت أنك لم ترنى قط .

المؤلف : فى الشرفة رأيتك وأمام باب البيت .

الممثلة : وقلت لنفسى إما أنه إلـٰه أو أنه صخر .

المؤلف : صخر ؟؟

الممثلة : ذلك أنك لم تعرف سهر الليالى ولا الوسائد المبللة بالدموع .
(يتبادلان نظرة طويلة ، هى تلقيها إليه بثبات ، وهو بدهشة)
وصممت على أن أكبر نفسى لعلى ألفت نظرك . انتعلت حذاء بكعب عال ، غيرت التسريحة ، ضيقت أعلى الفستان لأبرز صدرى ، ولكنك لم ترنى ..

المؤلف : (**باسما**) آسف جدا ، كنت صغيرة وكنت كبيرا .

الممثلة : المسألة أنك لم تحبنى .. (**صمت**) ولحبك أحببت المسرح ، أحببت مسرحك ، غيرت مجرى حياتى رغم معارضة أهلى الشديدة ..

المؤلف : إنى أغبط نفسى على الخدمة التى قدمتها للمسرح دون تخطيط .

الممثلة : ومضى حبى ينمو بلا حدود ، ولما تخرجت فى المعهد اتصلت بك تليفونيا ، طالبة ناشئة تعرض نفسها على المؤلف الكبير ..

المؤلف : متى كان ذلك ؟، إنى لا أذكره ..

الممثلة : طبعا فهو حديث يتكرر يوميا عشرات المرات .

المؤلف : أكرر الأسف .

الممثلة : وسد سكرتيرك الطريق فى وجهى ، ومن ناحية أخرى لم تكن تبرح ضاحيتك أغلب الوقت ، ولا تزور المسرح إلا فى أوقات نادرة وفى ظروف مجهولة لى ، وهكذا وجدت بابك مغلقا بعد طريق طويل شققته بالجهاد والعناء والصبر .

المؤلف : حكاية مؤسفة حقا .

الممثلة : ما مضى قد مضى .

المؤلف : ولكنك عرفت بالإصرار طريقك إلى مسرحنا .

الممثلة : سلمت بتوجيه السكرتير فذهبت إلى المخرج .

المؤلف : وسيلة ناجعة فيما يبدو .

الممثلة : قابلته واقترحت عليه أن يختبرنى فى مكتبه ولكنه ..

المؤلف : ولكنه ؟

الممثلة : اعتذر بضيق الوقت وكثرة الأعمال ثم دعانى إلى مسكنه الخلوى ! (**المؤلف يبتسم . الممثلة تقطب**) غادرته متحدية ، وغالبت ترددى حيالك حتى غلبته ، فكتبت لك رسالة مطوية اعترفت لك فيها بحبى الذى أسرنى منذ صباى . (**صمت**) لا تتذكر شيئا ؟

المؤلف : الحق .

الممثلة : (**مقاطعة**) الحق أنك تتلقى مئات الرسائل مثلها !

المؤلف : لم تكن لى ثقة كبيرة فى الرسائل .

الممثلة : ذهبت إلى المسكن الخلوى . (**صمت**) كثيرا ما يدفع الحب الخائب إلى المساكن الخلوية .

المؤلف : الحياة سلسلة من التجارب المتناقضة .

الممثلة : هكذا انضممت إلى مسرحك .

المؤلف : مهما يكن من أمر فقد كسب بك نجمة لامعة .

الممثلة : وعندما قدمت لك لأول مرة وضح لى أنك لا تتذكرنى .

المؤلف : ولكن سرعان ما تذكرتك .

الممثلة : وثبت لدى أن حبك سراب مستحيل فلذت بصمت الكبرياء . (**صمت**) ودفعنى حبك المستحيل من بيت خلوى إلى بيت خلوى .

المؤلف : الحق أنك اشتهرت فى الوسط بكثرة العشق !

الممثلة : على حين أنى لم أعرف من الحب إلا حبك !

المؤلف : فنانة كبيرة وقلب كبير .

الممثلة : تصورنى الرسوم الكاريكاتورية امرأة شهوانية بينا أننى أعاف فى أعماق الشهوة والفساد .

المؤلف : إنى أصدقك .

الممثلة : ولكننى أعبر من خلال علاقاتى العابرة بالآخرين عن تشوقى الخالد إليك .

المؤلف : إنى أحترم عاطفتك وأفهم سلوكك .

الممثلة : ولكنك لا تحبنى ؟

المؤلف : أحبك بقدر ما يستطيع شخص فى سنى أن يحب امرأة فى سنك .

الممثلة : إنك من الذين يتعذر تقدير أعمارهم حتى قيل عنك إنك فى سياحاتك الموسمية حول العالم تجدد شبابك وتنفق فى ذلك عن سعة ؟

(المؤلف يغرق فى الضحك وهى لا تحول عنه عينيها)

المؤلف : هل تؤمنين بالأساطير ؟

الممثلة : نعم .

المؤلف : أعترف أن حبك سيجدد شبابى .

الممثلة : إنك تتكلم من بعيد ، ولا ألومك فلا حق لى عليك ، ولكن لِم لَم تتزوج ؟

المؤلف : لم يكن الزواج من أهدافى أبدا .

الممثلة : عدو للمرأة ؟!

المؤلف : لعلى لم أتزوج لشدة حبى للمرأة .

الممثلة : لا خبرة لى بالمغالطات اللفظية .

المؤلف : أعترف بأننى شىء غير مهضوم من وجهة نظر الطبيعة البشرية .

المثلة : على كل حال ما مضى قد مضى ، وما يهمنى الآن هو ألا تفكر فى هجر مسرحنا . (**صمت**) طالما أنت على رأسه فإنى أشعر بأنى أعمل فى بيتى وبأن حياتى رغم تمزقها وضياعها لم تفقد كل معنى لها ، وبأنى إذا كنت أخفقت فى أن أكون خليلتك أو زوجك فإنى على الأقل نجمة مسرحياتك .

المؤلف : النجمة التى ساقت إلى الملايين .

المثلة : ولا تنس أن الحب هو الدور الذى خلدنى .

المؤلف : وشارك فى تخليد أعمالى .

المثلة : وإننى أشعر وأنا أقوم به بأننى أمارس حبك الكبير الذى استحال على خارج المسرح .

المؤلف : إنى مدين لك بالكثير .

المثلة : عدنى إذن ألا تهجرنا مهما يكن من أمر . (**صمت**) ألا تريد أن تعدنى ؟

المؤلف : بدا التفاهم اليوم مستحيلا .

المثلة : إنهم يحبونك أيضا ، صدقنى إنهم يحبونك أيضا ، المسألة أنهم خائفون ، المنافسة مرة ومزلزلة للأعصاب ، وهم من طول ما مارسوا البغضاء فى نزاعهم مع المسارح المحيطة بنا انطبعت البغضاء فى أساريرهم وسلوكهم ونوازعهم ، كأنما قد فقدوا القدرة على الحب ، ألفوا التحدى والوقاحة والتهور ، تصوروا فى غضبهم أنه يمكن أن يوجد هذا المسرح بدونك ، محض خيال مريض ، تخيلوه بأخيلة هزيلة مريضة ، ولو ضننت عليهم بوجودك لتقوضت الجدران فوق رءوسهم ، وتلاشت فرص الندم .

المؤلف : لا أوافق على أن أكرر نفسي بحال .

الممثلة : سيدى .. هل حقا لم يبق للفن إلا غابة وكهف ورجل وامرأة يموتان في حومة هذيان ؟

المألف : إنني أعرف ما أصنع .

الممثلة : ولكننا لم نعرفه بعد .

المؤلف : علينا أن نواجه الحقائق ، هذه مواجهة وليست هروبا .

الممثلة : هبني قدرا من الحب ليستقيم دورى ، ووفر له نصيبا من البطولة !

المؤلف : ممثل متعجرف !.. أهو آخر عشاقك ؟

الممثلة : نعم .

المؤلف : أيعاملك ببطولة ؟

الممثلة : (ضاحكة فى امتعاض) معاملته لى تتم وراء جدران لا أمام الجمهور.

المؤلف : إنه برجمى نساء كما هو معروف

الممثلة : ربما ..

المؤلف : لماذا ارتضيته عاشقا ؟

الممثلة : ليس أسوأ من غيره .

المؤلف : إنه لا يمارس البطولة إلا فوق خشبة المسرح .

الممثلة : والحب الحقيقى أين يمارس إلا فوق خشبة مسرحك !

المؤلف : إنهم يكرهون مشروعى الجديد لأنه يعكس بصدق خبايا نفوسهم .

الممثلة : كنت رفيقا بهم فى الزمان الأول .

المؤلف : كانت دنيا أخرى ، وكانوا ناشئين مبتدئين .

الممثلة : أولهم بعض الاحترام الذى نعموا به قديما .

المؤلف : أعترف لك بأننى أعاملهم دائما باحترام .

الممثلة : حقا ؟

المؤلف : وروايتى الجديدة أكبر دليل على ذلك !

المثلة : لا أفهمك يا حبيبى .

المؤلف : عليك أن تفهمينى يا حبيبتى .

الممثلة : ما أحلى هذا الحديث ، نتحدث كما لو كنا حبيبين حقا .

المؤلف : نحن كذلك .

الممثلة : حقا ؟

المؤلف : كل بطريقته .

الممثلة : ليس للحب إلا طريقة واحدة .

المؤلف : بل له طرق كثيرة .

الممثلة : وما طريقتك فى الحب ؟

المؤلف : العمل .

(تقترب منه خطوة ، تمعن فيه النظر)

الممثلة : ألم تحب بطريقتى البسيطة ؟

المؤلف : ربما ، ولكن بعيدا عن الوسط الفنى .

الممثلة : (**متنهدة**) تصور أننى لم أدخل الوسط الفنى إلا سعيا وراء حبك .
(**صمت**) والآن هل تعدنى ؟

المؤلف : أرجو أن تسير الأمور سيرا حسنا .

الممثلة : شكرا .

المؤلف : عفوا .

الممثلة : (**بعد تردد**) أود أن أقبلك ولو قبلة واحدة .

(الممثلة تقترب منه . يتعانقان متبادلين قبلة طويلة . فى ذات اللحظة يدخل الممثل وفى أعقابه المخرج والناقد . المؤلف والممثلة يفترقان فى كثير من الارتباك . الممثل يذهل لحظة . ثم يحاول الهجوم على المؤلف ولكن المخرج والناقد يحولان دون ذلك)

المثل : (**صائحا**) داعرة محترفة وعجوز منحل .. سأحطم رأسك ..
الممثلة : اخرس .. لا تتكلم بغير فهم .
الناقد : ما رأيناه لا يجوز أن نسىء فهمه ، ما هو إلا عناق أبوى !
الممثل : أبوى !!.. أنت لا تعرف شيئا عن تدهور الشيوخ !
المؤلف : تأدب ..
الممثل : سأحطم رأسك ، لن تفلت من قبضتى ..
الممثلة : اخرس ، قلت لك ألا تتكلم بغير فهم .
الممثل : إنى خير من يفهمك يا خنزيرة !
الممثلة : ما أنت إلا حيوان غبى .
الممثل : لا زلت بغيا تنتقلين من فراش إلى فراش .
الممثلة : تأدب وإلا أسكتك بالحذاء .
الممثل : ولكنك تنتقلين هذه المرة إلى نعش ..
الممثلة : (**للآخرين**) أسكتوا هذا الحيوان الأعمى .
الناقد : (**ضاربا جبينه بيده**) لقد حلت بمسرحنا اللعنة .
الممثلة : (**بصوت مرتفع**) لن تحل بمسرحنا اللعنة .
المخرج : سوء فهم واضح ، واضح البراءة .
الناقد : (**مخاطبا المؤلف**) بوسعك أن تحسم سوء الظن بكلمة .
(**المؤلف يلزم الصمت فى كبرياء**)
المخرج : (**للممثلة**) لديك بلا شك ما تدافعين به عن نفسك .
الممثلة : إنى أرفض أن أقف موقف الاتهام .
الممثل : لقد رأيناهما متلبسين !
المخرج : يجب أن تخجل من نفسك .
الناقد : حتى إن سوء الظن أمر مخجل .

المخرج : (**للمؤلف**) تكلم يا أستاذ (**ثم للممثلة**) تكلمى أنت ، علينا أن ننتهى من سوء التفاهم ونصفيه بسرعة لنستأنف مناقشة المشروع الجديد .

الممثل : (**للمخرج**) يا للغرابة ، إنك تتكلم عن أعمق العلاقات البشرية كما لو كانت عبث أطفال ..

المخرج : (**للممثل**) لقد وجدتنى ذات يوم فى مثل موقفك ، وكانت حيال خيانة حقيقية لا مجرد سوء تفاهم برىء ، وكان غريمى وقتذاك صديقنا الناقد ، كيف تصرفت ؟، كظمت غضبى وواصلت تدريباتى للمسرحية الجديدة .

الممثل : أنت جبان .

المخرج : أنت حيوان .

(الممثل يوجه لكمة لرأس المخرج . المخرج يترنح واضعا يده على موضع الضربة . يمضى إلى الكنبة ويرتمى عليها . يسند رأسه إلى مسندها ويمد ساقيه فى إعياء .

الممثلة تثور وتلطم الممثل على خده فيعميه الغضب ويوجه لطمة إلى رأسها فتقع إلى جانب المخرج . الناقد يسرع إلى إجلاسها ، ويهجم على الممثل . يتبادلان الضرب حتى يسقطا متتابعين . يقومان مترنحين ويلوذ كل منهما بمقعد حول الكنبة .

الأربعة جالسون متقاربين وفى حالة إعياء شديد تقارب الإغماء . وطيلة الوقت لزم المؤلف موقفه وهو يراقب ما يحدث ببرود)

(صمت)

(يفتح الباب فيدخل السكرتير ، يتجه نحو المؤلف دون أن ينتبه إلى الآخرين)

السكرتير : مندوب مجلة إيزيس .

(يدخل مندوب المجلة . السكرتير يغادر الحجرة .
المندوب يمضي إلى المؤلف فيصافحه . يتحول إلى الجالسين ولكنه يتوقف في ذهول . يردد بصره بينهم وبين المؤلف . يتراجع إلى قريب من المؤلف)

المندوب : آسف على مجيئي دون موعد سابق .

المؤلف : إنها مفاجأة ولكنها سارة .

المندوب : (**مشيرا إلى الجالسين**) ماذا حصل لهم ؟

المؤلف : فرغوا لتوهم من تدريبات الرواية الجديدة .

المندوب : حقا !.. مجرد تدريبات ؟!

المؤلف : مجرد تدريبات .

المندوب : إنها رواية عنيفة فيما أرى ؟

المؤلف : لا تخلو من عنف .

المندوب : إني أرى آثار كدمات : وألمس إعياء واضحا على وجوههم ، كأنما هي رواية من روايات رعاة البقر !

المؤلف : لا تخلو من حيوانات .

المندوب : حتى فنانتنا الكبيرة تطرح رأسها في شبه إغماء ، أنه لأمر غير معقول .

المؤلف : لا تخلو من جنون .

المندوب : إن عرض مسرحية بذاك العنف شهورا متواصلة يجب أن يعد معجزة !

المؤلف : وهي لا تخلو من معجزات .

المندوب : (**مشيرا إلى الممثلة**) هل أصيبت وهي تدافع عن شرفها ؟

المؤلف : أصبيت وهى تدافع عن شرف البطل .

المندوب : ولكن المعتاد أن البطل يذود عن شرف الآخرين بالإضافة إلى شرفه هو ؟

المؤلف : هى لا تخلو من طرافة وجدة !

المندوب : لعل المسرحية تميل إلى التشاؤم ؟

المؤلف : لا تخلو من تشاؤم .

المندوب : ولكن موقف البطلة بدعو للتفاؤل فيما أعتقد ؟

المؤلف : لا يخلو من تفاؤل .

المندوب : كيف تجمع مسرحية بين التشاؤم والتفاؤل وهما نقيضان ؟

المؤلف : لا تخلو من تناقض .

المندوب : معذرة يا عميد المؤلفين ألا يعتبر ذلك ضعفا ؟

المؤلف : لا تخلو من ضعف .

المندوب : ولِم لَم تبلغ بها الكمال المعهود منك ؟

المؤلف : الكمال للموت وحده .

(المندوب يضحك عاليا . ثم يعقب ذلك صمت)

المندوب : جميع المسارح تتساءل عن عرضكم القادم ، وقد بلغت المنافسة بينها ذروة المرارة ، المؤامرات تدبر فى الظلام ، المرتزقة يستأجرون لإحداث الشغب ، ألا يمكن أن يسود السلام بين المسارح ؟ (**صمت**) كثيرون من العقلاء يعقدون عليك الآمال بوصفك عميد المؤلفين لتقوم بخطوة حاسمة فى هذا السبيل ؟

المؤلف : لا وقت عندى إلا للعمل .

المندوب : هلا كرست لذلك يوم راحتك الأسبوعى ؟

المؤلف : يوم الراحة للراحة .

(تحت المظلة)

المندوب : إنهم يحلمون بأن تجمع المسارح فى وحدة متعاونة يسودها السلام الذى يسود مسرحك !!

المؤلف : لن أجد فى سنى هذه من يمكنه التفاهم معى ..

(المندوب يبتسم وهو يشد على ذراع المؤلف إعجابا وتقديرا)

المندوب : أعلم أنك لا تحب الحديث عن رواية جديدة قبل عرضها ولكن لدى بعض أسئلة تقليدية يتابعها الجمهور عادة بشغف . **(المؤلف يهز رأسه بالموافقة صامتا)** كم من الوقت استغرقت فى كتابتها ؟

المؤلف : **(حاسرا كم الجاكتة عن معصمه اليسرى)** أنا لا أستعمل الساعات .

المندوب : مم استلهمت فكرتها العامة ؟

المؤلف : شرعت فى كتابتها عقب تفكير طويل فى المغص .

المندوب : **(ضاحكا)** هل يمكن إرجاعها إلى تجربة شخصية مرت بك فى حياتك العامرة ؟

المؤلف : ربما أمكن إرجاعها إلى علاقة قديمة قد قامت بينى وبين مطرب أخرس .

المندوب : مطرب أخرس ؟

المؤلف : نعم .

المندوب : وكيف أمكنك معرفة تطريبه ؟

المؤلف : هذا ما ستجيب عنه المسرحية .

(المندوب يضحك عاليا . يصافح المؤلف . يذهب . المؤلف يلقى نظرة على الجالسين . يسوى ربطة عنقه ومنديل جيب الصدر تأهبا للذهاب .

الممثلة تنظر نحوه . تقاوم ضعفها فتعتدل فى جلستها)

الممثلة : انتظر . (**تدلك رأسها . تقوم بصعوبة . تمضى إلى أقرب المقعدين المتقابلين أمام المكتب لتعتمد عليه**) متى نجتمع لنقرأ النص الجديد ؟ (**صمت**) لا تهجرنا . (**صمت**) لقد وعدت بألا تهجرنا . (**صمت**) (**مشيرة إلى الجالسين**) ما وقع بيننا ليس الأول من نوعه ولن يكون الأخير . (**صمت**) سوف تعود المياه إلى مجاريها . (**صمت**) (**مشيرة إلى الممثل**) سيكون أول من يعتذر ، إنى خير من يعرفه . (**صمت**) (**يتبادلان نظرة طويلة . هى متطلعة فى لهفة وهو لا ينم وجهه عن شىء . فيتصافحان ثم يمضى على مهل إلى الخارج ويرد الباب وراءه . الممثلة تتابعه بعينيها ثم تظل رانية إلى الباب**)

المهمّة



(بقعة صحراوية خالية . تقوم فى وسطها هضبة صخرية .
أمام الهضبة يتمشى شاب جيئة وذهابا وهو ينظر فى ساعته من آن لآن . الوقت أصيل . الشاب أنيق بدرجة ملحوظة . والجو يوحي بأنه ينتظر موعدا غراميا .

يترامى من الخارج وقع أقدام ثقيلة . الشاب يرهف السمع فى قلق ، وباقتراب الأقدام يتجهم وجهه ويتوقف عن المشى فيلزم مكانه أمام الهضبة .

يدخل رجل فى الخمسين ، مهمل الهندام ، ولكنه قوى البنية يلقى على الشاب نظرة عابرة ثم يمضى إلى يسار الهضبة فيقف متطلعا إلى الخلاء .

الشاب ينظر صوب الرجل مقطبا ولكن الآخر يبدو وكأنه لا يشعر له بوجود . يقترب منه خطوة) .

الشاب : (**مخاطبا الرجل بصوت مرتفع لا يخلو من تحد وغضب**) ماذا تريد ؟ (**يظل الرجل رانيا إلى الخلاء كأنما يسمع صوتا**) (**بصوت أشد ارتفاعا**) إنى أسألك عما تريد . (**الرجل يبدو مستغرقا فى الأفق ، ويترنم مغنيا**) والله زمان زمان والله .. (**بحدة حانقة**) لماذا تتبعنى ؟ (**الرجل يواصل ترنمه فى هيمان**) إننى أخاطبك وأنت تعلم ذلك ، لا أحد سوانا فى هذا الخلاء .

الرجل : (**ملتفتا فى دهشة**) حضرتك تخاطبنى ؟

الشاب : دون سواك .

الرجل : معذرة ، ماذا قلت ؟

الشاب : إنى أسألك عما تريد منى .

الرجل : (**متظاهرا بالدهشة**) أنا ؟!

الشاب : أنت ، أنت دون سواك .

الرجل : عجيب سؤالك يا سيدى ، أنا لا أريد منك أى شيء .

الشاب : لم إذن تتبعنى بإصرار ؟

الرجل : أتبعك ، إنى أراك لأول مرة فى حياتى !

الشاب : (**بعناد**) إنك تتبعنى منذ الصباح الباكر ، و لم تكف عن تتبعى حتى هذه اللحظة من الأصيل .

الرجل : أنت مخطىء فى ظنك فأنا لم أرك وبالتالى لم أتبعك .

الشاب : لم أذهب إلى مكان إلا رأيتك قادما فى أثرى .

الرجل : لا يحق لى أن أكذبك ولكننى لم أرك و لم أتبعك .

الشاب : (**بنبرة لا تخلو من تهكم**) أهى مجرد مصادفة ؟

الرجل : سمها كيفما شئت .

(صمت . يعود الرجل إلى النظر صوب الأفق أما الشاب فلا يبرح مكانه ولا يكف عن النظر إليه) .

الشاب : هل تتفضل بإخبارى عن الجهة التى تنوى الذهاب إليها بعد هذه الوقفة ؟

الرجل : (**ملتفتا نحوه فى دهشة**) بأى حق تسألنى هذا السؤال الغريب !

الشاب : معذرة ، أود التخلص من فكرة اتباعك لى .

الرجل : أنا لا أعرفك ، لم أتبعك ، وفى هذا الكفاية .

الشاب : ألم توجد فى ميدان القلعة صباحا ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم تتناول فطورك فى مطعم .. تلافل .. بشارع محمد على ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى مقهى الشمس ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم تقم بزيارة قصيرة لدار الآثار ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم تشهد مزادا بصالة المعروضات بالدق ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى عيادة الدكتور عرنوسى طبيب الأسنان ؟

الرجل : بلى .

الشاب : ألم ..

الرجل : (**مقاطعا**) أكنت تتبعنى يا سيدى ؟

الشاب : (**ضاحكا ضحكة جافة**) أنا ؟!

الرجل : أليس من الغريب أن تعرف تحركاتى طيلة اليوم بهذه الدقة ؟!

الشاب : ولكنك كنت ، لا مؤاخذة ، كأنك كنت تتبعنى !

الرجل : لقد شغلت نفسك بى أكثر مما يتصور .

الشاب : فى كل مكان رأيتك قادما فى أثرى ، حتى فى هذه المنطقة النائية الخالية !

الرجل : عجيب أننى لم أرك ولا مرة واحدة .

الشاب : الحق أن عينينا التقتا أكثر من مرة .

الرجل : لا يرى الإنسان جميع ما تقع عليه عيناه من أشياء .

الشاب : إذن فأنت لا تتبعنى ؟

الرجل : و لم أتبعك ؟

الشاب : لعلك تعذرنى .

الرجل : لك العذر .

الشاب : مصادفة عجيبة .

الرجل : هى بالقياس إلى لا شىء . (**الشاب يضحك ضحكة عصبية ثم يسود الصمت . وعندما يهم الشاب بالابتعاد يتكلم الرجل**) آسف جدا لأنى أزعجتك بغير قصد .

الشاب : أن تصدق أن شخصا ما يتبعك أمر مزعج حقا .

الرجل : ليس فى جميع الأحوال .

الشاب : أعنى إذا كنت تجهله وتجهل مقصده بالتالى .

الرجل : ولكنك شاب مهذب برىء الساحة .

الشاب : لا يكفى هذا لإسكات وساوسك ما دمت تجهله وتجهل مقصده .

الرجل : (**باسما**) أيهما أبعث على الخوف .. المجهول أم المعروف ؟

الشاب : الأمر يتوقف على السبب وعلاقته بنا .

الرجل : الحق أننا نخاف أكثر مما ينبغى . (**الشاب يصمت متجهما**) أكرر الأسف .

الشاب : (**بعصبية**) الحق أنك أفسدت علىّ يومى كله .

الرجل : عجيب أن نرتكب جريمة ونحن لا ندرى .

الشاب : وجئت إلى هذه البقعة الخالية النائية لأكتشفك وأحرجك !

الرجل : لعل مجيئى يقطع ببراءتى .

الشاب : ترى ما الذى دعاك إلى المجىء إلى هنا ؟

الرجل : إنها أحد الأماكن المختارة التى أشهد فيها الغروب .

الشاب : أتحب الغروب ؟

الرجل : إنه أحب ساعات اليوم إلى نفسى .

الشاب : ألم يزعجك أن تجدنى هنا ؟

الرجل : أنا أحب الناس .

الشاب : (**بعد تردد واضح**) هلا أخبرتنى عن خطواتك التالية ؟

الرجل : أما زلت على ريب منى ؟

الشاب : كلا ، ولكنى أود أن أمتحن دهاء المصادفة .

الرجل : الواقع أنى سرت طيلة اليوم على غير هدى وبلا خطة موضوعة ، إنه يوم عطلتى .

الشاب : لا بد من فكرة تقودك فى يوم عطلتك .

الرجل : من طول خضوعى للتخطيط على مدى الأسبوع فإنى أتحرر يوم العطلة من أى قيد .

الشاب : أما أنا فسأبقى هنا بعض الوقت ثم أذهب إلى حانبة « الأحمر والأبيض » .

الرجل : (**بحماس مفاجئ**) حانة النبيذ الفاخر والسلطة الخضراء !.. ما أجملها !

الشاب : هل تقرر الذهاب إليها ؟

الرجل : أعترف بأنك ذكرتنى بمكان أحب الجلوس فيه !

الشاب : وبعد ذلك سأمضى إلى بيتى !

الرجل : من يدرى ، ربما توثقت العلاقة بيننا فى « الأحمر والأبيض » فنمضى إلى البيت معا .

(يضحكان معا ، ثم يسود الصمت . يلتفت الشاب إلى الناحية الأخرى فيعود الرجل إلى التطلع صوب الأفق . الشاب يتمشى غير خال من القلق . يختلس إلى ظهر الرجل النظرات ، ينظر فى ساعته ، يتضاعف قلقه . تدخل فتاة جميلة متأنقة . ما إن ترى الشاب حتى تهرع نحوه متهللة ولكنها تنتبه إلى وجود رجل غريب فتتمالك مشاعرها وتلوح فى وجهها خيبة . الشاب يمضى بها إلى يمين الهضبة . يتبادلان قبلة)

الشاب : لسنا وحدنا .

الفتاة : ماذا يفعل ؟

الشاب : ينتظر الغروب !

الفتاة : الغروب ؟!

الشاب : (**متهكما**) أحب ساعات اليوم إليه .

الفتاة : هل تعرفه ؟

الشاب : كلا .

الفتاة : هل حادثته ؟

الشاب : نعم .

الفتاة : لم ؟

الشاب : الواقع أنه لم يفارقنى منذ الصباح الباكر .

الفتاة : (**بدهشة**) كيف ؟

الشاب : ظننته يتبعنى .

الفتاة : ما دام لم يفارقك طوال اليوم .

الشاب : ولكنه أكد لى أنه لم يرنى .

الفتاة : وهل صدقته ؟

الشاب : لم أكذبه .

الفتاة : ألا ترى أنه يحسن بنا أن نذهب ؟

الشاب : إنى ضنين باللقاء .

الفتاة : ولكن قلبى غير مطمئن .

الشاب : لعله ينتظر صديقة .

الفتاة : ليتها تجيء لتحل المشكلة من أساسها . (**يتبادلان قبلة طويلة**) (**مشيرة إلى الناحية الأخرى من الهضبة**) لم يفارقك طوال اليوم ؟

الشاب : بلى .

الفتاة : لنذهب .

الشاب : لماذا يتبعنى ؟

الفتاة : (**بقلق واضح**) ترى هل يتعلق الأمر بى ؟

الشاب : هل سبق لك أن رأيته ؟

الفتاة : لا لم ألمح إلا ظهره ، وبسرعة عابرة ، لم يذكرنى بأحد أعرفه .

الشاب : لا داعى لكثرة الظنون .

الفتاة : أرى أنه يحسن بنا أن نذهب .

الشاب : لننتظر فإنى ضنين باللقاء .

الفتاة : أعترف بأننى بت أكرهه بقدر ما أخافه .

الشاب : كيف تخافينه وأنت لم ترى إلا ظهره !

الفتاة : إنه ذو قصة مريبة تدعو للانزعاج .

الشاب : بوسعنا أن ننساه تماما ونعبث بنواياه .

الفتاة : نواياه ؟!

الشاب : أعنى إن كان ثمة نوايا يضمرها حقا .

الفتاة : ولكن كيف ؟

الشاب : (**وهو يجذبها نحو صدره**) هكذا .

(يتعانقان وهما يتبادلان قبلة طويلة . يواصلان العناق والقبل كأنما قد نسيا الآخر تماما . فى أثناء ذلك يجلس الآخر على الأرض كأنما أتعبته الوقفة ، يمد ساقيه ويسند رأسه إلى حافة المصبة . صوت غراب ينعق . الشاب والفتاة يفيقان من سكرة الحب . يتبادلان النظر فى دهشة)

الفتاة : كم مضى من الوقت ؟

الشاب : لا أدرى ، ولن أنظر فى الساعة فما أحب أن أكدر صفونا بالزمن .

الفتاة : (**مشيرة إلى الناحية الأخرى**) ترى هل ذهب ؟

الشاب : سيان عندى أن يذهب أو أن يبقى . لا يند عنه صوت . لعله مات .
(**صمت يتخلله تبادل قبل**) من الحماقة أن أخافه .

الفتاة : ولكنك تجهله .

الشاب : هو على أى حال كهل وبوسعى أن أصرعه بلكمة واحدة .

الفتاة : ولكني وجدتك قلقا لدى حضورى .

الشاب : لم أكن أفقت من فكرة مطاردته لى .

الفتاة : لعله .. (**وقبل أن تتم كلامها يترامى إليهما شخير منتظم من ناحية الرجل . يتبادلان نظرة ذاهلة**) نام ؟

الشاب : لعله شخير رجل آخر .

(**الشاب يمضى فى حذر شديد نحو الرجل . تتبعه الفتاة . يلقيان عليه نظرة داهشة . الرجل يستيقظ لدى وقوع نظرتهما عليه كأنما رمى بطوبة . ينهض بسرعة ويحدق فيهما بانزعاج وتحد معا**)

الرجل : (**متجهما**) من أنتما ؟.. ماذا تبغيان ؟

الشاب : لا مؤاخذة لم نقصد إزعاجك .

الرجل : (**مستعيدا تذكره وهدوءه**) آه .. أنت .. (**صمت وارتباك والرجل يردد بصره بينهما**) (**باسما**) وقعت أحداث جديدة فى أثناء غفوتى !

الشاب : أى أحداث ؟

الرجل : (**ناظرا إلى الفتاة**) كنت وحدك فيما أذكر !

الشاب : ثم لحقت بى خطيبتى !

الرجل : (**مبديا دهشة سمجة**) خطيبتك !

الشاب : (**بحدة**) نعم خطيئتى !

الرجل : (**بقحة**) وكيف تجىء بخطيئتك إلى هذه البقعة النائية المهجورة ؟

الشاب : (**غاضبا**) بأى حق تحاسبنى على ما أفعل ؟

الرجل : (**متراجعا**) معذرة . لم أسترد تفكيرى السليم بعد .: (**يهم الفتى والفتاة بالذهاب ولكن الرجل يسارع باعتراض سبيلهما**) متى نذهب إلى حانة « الأحمر والأبيض » ؟

الشاب : نذهب ؟

الرجل : ألم تتفق على ذلك ؟

الشاب : كلا .. قلت لك إنى ذاهب لا إننا ذاهبان ، وقد عدلت عن قرارى .

الرجل : يا للخسارة !

الشاب : اذهب أنت إذا شئت ..

الرجل : لعلك ضحكت على حين كنت تنتظر خطيبتك ؟

الشاب : لا داعى للأخذ والرد .

الرجل : إذن فلم تقصد هذا المكان لتحرجنى كما قلت ؟

الشاب : لننه حديثا لا جدوى منه .

الرجل : ولكننا وصلنا فى الحديث إلى حافة الصداقة .

الشاب : لندع ذلك إلى فرصة أخرى .

الرجل : (**راجعا إلى مكانه الأول**) أتمنى لكما وقتا طيبا .

(**الرجل يعود إلى موقفه الأول ليرنو من جديد إلى الأفق . يعود الشاب بالفتاة إلى موقفهما إلى يمين الهضبة**) .

الشاب : ها قد عدنا إلى الجنة .

الفتاة : ليتنا لم نغادرها .

الشاب : لعنة الله على الفضول .

الفتاة : دعنى أذهب ..

(يضمها إلى صدره ويقبلها فتستسلم دون استجابة)

الشاب : ابتسمى .

الفتاة : يا له من رجل كريه .

الشاب : لنلق به فى النسيان .

(يتعانقان حتى يغيبا عن الوجود . فى أثناء ذلك يتسلل الرجل من موقفه حتى يقف قبالتهما ويبدو سعيدا بمشاهدتهما . ينتبهان إليه . ينفصلان فى ارتباك وانزعاج . الشاب يرميه بنظرة غاضبة)

الرجل : ما أجمل هذا .

الشاب : وقاحة .

الرجل : استمرا فى لعبكما الظريف .

الشاب : (**محتدا**) ماذا جاء بك ؟

الرجل : بالله لا تغضب .

الشاب : وقح .

الرجل : إنك لا تقدر وقع كلمة قاسية على رجل يحب الناس .

الشاب : ماذا جاء بك ؟

الرجل : أحب أن أرى الأشياء الظريفة .

الشاب : احذر أن تدفع ثمن قحتك .

الرجل : لقد تسللتما لتلتقيا على نظرة وأنا نائم وها أنا أرد التحية .

الفتاة : (**وهى تهم بالذهاب فيمسك الشاب بها**) إنى ذاهبة .

الرجل : (**للفتاة**) لا تذهبى ، لم أقصد إزعاجك .

الشاب : هذا سلوك غير لائق .

الرجل : بل هو طبيعى وجميل .

الشاب : اذهب .

الرجل : ألا ترى أنى أعرض مودتى بغير حساب ؟

الشاب : اذهب وإلا ..

الرجل : يجدر بك ألا تهددنى .

الشاب : سأفعل أكثر من التهديد .

الرجل : كلا ، لا تدفعنا إلى عواقب غير محمودة .

الشاب : لك .

الرجل : ولك أيضا .

الشاب : لا تحملنى على تأديبك وأنت فى سن أب .

الرجل : لا تغتر بفوارق السن .

الفتاة : دعنى أذهب .

الرجل : (**للفتاة**) محال أن تكدرى صفوك بسببى .

الفتاة : إذن فابتعد عنا .

الرجل : إنها فرصة نادرة لمشاهدة الحب .

الشاب : أنت مجنون ؟

الرجل : أنا رجل يحب مشاهدة الطرائف ، جرب ذلك بنفسك إذا شئت .

الشاب : ماذا تعنى ؟

الرجل : (**حانيا رأسه بأدب**) دعنى أحل محلك وتفضل بمشاهدتنا أنت لتحكم بنفسك .

(الفتاة تلطمه . الرجل يتلقى اللطمة باسما)

(صمت)

الفتاة : (**هامسة للشاب**) دعنى أذهب .

الشاب : (**بعناد وكبرياء**) كلا .



الفتاة : بل يجب أن أذهب فى الحال .

الشاب : (**بإصرار**) لن تذهبى ..

(الرجل يبتعد خطوات ، يتحسس خده مكان اللطمة وهو ما يزال يبتسم)

الرجل : (**مخاطبا الخلاء**) بنوايا طيبة أسير ، ولكنى أتلقى اللطمات ، وكلمات أقسى من اللطمات ، لماذا ؟، لماذا يصر الناس على الوهم والحماقة ؟، لم لا يقفون على أرض الواقع ؟، كيف لا يفرقون بين العدو والصديق ؟

الفتاة : (**للشاب**) لا تكن عنيدا .

الشاب : لن تذهبى ..

الفتاة : لا فائدة .. .

الشاب : ولكنك لن تذهبى .

الرجل : (**مستمرا فى مخاطبة الخلاء**) المتعلم والأمى فى الجهالة سواء ، لم يسيئون الظن بى ؟، ماذا عليهم لو استمروا فى لهوهم أمام وجودى البرىء ؟، أحب مشاهدة الأفراح ، ولا عدو لى إلا الحماقة والأنانية ..

الفتاة : (**للشاب**) إنه مجنون .

الشاب : ليكن .

الفتاة : إنى خائفة .

الشاب : لست عاجزا عن حمايتك .

الرجل : (**مخاطبا الخلاء أيضا**) يخلقون المتاعب من لا شىء ثم يلقون بها فى وجهى ، أهيم على وجهى باحثا عن أشياء ثمينة فلا ألقى إلا الصد ، الخلاء يشهد بأننى ذو شأن ولكن اللعنة على الحماقة ..

الفتاة : إنه مجنون ، لن أبقى دقيقة أخرى . (**الفتاة تمضى نحو الخارج . الشاب يلحق بها فيمسك بيدها**) لا بد من ذهابى .

الشاب : ولكن ..

الفتاة : لا تكرهنى على البقاء .

الشاب : إذن فلأوصلك .

الفتاة : (**مانعة إياه بيدها**) ابق هنا حتى لا يتبعنا .

(**يتصافحان . تغادر المكان . الشاب يتبعها عينيه الرجل يقترب منه ولكنه يتجاهله**)

الرجل : أقدم لك اعتذارى بقلب ملؤه الأسف . (**الشاب يصر على تجاهله**) أى نحس يفسد على مطالبى البريئة ؟! (**الشاب يمشى والرجل يتبعه كظله**) أكرر الأسف من كل قلبى .

الشاب : (**متوقفا عن المشى فى مواجهته**) ألا تخجل من نفسك ؟

الرجل : انظر إلى جزاء من يسعى إلى حب الناس !

الشاب : أتسخر منى ؟

الرجل : صدقنى فيما أقول ، بيد أنى رجل سيىء الحظ .

الشاب : لقد ضيعت على ثمرة يومى المرهق الطويل بلا حياء .

الرجل : أنا ؟

الشاب : دون غيرك .

الرجل : كلما سعيت إلى إنسان بقلب مفتوح رميت بهذه التهمة .

الشاب : يخيل إلى أنك ذو تاريخ قديم فى النحس .

الرجل : لا ذنب لى على الإطلاق . (**الشاب يغادره إلى يسار الهضبة فيتبعه على الأثر**)

الرجل : أود أن تؤمن ببراءتى .

الشاب : أمن الضرورى أن تلاحقنى لتحدثنى عن نحسك ؟

الرجل : فرصة طيبة للحديث والتعارف . (**الشاب يقطب ثم يسود صمت**) افتح لى صدرك .

الشاب : أكنت تتبعنى منذ الصباح كما ظننت ؟

الرجل : (**باسما**) بصراحة نعم .

الشاب : إذن كذبت على ؟

الرجل : بسبب نحسى المزمن أصبح الكذب وسيلتى المفضلة للدفاع عن النفس .

الشاب : أكنت تعرفنى ؟

الرجل : كلا .

الشاب : لم تبعتنى ؟

الرجل : إنى أهيم على وجهى من مطلع الصبح فأتبع أول من يصادفنى .

الشاب : أيا كان ؟

الرجل : أيا كان .

الشاب : كل يوم ؟

الرجل : كل يوم .

الشاب : أليس لك عمل فى الحياة ؟

الرجل : ليس لى عمل .

الشاب : ثرى ؟

الرجل : موفور الإيراد .

الشاب : ما قصدك من مطاردتى ؟

الرجل : أتصيد لحظة للتعارف .

الشاب : أليس لك أصدقاء ؟

(صمت)

الرجل : وآمل من وراء التعارف أن أحطم أسطورة النحس !

الشاب : **(ضاحكا ضحكة مكفهرة)** الآن وقفت على سر الحظ العاثر الذى لازمنى طيلة يومى .

الرجل : لا تكن كالآخرين .

الشاب : فى ميدان القلعة زلت قدمى فوقعت على ركبتى .

الرجل : **(باسما)** كنت تنظر إلى امرأة فى نافذة !

الشاب : وفى المطعم شرقت حتى قذفت بما فى معدتى .

الرجل : كنت تأكل بسرعة كأنك فى سباق !

الشاب : وفى مقهى الشمس خسرت نقودى .

الرجل : كنت تبلف باستمرار حتى كشف ورقك .

الشاب : وفى دار الآثار وقعت على ركبتى المصابة للمرة الثانية .

الرجل : كنت شارد اللب وتحادث نفسك .

الشاب : وأخيرا أفسدت على أجمل ثمرة فى يومى .

الرجل : ألم توقظنى من النوم بنفسك ؟

(الشاب يعاود ضحكته المكفهرة ثم يسود الصمت)

الشاب : أليس لك أصدقاء ؟

الرجل : **(متنهدا)** كلا .

الشاب : ألست رب أسرة ؟

الرجل : جربت حظى مرات ولكننى لم أوفق !

الشاب : **(يضحك رغما عنه)** لا مؤاخذة .

الرجل : العفو .

الشاب : أظن آن لى أن أذهب .

الرجل : (**يتوسل**) كلا .

الشاب : ليس ثمة ما يدعونى إلى البقاء .

الرجل : فلنشهد الغروب معا .

الشاب : لا أحب الغروب .

الرجل : ثم نذهب إلى حانة « الأحمر والأبيض »

الشاب : لن أذهب .

الرجل : إذا كنت مفلسا فلا يهمك .

الشاب : لن أذهب .

الرجل : تكره مرافقتى ؟

الشاب : نعم .

الرجل : لا تجعل للخرافة سيطرة عليك .

الشاب : (**محتدا**) إنك وراء ما فقدت من صحة ومال وحب !

الرجل : أقلع عن الخرافات .

الشاب : أقلع أنت عن نحسك .

الرجل : أتوسل إليك أن تبقى ولو حتى ساعدة الغروب فحسب .

الشاب : وداعا .

(الشاب يمضى صوب الخارج بعزم وصرامة . الآخر ينظر إليه بأسف . عند منتصف المسافة يتوقف الشاب فجأة ويعلو صوته بالتأوه ثم ينحنى قابضا بيديه على ركبته . الرجل يلحق به متسائلا)

الرجل : مالك ؟

الشاب : ركبتى !

الرجل : مد ساقك ، دلكها .

الشاب : نار .. نار موقدة ..

(يثب راجعا على قدمه الأخرى حتى يجلس فى أسفل الهضبة . يمد ساقه السليمة ويثنى الأخرى ثم يتأوه من الأعماق) .

الرجل : ماذا حدث ؟.. كنت فى غاية الصحة ..

الشاب : الحق أنها لم تعد إلى حالتها الطبيعية أبدا ..

الرجل : لكنك لم تشك طيلة الوقت .

الشاب : كان يعاودنى ألم خفيف فظننته عابرا .

الرجل : حالة طارئة لا تلبث أن تزول .

الشاب : لعل وعسى .

الرجل : من المفيد أن تدلكها .

الشاب : لا أستطيع لمسها ..

الرجل : حال بسيطة فيما أعتقد .

الشاب : (**متأوها**) قلبى يحدثنى بأن الأمر أخطر مما تتصور .

الرجل : لا تعتمد كثيرا على حديث قلبك .

الشاب : صدقنى فإن الحال خطيرة حقا .

الرجل : أرجو أن تكون واهما ..

الشاب : أريد إسعافا عاجلا ..

الرجل : سأذهب لاستدعاء الإسعاف .

الشاب : وتعود بسرعة من فضلك !

الرجل : لا أظن فإن أقرب تليفون يقع على مسيرة غير قصيرة .

الشاب : (**بقلق**) لا تتركنى وحدى طويلا .

الرجل : ماذا تخاف ؟

الشاب : المساء قريب ، وهذه بقعة غير مأمونة لإنسان عاجز .

الرجل : وما الحل ؟

الشاب : هل يمكن أن أسير معتمدا عليك ؟

الرجل : سأضطر إلى حملك وهو ما أعجز عنه ، جرب أن تسير على مهل .

الشاب : الحال أخطر مما تتصور .

الرجل : لا بد من حل وبخاصة أننى لن أبقى بعد الغروب !

الشاب : ولكنك لن تتركنى وحدى !

الجل : أخشى أن أضطر إلى ذلك إذا لم تسعفنى بحل .

(صمت وتأوه)

الشاب : ولكنك لن تفعل ذلك .

الرجل : لا يمكن أن أبقى هنا إلى ما شاء الله ولكنى سأتلفن للإسعاف فى طريق العودة . **(الشاب يرمقه بنظرة صامتة متأملة)** سأفعل من أجلك ما لا تنتظره من رجل لا تعرفه ولا يعرفك .

الشاب : **(بحياء)** حدثتنى عن رغبتك فى الصداقة وأمامك فرصة لربطنا برباط المودة إلى الأبد .

الرجل : **(بشىء من الجفاء)** ولكنك رفضت يدى !

الشاب : اغفر لى غضبى الأحمق !

الرجل : الحق أنك كرهتنى طوال الوقت .

الشاب : الإنسان عدو ما يجهله ولكنى سأعرفك من خلال سلوكك النبيل .

الرجل : **(بنبرة لم يعد بها أثر من الرقة القديمة)** لا أقبل اصطياد صداقة تحت وطأة ظروف قاهرة .

الشاب : **(بضراعة)** ولكنك إنسان كبير القلب .

الرجل : أول كلمة طيبة أسمعها منك .

(صمت)

الشاب : ماذا تنوى أن تفعل ؟

الرجل : سأشاهد المغيب ثم أذهب .

الشاب : وتتركنى عاجزا للخلاء والليل ؟

الرجل : لا حيلة لى فى ذلك .

الشاب : سيكون سلوكك غير إنسانى .

الرجل : لم ألق من السير وراء الناس إلا الصد والاتهام واللعنة ! (**الشاب يتأوه**) أأنا الذى خلقت النحس حقا ؟ (**الشاب يتأوه**) كيف تعاملون الترب ؟.. إنه يوارى جثثكم فى التراب ، يصون كرامتكم ، يعرض نفسه لألوان شتى من المخاطر ، ويستحق فى أحاديثكم التقليدية الجنة بغير حساب ، ولكنه لا يسعد فى حياته بصديق واحد ، ويمضى وحيدا كالوباء ..

الشاب : الوقت يمر والحال تزداد سوءا .

الرجل : كم صددتنى ، كم أهنتنى ، ولم تصدق أننى إنسان إلا بعد إصابتك وقبيل الغروب .

الشاب : يا لسوء حظى !

الرجل : ها أنت تعود إلى اتهامى .

الشاب : لم أقصد هذا ألبتة .

الرجل : ألست النحس الذى سلبك المال والحب والصحة ؟

الشاب : سيدى !

الرجل : أين فتاتك ؟

الشاب : لا سبيل إليها الآن .

الرجل : أليست هى أولى بتمريضك منى ؟

الشاب : إنها لا تعلم بما حل بى .

الرجل : زهدت لوجودى فى وصالك نفسه .

الشاب : (**متأوها**) أريد إسعافا .

الرجل : سأتلفن للإسعاف فى طريق العودة .

الشاب : لا تتركنى .

الرجل : (**متأففا**) إنك مزعج فى مرضك كما كنت مزعجا فى صحتك .

الشاب : ألا ترى كم أنهكنى المرض ؟

الرجل : ألا ترى كم أنهكنى السير ؟

(**صمت**)

الشاب : أليس لك خبرة بالإسعافات الأولية .؟

الرجل : لا خبرة لى بشىء .

الشاب : ولكنك فى سن الحكمة والخبرة .

الرجل : أعرف كيف أسير على غير هدى ، وأعرف كيف أسير فى أعقاب إنسان أحمق ، وأعرف كيف آمل دواما فى علاقة لا تتحقق أبدا .

الشاب : (**بضراعة متأوهة**) لا تذهب .

الرجل : سأذهب عندما يجب الذهاب .

الشاب : لا تذهب .

الرجل : اعتدت أن يقال لى اذهب عندما أرغب فى البقاء وأن يقال لى لا تذهب عندما يجب الذهاب .

(**الشاب يتأوه . جو المغيب يهبط فيغطى الخلاء . الرجل يمضى إلى يسار الهضبة ليتطلع إلى الشمس الغاربة**)

الشاب : لا تبتعد عن إنسان يتألم لتشاهد شمسا تغربُ .

الرجل : صه ، لا تكدر صفو الساعة ، الساعة الفريدة ، الوحيدة التى تلمس فيها حركة الشمس ، الوحيدة التى تنظر فيها إلى الشمس

دون أن تصاب بالعمى ، الوحيدة التى يرى فيها الظلام وهو يزحف ، الوحيدة التى أسمع فيها التوسلات بدلا من اللعنات ، ها هى الشمس تختفى تماما ..

(الرجل يتحول عن موقفه متجها نحو الشاب ويرنو إليه دقيقة) .

الرجل : الوداع .

(ثم يسير على مهل نحو الخارج)

الشاب : لا تذهب . **(يواصل السير غير ملتفت إليه)** أستحلفك بالله . **(يواصل سيره)** انتظر .. انتظر .. **(الرجل يختفى)** عليك اللعنة . **(الشاب ينظر فيما حوله بخوف . الظلام يهبط رويدا رويدا حتى يختفى كل شىء ..) (تمر فترة قصيرة على تلك الحال) (ثم تترامى أضواء من وراء الهضبة . ويسمع وقع أقدام قادمة . من يمين الهضبة ومن يسارها يجىء رجلان حاملين مشعلين ، يرتدى كل منهما سروالا وصدارا أحمرين . يقفان على مبعدة من الشاب إلى اليمين وإلى اليسار ويلازمان الصمت طوال الوقت . يبدو الشاب على ضوء المشعلين مستغرقا فى النوم . ثم يتبعهما رجلان فى أردية سوداء يحمل كل منهما سوطا وحبلا معقودا . يقفان عن يمين الشاب ويساره وهما يحملقان فى وجهه . يوثقان يديه وقدميه بإحكام ثم يعودان إلى وقفتهما ممعنين فيه النظر . الشاب يفتح عينيه . ينظر إلى الأمام فى ذهول . يهم بالحركة فيدرك أنه مكبل بالحبال . ثم ينتبه إلى وجود الرجال الأربعة . يردد عينيه بينهم فى دهشة ووجل)** من أنتم ؟.. وماذا تريدون ؟

الرجل ١ : (**للرجل رقم ٢ فى تهكم**) إنه لا يعرفنا !

الرجل ٢ : (**فى تهكم أيضا**) طبعا .. إنه يرانا لأول مرة .

الرجل ١ : (**للشاب**) أليس كذلك أيها المخادع المارق !

الرجل ٢ : أنت لا تعرفنا ، هه ؟

الشاب : آسف ، لم أكن أفقت من النوم بعد .

(**يركلانه بقدميهما فيصرخ**)

الشاب : الرحمة ..

الرجل ١ : (**ضاحكا**) ابن الأبالسة يطلب الرحمة !

الشاب : لا تحكموا على بالظواهر ، أنا برىء..

الرجل ٢ : نفس الكلمات ، لا جديد ، نفس الأكاذيب العفنة !

الشاب : كنت دائما حسن النية ولكن الزمن عنيد .

الرجل ١ : الزمن ، الزمن ، ذلك المتهم الوهمى .

الشاب : الرحمة .

الرجل ٢ : الرحمة ؟!

الشاب : العدل .

الرجل ١ : لا يدرى ماذا يطلب .

الشاب : الرحمة والعدل .

الرجل ٢ : قلت الرحمة ثم العدل فماذا تطلب الرحمة أم العدل ؟

الشاب : الرحمة والعدل .

الرجل ١ : لا تكن طماعا .

الرجل ٢ : نحن لا نعطى عادة إلا الموت .

الرجل ١ : والرحمة والعدل لا يجتمعان .

الشاب : ولِم لا يجتمعان ؟

(يركلانه مرة ثانية فيصرخ)

الرجل ١ : هذا التأديب عدل لأنك تستحقه فكيف يمكن أن تعامل بالرحمة فى الوقت نفسه ؟!

الرجل ٢ : حدد أفكارك عما تريد ، العدل أم الرحمة ؟

الرجل ١ : (بحدة) العدل أم الرحمة ؟

الشاب : الرحمة ، لعل الرحمة هى ما أريد ..

الرجل ١ : ألست على يقين مما تريد ؟

الشاب : لست على يقين من شيء ، لقد أنهكنى التعب .

الرجل ٢ : ألم تبدد الوقت بغير حساب ؟

الشاب : يلزمني شيء من الراحة لأحسن الإجابة ، فكوا قيودى لأحظى ببعض الحرية .

الرجل ١ : (ضاحكا) ها هو ينادى بالحرية كمطلب جديد !

الرجل ٢ : الحرية بعد العدل والرحمة !

الشاب : أليست جميعها أخوات لا يفترقن ؟

الرجل ١ : ابن الأبالسة عقد بينها أواصر القربى ليطالب بالدنيا والآخرة !

الرجل ٢ : استمر فى الطلب إلى غير نهاية ، وبلا حياء ، ماذا تريد أيضا ؟، ثورة ؟، صحة ؟، جاه ؟، ما رأيك فى الحب ؟، الذرية ؟، طاقية الاختفاء ؟، جناحين للطيران ؟، هرمونات لتجديد الشباب ؟، مهضمات ومليّنات ومسهلات ؟، فاتحات شهية ؟، جواز سفر إلى جميع البلدان ؟، ماذا تريد أيضا ؟

الشاب : بعض الرفق ، نحن إخوة !

الرجل ١ : إخوة !، من ناحية الأب أم من ناحية الأم ؟

الشاب : أعنى أننا جميعا بشر .

الرجل ١ : تريد أن تستغلنا باسم البشرية ، هه ؟، ولأنك تتكون من نفس العناصر التى يتكون منها الكون فسوف تحاول استغفال الكون كله ، ماذا تريد أيضا ؟

الشاب : إنى متألم فكوا قيودى

الرجل ٢ : تريد الحرية ؟

الرجل ١ : إن كنت تريد الحرية فاختر بنفسك الوسيلة التى تقتلك بها .

الشاب : لا تسخروا منى ، لا تعارض يا سادة بين الحرية والعدل والرحمة !

الرجل ١ : كذبت ، كل واحدة منها تستورد من بلد غير البلد التى تستورد منه الأخرى .

الرجل ٢ : ويؤدى ثمنها الباهظ بالعملة الصعبة .

الشاب : إنى متألم لحد العجز .

الرجل ١ : الحرية أم العدل أم الرحمة ؟

الرجل ٢ : نريد جوابا صريحا غير متردد .

الرجل ١ : جواب صريح لا رجعة فيه .

الرجل ٢ : إن أردت الرحمة قتلناك بلا تحقيق ، وإن أردت العدل قتلناك بعد تحقيق ، وإن أردت الحرية فاقتل نفسك بالوسيلة التى تفضلها !

الرجل ١ : ماذا تريد ؟، تكلم بوضوح وصراحة ، العدل أم هرمونات تجديد الشباب ؟، الرحمة أم جواز سفر إلى جميع البلدان ؟، الحرية أم أملاح الفواكه الفوارة ؟، ما طريقة القتل المفضلة لديك ؟، ألك وصية بما يتعلق بجثتك ؟.. أترغب فى دفنها ؟، فى حرقها ؟، فى تركها فى الخلاء ؟، فى شحنها إلى بلد معين ؟

الرجل ٢ : ماذا تريدنا على أن نفعل بالذرات التى يتكون منها جسدك ؟، أن نتركها للديدان ؟، أن نهبها للجمعية الطبية ؟ أن نصنع منها قنابل مدمرة ؟

الشاب : لا سبيل إلى التفاهم فيما بيننا .

(يركلانه فيصرخ)

الرجل ١ : لقد بددت وقتنا سدى ، ألهذا أرسلناك ؟

الشاب : أرسلتمونى ؟!، متى كان ذلك ؟، لم يرسلنى أحد !

الرجل ٢ : يا لك من كذاب مخادع !.

(يركلانه فيصرخ)

الرجل ١ : أحقا لم يرسلك أحد ؟

الشاب : معذرة ، ضعفت ذاكرتى من المرض والإنهاك ، معذرة .

الرجل ٢ : أم تريد أن تتنصل من المهمة التى كلفت بها ؟

الشاب : المهمة ؟!

الرجل ٢ : المهمة التى كلفت بها !

الشاب : أى مهمة ؟

الرجل ٢ : يا لك من كذاب مخادع !

(يضربه بالسوط ..الشاب يصرخ)

الرجل ١ : وإلا فلماذا أرسلناك ؟

الشاب : أنتم صادقون وأنا معذور ، الزحام هناك شديـد ، والأصوات مزعجة ، وعملى اليومى استغرق جل وقتى .

الرجل ١ : وما عملك اليومى ؟

الشاب : مدرس تاريخ .

الرجل ٢ : حدثنا عن دروسك ، ماذا فعل الإنسان القديم ؟

الشاب : اكتشف الزراعة ، صنع التقويم ، بنى الأهرام ، هزم وانهزم ..

الرجل ١ : ألم يذكرك شيء من ذلك بمهمتك ؟

الشاب : كنت مستغرقا طوال الوقت .

الرجل ١ : ألم تخطر بذاكرتك ولو كالهمس ؟

(الشاب يصمت . الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ متوجعا)

الرجل ٢ : اعترف ..

الشاب : اللعنة على ذاكرة لا تسعف صاحبها بما يجب أن يتذكره .

الرجل ١ : كذاب .

الرجل ٢ : اعترف بأنك تجنبت ذكر ما يجر عليك المتاعب .

الرجل ١ : مخادع جبان .

الشاب : جربونى مرة أخرى !

الرجل ١ : لتعبث بنا مرة أخرى .

الشاب : أعطونى رسالة مكتوبة كيلا أنسى .

الرجل ٢ : وكيف نحيط بالظروف المتقلبة التى تواجهك ؟

الشاب : الزحام هناك شديد وهو خليق بأن يشتت الذاكرة .

(الرجل ٢ يضربه بالسوط . الشاب يصرخ)

الرجل ١ : ماذا فعلت بيومك الطويل ؟، لم قصدت ميدان القلعة ؟

الشاب : كنت أسير على غير هدى .

الرجل ١ : تسير على غير هدى وأنت لم ترسل إلى هناك إلا لمهمة ؟

الشاب : كان اليوم عطلة .

الرجل ٢ : ألم تقل لك القلعة شيئا يذكرك بمهمتك ؟

الشاب : زلت قدمى فوقعت على ركبتى .

(الرجل ٢ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

الرجل ٢ : ألم يوح المطعم لك بشىء ؟، ولا المقهى ؟، ولا دار الآثار ؟، ولا صالة المزاد ؟، ولا عيادة الطبيب ؟.

(الشاب يصمت فى يأس)

الرجل ٢ : وماذا جاء بك إلى الخلاء ؟

الشاب : فتاة .

الرجل ٢ : و لم اخترت للقاء مكانا هو أصلح لدفن الموتى ؟ **(صمت)** لم يذكرك اللقاء بشىء عن مهمتك ؟

الشاب : ثمة رجل كريه كان يتبعنى طول الوقت فشتت فكرى .

الرجل ١ : حتى ذلك الرجل لم يذكرك بشىء !

الشاب : هو النحس نفسه ، وقد أفسد كل شىء .

(الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

الرجل ١ : ضيعت وقتك ووقتنا يا جبان .

الرجل ٢ : وكانت الفرص تناديك من كل جانب يا أعمى .

الرجل ١ : و لم نبخل عليك بالتحذير تلو التحذير .

الشاب : ما تلقيت تحذيرا قط .

الرجل ١ : كذاب غبى أعمى .

الشاب : الرحمة !

الرجل ٢ : الرحمة أم العدل أم الحرية ؟

الرجل ١ : أم فاتحات الشهية أم هرمونات الشباب ؟

(يضربانه معا بالسوط وهو يصرخ متوجعا)

(الرجل ١ يشير إشارة خاصة إلى الرجلين حاملي المشعلين . الرجل ١ والرجل ٢ يذهبان إلى مكانهما الأول وراء الهضبة)

حامل المشعل : **(مخاطبا الشاب)** لِمَ تحن أسراب الطيور المهاجرة إلى أعشاشها التى تركتها فى الجبل ؟ **(يحمل الشاب بين يديه ثم يقول له)** تذكر أن الطفل يبكى حين تنحيه أمه عن ثديها الأيمن ولكنه يجد فى اللحظة التالية سلوه فى ثديها الأيسر . **(يمضى حامل المشعلين فى مشية متمهلة والآخر يتبعه حاملا الشاب بين يديه)**

(ستار)

الفهرست

صفحة

قصص قصيرة :

مسرحيات من فصل واحد :

كلمة الناشر

تعرفت بالأستاذ نجيب محفوظ ـ أول معرفتى به ـ سنة ١٩٤٣ م ؛ ذلك أن شقيقى الأديب الراحل عبد الحميد جودة السحار ، حضر إلىّ فى المكتبة التى أملكها ـ مكتبة مصر بالفجالة ـ وبصحبته شاب فى مثل سنّه ، فى حوالى الثلاثين من عمره ، وقدّمه إلىّ باسمه « نجيب محفوظ »(١) ، وقال لى : إنه يحمل معه رواية من تأليفه يرجو أن أقوم بطبعها ونشرها له .

وقدّم إلىّ نجيب محفوظ روايته « رادوبيس » ، وهى ليست أول رواية يكتبها ؛ فقد كتب قبلها رواية « عبث الأقدار » ، وكان قد طبعها ونشرها له الأستاذ سلامة موسى .

أخذت منه الرواية ، ووعدت أن أبدى فيها رأيى بعد يومين .

وقرأت رواية « رادوبيس » فذهلت ! فهى مكتوبة بلغة عربية رصينة وبليغة ، وتختلف عن كل الروايات العربية التى ظهرت حتى ذلك الوقت ؛ فحوادثها شائقة ، محبوكة بمهارة عجيبة وأستاذية مقتدرة ، وتحكى قصة غرام الفرعون ، أو الملك مرنرع الثانى بالراقصة الفاتنة رادوبيس ، واستيلائه على أملاك المعابد وأموال الكهنة ، وإنفاقها على نزواته الخاصة فى بذخ شديد ، حتى أطلق عليه الشعب لقبَ « الملك العابث » . وقد انتهت الرواية بقتل الملك بسهم أطلقه عليه أحدُ أفراد الشعب .

والشىء بالشىء يُذكَر ؛ فقد رأى أعوان الملك فاروق ـ فيما بعد ـ أن

---

(١) قال لى شقيقى عبد الحميد : إن والدة نجيب محفوظ تعسرت فى ولادته تعسراً شديداً ، وأن الفرج جاء على يدَى الطبيب المعروف د . نجيب محفوظ ، وأنها أطلقت على وليدها اسم نجيب محفوظ ، تيمناً به .

بالرواية تعريضاً مقصوداً بالملك فاروق ، حيث كان الشعب فى مصر يطلق عليه كذلك لقب « الملك العابث » ، وأن فيها دعوة إلى الخلاص منه بقتله .

ولما حضر نجيب محفوظ ليعرف رأيى فى الرواية ، أبديت له استعدادى ، بل وترحيبى بطبعها ونشرها .

واعترضتنى عندئذ مشكلة الحصول على الورق الذى تطبع عليه الرواية ، فقد كانت الحرب العالمية الثانية فى عنفوانها ، والورق معدوم تماماً من السوق .

ومهما يكن من أمر ، فقد حصلت على كمية من الورق من الجيش البريطانى ، وطبعت عليه الرواية — ٥٠٠ نسخة فقط — بناء على نصيحة نجيب محفوظ ، الذى كان يخشى أن يعرضنى للخسارة ، بألا تستوعب السوق عدداً أكبر .

وأخيراً وضعَت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، وساد السلام ، ونشرنا لنجيب محفوظ روايات وقصصَ همس الجنون ، كفاح طيبة ، خان الخليلى ، القاهرة الجديدة ، زقاق المدق ، السراب ، بداية ونهاية ؛ طبعنا منها أعداداً تتراوح بين خمسة آلاف وعشرة آلاف . وقد أعيد طبع كل منها حتى الآن ست عشرة طبعة أو يزيد .

* * *

حتى كان يوم من سنة ١٩٥٦م ، إذ فوجئت بنجيب محفوظ يحضر إلى المكتبة يحمل على ذراعه كمية ضخمة من الأوراق — أكثر من ألف فرخ فولسكاب — وطلب منى أن أطبعها وأنشرها له فى كتاب واحد .

وكانت هذه الأوراق تحتوى على ثلاثية نجيب محفوظ .

وكان نجيب قد عرض ثلاثيته على الدكتور طه حسين ليقرها ويبدى رأيه فيها ، فنشر عنها بحثا مطوَّلا فى جريدة الأهرام ، بشَّر فيه بمولد روائى كبير فى الأدب العربى ، بل مولد رائد فن كتابة الرواية العربية الحديثة .

وكان رأيى أنَّ طبع الرواية فى كتاب واحد ، يحدّ من بيعها على نطاق واسع ،

واقترحت أن تُطبع فى ثلاثة أجزاء ، فوافق نجيب على رأيى .

وفعلًا ظهرت الثلاثية فى ثلاثة كتب هى : بين القصرين ، وقصر الشوق ، والسكريَّة .

وبظهور هذه الكتب اتسعت شهرة نجيب محفوظ كأعظم روائى فى مصر ، بل فى العالم العربى كله .

وتنحصر عبقرية نجيب محفوظ فى أن شخصيات قصصه ورواياته هى من واقع الحياة فى الأحياء الشعبية بخاصة ، التى عاش طفولته يرتع بين ربوعها ، وقضى فترات كثيرة من شبابه وكهولته وهو يتردد على شوارعها وحاراتها وأزقتها ، يعاشر ناسها .. يكلمهم ويستمع إليهم ، وفى نفس الوقت يغوص فى أعماقهم ويدرس طباعهم ، ثم يصور ما ينطبع فى نفسه من كل ذلك فى كتاباته .

وإن كتابات نجيب محفوظ تتميز بميزة فريدة ، فهو يصغى بإمعان إلى كل من يحادثه ، ويهتم بكل ما يُروَى أمامه ، سواء أكان حكاية غريبة ، أو قولًا طريفاً ، أو نكتة ظريفة ، فيحفظ ذلك فى ذاكرته جيداً ، حتى إذا عاد إلى منزله أسرع بتدوينه حتى لا يضيع منه أو ينساه ، ثم يفيد منه بعد ذلك فى كتاباته ، حيث يظهر فى المكان والزمان المناسبين له .

وبعد الثلاثية تلا حصاد وافر من القصص والروايات ، ولا يزال نجيب محفوظ ـــ مدَّ الله فى عمره ـــ يتدفق عطاؤه للمكتبة العربية .

وإن حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل العالمية فى الآداب هو اعتراف بقيمة الأدب العربى بين الآداب العالمية ، ولو أن هذا التقدير جاء متأخراً عن موعده خمسة وعشرين سنة .

سعيد جودة السحار

مؤلفات الأستاذ نجيب محفوظ

اسم الكتاب		تاريخ أول طبعة	تاريخ آخر طبعة	
مصر القديمة		١٩٣٢		
همس الجنون	مجموعة	١٩٣٨	العاشرة	١٩٧٩
عبث الأقدار	رواية تاريخية	١٩٣٩	الحادية عشرة	١٩٨٥
رادوبيس	رواية تاريخية	١٩٤٣	العاشرة	١٩٨١
كفاح طيبة	رواية تاريخية	١٩٤٤	الحادية عشرة	١٩٨٥
القاهرة الجديدة	رواية	١٩٤٥	الثالثة عشرة	١٩٨٧
خان الخليلي	رواية	١٩٤٦	العاشرة	١٩٧٩
زقاق المدق	رواية	١٩٤٧	الحادية عشرة	١٩٨٥
السراب	رواية	١٩٤٨	الثالثة عشرة	١٩٨٧
بداية ونهاية	رواية	١٩٤٩	الخامسة عشرة	١٩٨٧
بين القصرين	رواية	١٩٥٦	الثالثة عشرة	١٩٨٦
قصر الشوق	رواية	١٩٥٧	الرابعه عشرة	١٩٨٧
السكرية	رواية	١٩٥٧	الثالثة عشرة	١٩٨٧
اللص والكلاب	رواية	١٩٦١	التاسعة	١٩٨٠
السمان والخريف	رواية	١٩٦٢	التاسعة	١٩٨٥
دنيا الله	مجموعة	١٩٦٢	السادسة	١٩٨٧
الطريق	رواية	١٩٦٤	الثامنة	١٩٨٤
بيت سيئ السمعة	مجموعة	١٩٦٥	السابعة	١٩٨٣
الشحاذ	رواية	١٩٦٥	الثامنة	١٩٨٥
ثرثرة فوق النيل	رواية	١٩٦٦	السابعه	١٩٨٧
ميرامار	رواية	١٩٦٧	الخامسة	١٩٧٩
خمارة القط الأسود	مجموعة	١٩٦٩	السابعة	١٩٨٠
تحت المظلة	مجموعة	١٩٦٩	السادسة	١٩٨٤

اسم الكتاب		تاريخ أول طبعة	تاريخ آخر طبعة	
حكاية بلا بداية ولا نهاية	مجموعة	١٩٧١	السابعة	١٩٨٧
شهر العسل	مجموعة	١٩٧١	السادسة	١٩٨٢
المرايا	رواية	١٩٧٢	الخامسة	١٩٨٠
الحب تحت المطر	رواية	١٩٧٣	الرابعة	١٩٨٠
الجريمة	مجموعة	١٩٧٣	الخامسة	١٩٨٤
الكرنك	رواية	١٩٧٤	السابعة	١٩٨٦
حكايات حارتنا	رواية	١٩٧٥	السادسة	١٩٨٦
قلب الليل	رواية	١٩٧٥	الثالثة	١٩٨١
حضرة المحترم	رواية	١٩٧٥	الرابعة	١٩٨٣
ملحمة الحرافيش	رواية	١٩٧٧	الرابعة	١٩٨٥
الحب فوق هضبة الهرم	مجموعة	١٩٧٩	الرابعة	١٩٨٧
الشيطان يعظ	مجموعة	١٩٧٩	الرابعة	١٩٨٧
عصر الحب	رواية	١٩٨٠	الثانية	١٩٨٧
أفراح القبة	رواية	١٩٨١	الثالثة	١٩٨٧
ليالى ألف ليلة	رواية	١٩٨٢	الثالثة	١٩٨٧
رأيت فيما يرى النائم	مجموعة	١٩٨٢	الثالثة	١٩٨٧
الباقى من الزمن ساعة	رواية	١٩٨٢	الثانية	١٩٨٥
أمام العرش (حوار بين الحكام)		١٩٨٣	الثانية	١٩٨٥
رحلة ابن فطومة	رواية	١٩٨٣		
التنظيم السرى	مجموعة	١٩٨٤		
العائش فى الحقيقة	رواية	١٩٨٥		
يوم مقتل الزعيم	رواية	١٩٨٥		
حديث الصباح والمساء	رواية	١٩٨٧		
صباح الورد	مجموعة	١٩٨٧		

تحت الطبع

قشتمر	
الفجر الكاذب	مجموعة

الترقيم الدولى : ٥ ـ ٢٠٢ ـ ٣١٦ ـ ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٣٥٠ قرشا